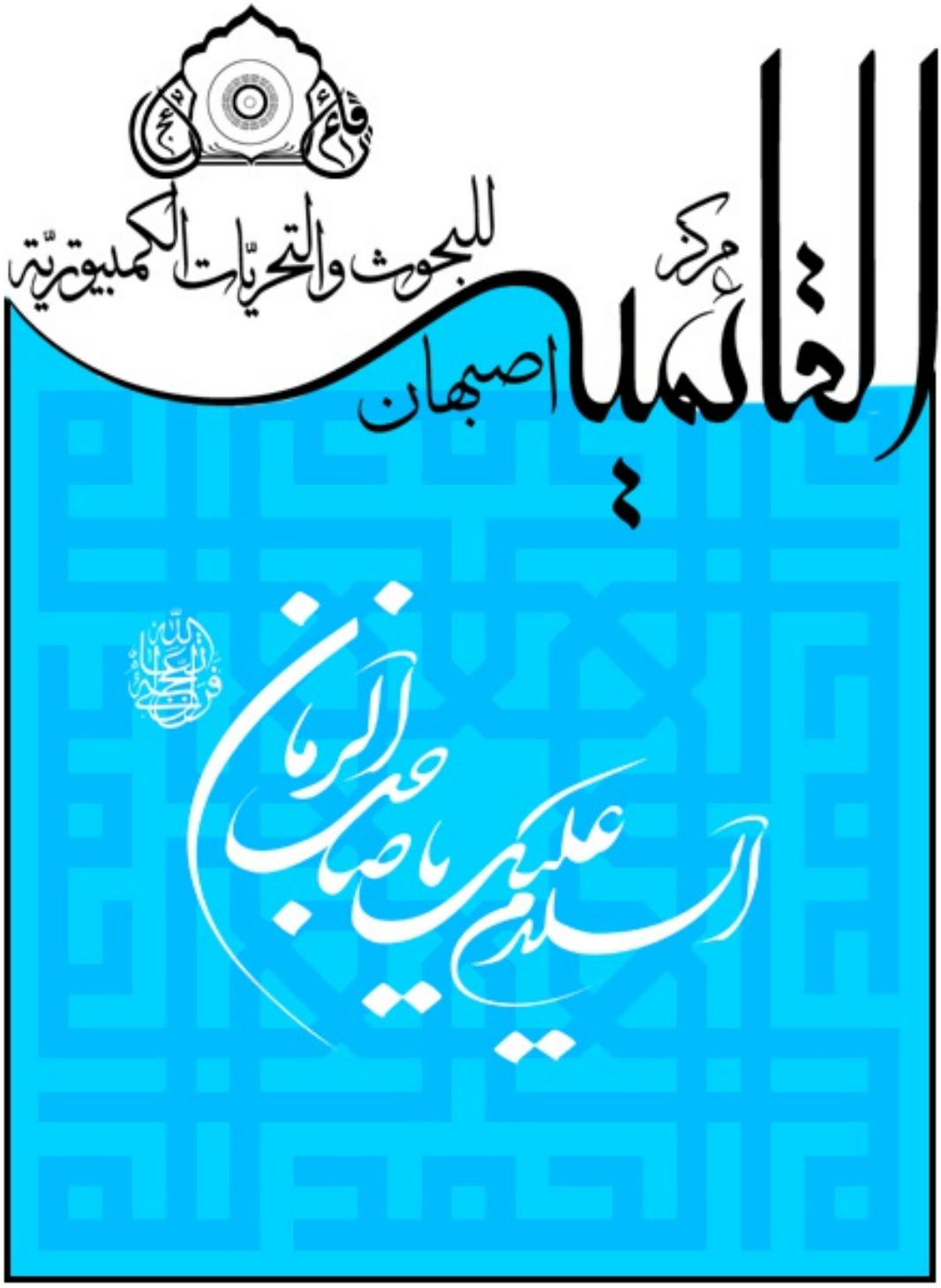

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

رمضان

ذو إسلامية في العقيدة والأخلاق

آية الله السيد محمد
الحسيني الشيرازي (قدس سره الشريف)

بسم الله الرحمن الرحيم

ومضات رؤى إسلاميهٔ فی العقيدهٔ والأخلاق

كاتب:

رضا حسينی شيرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار جلال الدين

رقمی الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
ومضات رؤى إسلامية فى العقيدة والأخلاق ----- ۱۴
اشارة ----- ۱۴
مقدّمة الناشر ----- ۱۴
محمّد عليه السلام نبيّ الرحمة ----- ۱۵
محمّد عليه السلام نبيّ الرحمة ----- ۱۵
الرحمة فى النصوص الإسلامية ----- ۱۵
كيف يكون نبيّنا عليه السلام رحمة للعالمين؟ ----- ۱۶
لا منافاة بين الرحمة والعقوبات الإسلامية ----- ۱۶
وظيفتنا تجاه الإسلام ----- ۱۷
الزهراء ?الفيصل والقدوة ----- ۱۹
الزهراء ?الفيصل والقدوة ----- ۱۹
١) الزهراء ?فيصلاً ----- ۲۰
مقدمة فى تقييم الأفكار ----- ۲۰
مقدمة ثانية: فى تقييم الحكومات التى حكمت باسم الإسلام ----- ۲۰
دور الزهراء ?فى فضح الحكومات الجائرة ----- ۲۱
٢) الزهراء قدوةً ----- ۲۲
خطر النموذج الغربى وخواؤه ----- ۲۲
الزهراء ?النموذج الصالح والقدوة الحسنة ----- ۲۳
الغرب بأمسّ الحاجة إلى الرموز المعنوية ----- ۲۴
مسؤوليتنا تجاه الزهراء؛ ?فراغات لابد من ملئها ----- ۲۴
فاطمة الزهراء ?المقامات الغيبية والوجه الحضارى ----- ۲۵
فاطمة الزهراء ?المقامات الغيبية والوجه الحضارى ----- ۲۵

الفصل الأول: المقامات الغیبیة ۲۶
الفصل الأول: المقامات الغیبیة ۲۶
البحث الأول: سبب نشوء التفسیر المادی للمسائل الدینیة ۲۶
البحث الثانی: الموقف من الاتجاه المادی ۲۶
المبحث الثالث: الفائدة من البحث فی المقامات الغیبیة ۲۷
الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء? ۲۸
الفصل الثانی: الوجه الحضاری للصدیقة الزهراء? ۲۸
من مواقف الزهراء ۲۹
بیت الزهراء ?نموذجاً ۳۰
بیت الزهراء ?نموذجاً ۳۰
مثال البیت الصالح والسعید ۳۱
معالم البیت الفاطمی ۳۱
معالم البیت الفاطمی ۳۱
۱. بیت لا توقعات فیه ۳۱
۲. بیت لا توتر فیه ۳۲
۳. بیت لا تعقید فیه ۳۳
التعریف ببیت الزهراء ۳۴
الشعائر الفاطمیة ۳۵
الشعائر الفاطمیة ۳۵
الشعائر الدینیة: مفهومها وأدوارها ۳۵
أ مفهوم الشعائر الدینیة ۳۵
ب دور الشعائر الدینیة ۳۶
الشعائر الإیمانیة والشعائر الفاطمیة ۳۶
مسؤولیتنا فی شهری جمادی الاولی والاخرة ۳۷

مسؤوليتنا فی شهری جمادی الاولی والاخرة ----- ۳۷
العنوان الأول: الإحياء الشعائری ----- ۳۷
العنوان الثانی: الإحياء الثقافی ----- ۳۷
الإمام الحسين عليه السلام: استثناء فی السنن الإلهية ----- ۳۸
الإمام الحسين عليه السلام: استثناء فی السنن الإلهية ----- ۳۹
عظمة تضحية الإمام الحسين عليه السلام ----- ۳۹
الثواب الاستثنائی علی التضحية الاستثنائية ----- ۳۹
الثواب الاستثنائی علی التضحية الاستثنائية ----- ۳۹
النحو الأول: الاستثناء فی الجانب التشريعی ----- ۴۰
النحو الثانی: الاستثناء التكوينی ----- ۴۰
عاشوراء: نصر يتجدّد علی مدی التاريخ ----- ۴۲
ماذا قدّمنا للحسين عليه السلام؟ ----- ۴۲
وظيفتنا تجاه سيد الشهداء عليه السلام ----- ۴۳
وظيفتنا تجاه سيد الشهداء عليه السلام ----- ۴۳
۱. إقامة مجالس العزاء فی البيوت ----- ۴۳
۲. مشاركة الإمام الحسين عليه السلام بالأموال ----- ۴۵
۳. ليكن فی كل بيت خادم للحسين عليه السلام ----- ۴۵
۴. ولا نقصر فی خدمة نستطيع تقديمها للحسين عليه السلام ----- ۴۵
قبس من النهضة الحسينية ----- ۴۷
قبس من النهضة الحسينية ----- ۴۷
المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسين عليه السلام من أجل الله تعالی ----- ۴۷
المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسين عليه السلام من أجل الله تعالی ----- ۴۷
أمثلة علی الدافع الأوّل ----- ۴۷
الفرق بين الدافعين الأخيرين، وتوضيحهما بالأمثلة ----- ۴۸

دافع الإمام الحسين عليه السلام للتضحية ---- ۴۸
المبحث الثانی: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ ---- ۴۹
المبحث الثانی: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ ---- ۴۹
المجال الأوّل: الاستنقاذ فی الإطار الخاص ---- ۴۹
المجال الثانی: الإنقاذ فی الإطار العام ---- ۵۰
المجال الثانی: الإنقاذ فی الإطار العام ---- ۵۰
مجالس الإمام الحسين عليه السلام من الباقيات الصالحات ---- ۵۰
لا ينفع فی الآخرة عمل مثل ما تنفع الشعائر الحسينية ---- ۵۰
الإمام السجّاد عليه السلام ... عصره ودوره ---- ۵۱
الإمام السجّاد عليه السلام ... عصره ودوره ---- ۵۱
أ الأزمة الفكرية وأسبابها ---- ۵۱
أ الأزمة الفكرية وأسبابها ---- ۵۱
العامل الأول: الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى ---- ۵۱
العامل الثانی: عملية التضليل أو غسيل الدماغ ---- ۵۲
ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية ---- ۵۲
ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية ---- ۵۲
أدوار الإمام السجّاد عليه السلام ---- ۵۳
أدوار الإمام السجّاد عليه السلام ---- ۵۳
۱ بناء الامة فكرياً ---- ۵۴
۲ البناء الأخلاقی للأمة ---- ۵۵
۳ دور الإمام فی إبقاء النهضة الحسينية ---- ۵۶
الانطلاق من قضية الإمام الحسين عليه السلام ---- ۵۶
الإمام المهدی عليه السلام إمام الرحمة ---- ۵۷
الإمام المهدی عليه السلام إمام الرحمة ---- ۵۷

الفصل الأول: الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهیة ----- ۵۷
المقام الأوّل: الإمام المهدی علیه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهیة العامة ----- ۵۷
المقام الثانی: الإمام المهدی علیه السلام مظهر الرحمة الإلهیة الخاصة ----- ۵۸
الفصل الثانی: بعض مظاهر الرحمة الإلهیة الخاصة الجاریة علی ید الإمام المهدی علیه السلام ----- ۵۹
الفصل الثانی: بعض مظاهر الرحمة الإلهیة الخاصة الجاریة علی ید الإمام المهدی علیه السلام ----- ۵۹
المظهر الأول: حلّ المعضلات العلمیة ----- ۵۹
المظهر الثانی: حلّ المشکلات العملیة علی یدیه علیه السلام ----- ۶۰
المظهر الثالث: التوجیه والعنایة ----- ۶۱
دور الإمام المهدی علیه السلام فی حیاتنا ----- ۶۲
دور الإمام المهدی علیه السلام فی حیاتنا ----- ۶۲
الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۲
الفصل الأول: دور الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۲
دور الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۳
الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدی علیه السلام؟ ----- ۶۳
الفصل الثانی: کیف نستفید من وجود الإمام المهدی علیه السلام؟ ----- ۶۳
المقدمة الأولی: الالتفات إلی النقص والفاقة والحاجة عندنا ----- ۶۴
المقدمة الثانیة: التوجه إلی مصدر القوة والغنی والقدرة وهو الإمام المهدی علیه السلام ----- ۶۴
المقدمة الثالثة: محاولة إیجاد القابلیة ----- ۶۴
المقدمة الرابعة: الإلحاح والتوسل ----- ۶۵
نموذجان للاستفادة من وجود الحجة علیه السلام ----- ۶۵
الإهتمام بالقضیة المهدویة ----- ۶۷
الإهتمام بالقضیة المهدویة ----- ۶۷
العامل الأول: الاهتمام بالقضیة المهدویة ضرورة إیمانیة ----- ۶۷
العامل الثانی: الإیمان بالإمام المهدی علیه السلام مصداق من مصادیق شکر المنعم ----- ۶۸

العامل الثالث: الاهتمام بالقضیة المهدویة یوجب البرکة والتوفیق ---- ۶۸
المحور الثانی: کیفیة الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۶۹
خاتمة: فی برکات الاهتمام بالقضیة المهدویة ---- ۷۰
وسائط الفیض الإلهی ---- ۷۰
وسائط الفیض الإلهی ---- ۷۰
من السنن نظام الوسائط ---- ۷۱
الوسائط الغیبیة ---- ۷۱
الاعتقاد بالوسائط الغیبیة لا یختصّ بنا نحن الشیعة ---- ۷۱
الواقع خیر دلیل ---- ۷۲
صلاة فاطمة ?وقضاء الحوائج ---- ۷۳
وِرد آخر للزهراء? ---- ۷۳
الأیام الفاطمیة ---- ۷۳
التبری من أعداء الله تعالی ---- ۷۴
التبری من أعداء الله تعالی ---- ۷۴
الموقف من أعداء الله تعالی ---- ۷۴
التبری من أعداء الله تعالی فی القرآن الکریم ---- ۷۵
نظرة إلی مقولة التوفیق العقائدی ---- ۷۵
لماذا التبری؟ ---- ۷۶
الصدیقة الزهراء ?أعظم رمز للتبری من أعداء الله تعالی ---- ۷۷
واجبنا تجاه قضیة الزهراء ---- ۷۸
لک سدارتک وأعطنی عمامتی ---- ۷۸
تأثیر الذکر ---- ۷۸
تأثیر الذکر ---- ۷۸
البحث الأول: التفاعل بین أنحاء الوجود ---- ۷۹

البحث الثانی: الترابط بین أنحاء الوجود ۷۹
البحث الثانی: الترابط بین أنحاء الوجود ۷۹
تأثیر ذکر الله علی حیاة الإنسان ۷۹
قصة فیها عبرة ۷۹
الذکر العملی والقلبی ۸۱
نماذج من الذکر العملی ۸۱
صلاة اللیل.. فلسفتها ومعطیاتها ۸۱
صلاة اللیل.. فلسفتها ومعطیاتها ۸۲
فلسفة صلاة اللیل ۸۲
صلاة اللیل عبادة متمیّزة ۸۳
معطیات صلاة اللیل ۸۳
المراتب المعنویة ۸۶
المراتب المعنویة ۸۶
المراتب المعنویة ۸۶
الیوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل ۸۷
آثار الحالة المعنویة ۸۷
تحویل الحالة المعنویة إلی قوة مادیة ۸۸
الآخرة خیر وأبقی ۸۹
الآخرة خیر وأبقی ۸۹
ثراء النص القرآنی ۹۰
ثراء النص القرآنی ۹۰
۱. الآخرة أبقی من الدنیا ۹۰
۲. الآخرة خیر من الدنیا ۹۱
ترکیز القرآن علی موضوع الآخرة والعیش فی أجوائها ۹۲

مسؤولیتنا ثقیلة فی هذا المجال ---- ۹۳
التوبة، القرار الشجاع ---- ۹۴
التوبة، القرار الشجاع ---- ۹۴
المبحث الأول: مفهوم التوبة ---- ۹۴
المبحث الثانی: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها ---- ۹۵
المبحث الثانی: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها ---- ۹۵
التضحیة بالجاه فی سبیل التوبة ---- ۹۵
قصة لا أعلم!! ---- ۹۶
شهر رجب، شهر الرحمة والتوبة ---- ۹۷
التفکیر العالمی ---- ۹۷
التفکیر العالمی ---- ۹۷
تأثیر الفکر فی حیاة الإنسان ---- ۹۸
الفصل الأول: الاختلاف فی مدیات التفکیر ---- ۹۸
الفصل الثانی: مظاهر التفکیر العالمی ---- ۹۹
الیأس من روح الله ---- ۱۰۱
الیأس من روح الله ---- ۱۰۱
العلاقة بین الیأس والکفر ---- ۱۰۱
بین الإیمان والرجاء ---- ۱۰۱
آفاق الأمل والرجاء ---- ۱۰۲
المجال الأول: الأمل فی التغییر الفردی ---- ۱۰۲
المجال الأول: الأمل فی التغییر الفردی ---- ۱۰۲
الاعتبار بما حدث فی العراق! ---- ۱۰۳
المجال الثانی: الأمل فی التغییر الاجتماعی ---- ۱۰۳
المجال الثالث: الأمل فی التغییر العالمی الشامل ---- ۱۰۴

التبعیة الثقافیة ----- ۱۰۶
التبعیة الثقافیة ----- ۱۰۶
۱. مشکلة التبعیة بشکل عام ----- ۱۰۶
۱. مشکلة التبعیة بشکل عام ----- ۱۰۶
قضیة التنباک والعهد البهلوی فی إیران مثالاً ----- ۱۰۶
۲. التبعیة الثقافیة ----- ۱۰۷
۳. وسائل مکافحة التبعیة الثقافیة ----- ۱۰۸
۳. وسائل مکافحة التبعیة الثقافیة ----- ۱۰۸
بالهمة والتوکل علی الله یصبح العطاء ثرّاً ----- ۱۱۰
الجد والاجتهاد ----- ۱۱۱
الجد والاجتهاد ----- ۱۱۱
۱. الجد والاجتهاد فی مجال الطاعة والعبادة ----- ۱۱۱
۲. الجد والاجتهاد فی مجال التعلم والمعرفة ----- ۱۱۳
۳. الجد والاجتهاد فی مجال الخدمة والعمل ----- ۱۱۵
لنکن من المجتهدین ----- ۱۱۶
لنکن من المجتهدین ----- ۱۱۶
البحث الأول: الحاجة إلی الاجتهاد ----- ۱۱۶
البحث الثانی: هل تکفی اجتهادات المجتهدین السابقین؟ ----- ۱۱۸
البحث الثالث: الاجتهاد الدینی لیس منحصراً فی الفقه ----- ۱۱۹
البحث الرابع: الاجتهاد لا یعرف الحدود ----- ۱۱۹
پی نوشتها ----- ۱۲۰
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۳۱

ومضات رؤى إسلامية فى العقيدة والأخلاق

اشارة

اسم الكتاب: وَمَضات رؤى إسلامية فى العقيدة والأخلاق

المؤلف: حسينى شيرازى، رضا

اللغة: عربى

عدد المجلدات: ۱

الناشر: دارجلال الدين

مكان الطبع: قم

تاريخ الطبع: ۱۴۲۶ ه

الطبعة: اول

مقدّمة الناشر

فى ظل هذه الظروف العصيبة التى يمرّ بها العالم، والمشكلات التى تعانى منها الامة الإسلامية، والأزمات الروحية والأخلاقية التى يئنّ منها المجتمع، إضافة إلى ما نلمسه من التعطش الشديد إلى اعادة الروح الإسلامية الأصيلة وبث الوعى الإسلامى الصحيح المستمد من نهج أهل البيت عليهم السلام فى صفوف المسلمين، وانطلاقاً من قوله تعالى?: فَبَشِّرْ عِبَادِ ?الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِکَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِکَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ?وشعوراً منّا بالحاجة الماسّة إلى نشر وبيان مفاهيم الاسلام الأصيلة ومبادئه الإنسانية السامية، عزمنا بعد التوكل على الله تعالى، على تقديم المحاضرات الفكرية والتربوية القيمة حول مختلف شؤون الحياة الفردية والاجتماعية، فى مناسبات مختلفة.

ولقد عُرف عن المرجع الراحل آية الله العظمى السيد محمد الحسينى الشيرازى رحمة الله عليه من جملة ما عرف عنه من جوانب عظمته اهتمامه الفائق بترسيخ الأخلاق فى المجتمع، سواء عبر الدروس العلمية التى كانت تحكيها سيرته الفاضلة، أو من خلال المحاضرات الخاصة التى كان يلقيها على الطلبة أسبوعياً، يربّيهم فيها على مكارم الأخلاق ويوسّع أفق التفكير لديهم من خلال التواصل معهم ومدّهم بالمعلومات الواسعة وتحفيزهم بالعمل والجد والاجتهاد، والإخلاص والتقوى ومواكبة العصر والاهتمام بأمور المسلمين...

وعلى ذات السيرة جرى نجله سماحة آية الله السيد محمّد رضا الشيرازى حفظه الله الذى خصص منذ سنين يوماً واحداً فى كل أسبوع وهو يوم الأربعاء ليلقى محاضرة أخلاقية على طلاب العلوم الدينية يتحفهم فيها بقبسات من روائع خلق أهل البيت عليهم السلام.

هذه المحاضرات هى الأخرى لم تكن حصراً على المفاهيم الأخلاقية وحدها بل تناولت الرؤى والمفاهيم الإسلامية فى مختلف جوانب الحياة العلمية والمنهجية من خلال سيرة أئمة أهل البيت عليهم السلام، كما امتازت بمعالجتها لمواضيع وقضايا معاصرة، فكانت مدرسة تربوية وتوعوية إسلامية شاملة بحقّ. وقد جمعناها فى كتاب مستقلّ لكى تكون الفائدة أعمّ، علماً أن هذه المجموعة تحتوى على أربعة وعشرين محاضرة، كما نشكر جهود إخواننا الذين ساهموا فى إعداد هذا الكتاب ونخصّ بالذكر الأستاذ عبدالرضا افتخارى.

نرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع من قسم التحقيقات فى موقع الامام الشيرازى مساهمة فى نشر الوعى الاسلامى الأصيل وسداً لبعض الفراغ العقائدى والأخلاقى لأبناء امّتنا، ونسأل الله العلى القدير أن يتقبله منا ويوفقنا للمزيد. إنه سميع مجيب.

قسم التحقيقات فى موقع الامام الشيرازى

www.shirazi.ir

۲۶ ربيع الأول ۱۴۲۶

محمّد عليه السلام نبيّ الرحمة

محمّد عليه السلام نبيّ الرحمة

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

مفهوم «الرحمة» يشكّل أحد المحاور الأساسية فى فكر الإنسان المعاصر، ورغم أن الرحمة من القيم المحورية فى الإسلام ولكننا نلاحظ أن الجهات الأخرى تبنّت اليوم هذه القيمة نظرياً وعملياً، ولا نريد الآن البحث فى ما إذا كان هذا التبنّى تبنّياً واقعياً أم مزيّفاً، فلهذا مجال آخر، ولكن الشيء الواضح هو أن الجهات الأخرى ترفع اليوم شعار الرحمة وتتبنّاه نظرياً وعملياً، فالمسيحيون مثلاً يحاولون أن يكتسحوا العالم من خلال رفعهم هذا الشعار، وإذاعاتهم تردّد «أن المسيح رحمة» و «أنه افتدانا من لعنة الناموس» و «أنه تحمّل جميع الآلام للتكفير عن خطايا البشر».

وحتى القوى العظمى ترفع اليوم شعار الرحمة والدفاع عن حقوق الإنسان، فالغرب يرفع شعار الدفاع عن حقوق الأطفال فى العالم وحقوق المرأة وحقوق السجناء و، ... أما نحن المسلمين فمن المؤسف أن تبنّينا لهذه القيمة اليوم ضعيف جداً سواء من الناحية النظرية أم من الناحية العملية.

فلو اعتقل أحد المؤمنين فى إحدى البلاد الإسلامية، فربما يبقى أعواماً لا يُعرف عنه شيء، فى حين أنه لو اعتقل فرد من دين آخر فإن لجان الدفاع عن حقوق الإنسان قد توجّه ضغوطاً كبيرة إلى الدولة التى تعتقله حتى تطلق سراحه.

لقد بقى الشيخ بهلول معتقلاً فى السجون الأفغانية زهاء ثلاثين عاماً ولم يُفرج عنه حتى حدث خلاف بين الحكومة الأفغانية ودولة أخرى قامت بفضح الحكومة الأفغانية فى مجال اضطهاد حقوق الإنسان، وأشارت إلى اعتقال الشيخ بهلول، فاضطرت الحكومة الأفغانية إلى إطلاق سراحه وإلّا لربما بقى سجيناً حتى نهاية عمره!

الرحمة فى النصوص الإسلامية

إن النصوص الإسلامية مشحونة بمفهوم الرحمة، فأول ما تفتح كتاب الله تعالى يواجهك شعار الرحمة? بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ،? كما أن هذا الشعار مطلع كلّ سورة فى القرآن الكريم.

وقد تكررت كلمة «الرحمة» ومشتقّاتها فى القرآن الكريم مئات المرّات، ولكننا نكتفى هنا بذكر آيتين كريمتين؛ الأولى منهما ترتبط بالجانب التكوينى، أما الثانية فترتبط بالجانب التشريعى.

أمّا الآية الأولى فهى قوله تعالى?: إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ.?

إن اللغز الذى حيّر العقول منذ القدم هو: لماذا خلق الله الإنسان؟ من الواضح أن الله تعالى خلق كلّ الأشياء من أجل الإنسان، ولكن ما هى الغاية من خلق الإنسان؟ يقول الله تعالى فى الجواب على ذلك: (إلاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم) أى خلقهم كى يرحمهم فهذا هو الدافع وراء خلق الإنسان، وهذه هى العلّة الغائية لوجوده.

أما الآية الثانية فهى قوله تعالى مخاطباً نبيّه الكريم عليه السلام?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ، ?و «إلّا» تفيد الحصر، فيكون معنى العبارة أن هدف البعثة متمحّض فى الرحمة.

اتضح إذن أن الرحمة تمثّل قيمة محورية فى نظام التشريع، كما تمثّل قيمة محورية فى نظام التكوين.

كيف يكون نبيّنا عليه السلام رحمة للعالمين؟

وهنا سؤالان قد يخطران فى الأذهان عن قوله تعالى?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ:?

السؤال الأول: إذا كان النبى عليه السلام رحمة للعالمين، فلماذا لم ينتفع الكفّار بهذه الرحمة؟

وإذا كان العلماء يقولون: «ما يعلم أنه لا يترتّب على شىء لا يعقل أن يكون غرضاً منه» فكيف يكون الغرض من بعثة الرسول عليه السلام هو الرحمة للجميع مع أنها لم تترتّب عليه؟

هناك إجابات عديدة على هذا السؤال ولكنا نكتفى بالإشارة إلى إحداها وهى: أن الرحمة من الحقائق المشكّكة حسب الاصطلاح الفلسفى أى أن لها مراتب، وبعض مراتب هذه الرحمة شملت الجميع.

لقد كان السيد الوالد رحمة الله عليه ربما قبل زهاء شهرين من وفاته، يحثّ العلماء والكتّاب الذين يزورونه على الكتابة عن فضل النبى عليه السلام على الحضارة المعاصرة، وكان يقول:

«يمكن تأليف كتاب ضخم فى هذا المجال ولكن ليس لدىّ الوقت الكافى للقيام بذلك، ولذلك أؤكّد عليكم أن تقوموا أنتم بذلك، فإنّ ما ينعم به إنسان اليوم من خير مدين به للنبى عليه السلام».

لقد كان الغرب فى القرون الوسطى يغطّ فى ظلام الجهل والتخلّف فى كلّ المجالات كما يعترف مؤرّخوهم بذلك. ففى المجال الصحى كانت مستشفياتهم كاصطبلات الحيوانات، أما الوضع العلمى فيكفى أن نعرف أنهم كانوا يقتلون علماءهم ويحرقونهم، والمقصلة الموجودة فى لندن والتى كانت تفصل رؤوس العلماء وغيرهم عن أجسادهم شاهدة على ذلك.

وأما المرأة فكانت محتقرة أيّما احتقار، حتى بُعث نبينا عليه السلام وغمر العالم بأنواره، وما مبادئ حقوق الإنسان وحرية الرأى وما يعبّر عنه بالديمقراطية فى عالم اليوم إلّا حصيلة احتكاك الغرب بالحضارة الإسلامية. فإذا كان الإنسان المعاصر ينعم بقدر من الحرية والأمن والعلم والمعرفة فإنما ذلك ببركة النبى الأعظم عليه السلام. ولقد أشارت الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ?إلى بعض الجوانب من هذه النقلة النوعية التى حقّقها رسول الله عليه السلام فى قولها: «?فأنقذكم الله برسوله عليه السلام».

اتضح إذن أن النبى الأعظم عليه السلام لم يكن رحمة للمؤمنين أو المسلمين فقط بل كان عليه السلام رحمة للعالمين جميعاً.

لا منافاة بين الرحمة والعقوبات الإسلامية

السؤال الثانى: إذا كان الإسلام دين الرحمة والرسول عليه السلام نبىّ الرحمة، فكيف نفسّر العقوبات الجزائية فى الإسلام، أليست هذه العقوبات منافيةً للرحمة؟

نشير فى الجواب على نحو الإجمال أيضاً إلى نقطتين:

النقطة الأولى: إن نظام العقوبات يمثّل جزءاً محدوداً من الإسلام، وإن قيمته الكاملة تكمن فى كونه يمثّل جزءاً من النظام الإسلامى كلّه، ولو فصلنا أى جزء من المجموعة التى ينتمى إليها وعرضناه على أنه يمثّل الكلّ فإن الصورة التى يعكسها هذا الجزء قد لا تكون جميلة، بل ربما تكون قبيحة منفّرة.

والمشكلة أن بعض الناس يتصوّر أن الإسلام ليس سوى نظام عقوباته الجزائية، فما ان يذكر اسم النظام الإسلامى حتى يتبادر إلى ذهنه أنه النظام الذى يطبّق تلك العقوبات، فإذا قيل له مثلاً «لنعمل من أجل أن يصل الإسلام إلى الحكم» قفزت إلى ذهنه صورة قطع يد

السارق وإقامة الحدّ على الزانى، مع أن الإسلام أوسع من ذلك بكثير، ولو راجعتم كتب الفقه فسترون أنّ الحيّز الذى يشغله النظام الجزائى ككتاب الحدود والقصاص والديات صغير قياساً إلى باقى الأجزاء مثل العبادات والمعاملات والعقود والإيقاعات وغيرها.

وكان السيد الوالد ?يذهب على تفصيل ذكره إلى أن نظام العقوبات لا يُطبق إلّا إذا طبِّق الإسلام كمجموعة متكاملة، فكان يقول: «ينبغى أن يكون النظام الاقتصادى إسلامياً وكذلك النظام الاجتماعى والسياسى ثم نقوم بعد ذلك بإجراء الحدود».

وقد روى أنه جىء برجل سارق عند المأمون ليقطع يده، فاعتذر الرجل باضطراره، فالتفت المأمون للإمام الرضا عليه السلام وسأله: ما تقول؟ فقال الإمام عليه السلام: فلله الحجة البالغة، أى لقد احتجّ عليك فردّه بالحجة، فغضب المأمون على الإمام عليه السلام!

فكأنّ الإمام عليه السلام يقول فى جواب المأمون: إذا كان النظام الاقتصادى فاسداً فقام فقير بالسرقة مضطرّاً، فلا معنى لتطبيق العقوبة عليه.

ولذلك نلاحظ أنه عندما كان النظام الإسلامى مطبقاً إلى حدّ ما، لم يكن القضاة يعرفون بعض الحدود، لأنهم لم يكونوا بحاجة إلى تنفيذها، ولقد روى المؤرّخون: أن سارقاً سرق فى عهد الإمام الجواد عليه السلام وجىء به إلى القضاء، ولكن القضاة لم يعرفوا مِن أين ينبغى أن تُقطع يده واختلفوا، حتى قاضى القضاة لم يعرف الجواب فلجأوا إلى الإمام عليه السلام فبيّن لهم الحكم!

أما النقطة الثانية: فهى أن كلّ قانون بحاجة إلى ضمانة تنفيذية، ومن دونها لا ينجح القانون، والعقوبات تشكّل إحدى الضمانات لتنفيذ القانون، وعلى هذا جرت سيرة العقلاء؛ ولذلك يقول علماء الكلام: إن محركية القانون لا تتمّ إلّا بالوعد والوعيد. ففى ظلّ نظام لا يعاقب المجرمين يفقد الناس الأمان ويطاردهم شبح العدوان على أموالهم وأعراضهم وأرواحهم ... ولا يهنأون بعيشهم؛ ولذلك قال الله تعالى?: وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَاْ أُولِىْ الأَلْبَابِ، ?فإن فى موت القتلة حياة من سواهم من الأبرياء، وهذا يعنى أن العقوبات الإسلامية رحمة للناس لأنها تحقّق لهم حياة آمنة.

وظيفتنا تجاه الإسلام

إذا عرفنا أن الإسلام دين الرحمة وأن نبينا عليه السلام هو نبى الرحمة كما روى عنه أنه عليه السلام قال عن نفسه الشريفة: «إنما أنا رحمة مهداة»، فما هى وظيفتنا تجاه هذا الدين الذى هو دين الرحمة؟

نقول فى الجواب إن وظيفتنا الأولى تجاه الإسلام هو عرضه، ولا يكفى عرضه نظرياً، بل لابدّ من عرضه عملياً أيضاً.

إن كثيراً من الناس لا يعرفون حقيقة الإسلام، ولو عرف الناس الإسلام على حقيقته لأقبلوا عليه، فإن فى الإسلام دقائق تكشف عن عظمته. إن الإسلام ليس رحمة للإنسان فحسب بل هو رحمة للحيوان أيضاً. ولو راجعتم كتب الروايات للاحظتم روايات عجيبة فى هذا المجال. فهناك حقوق يذكرها الإسلام للحيوان لم تصل إليها الحضارة المعاصرة رغم الشعارات التى ترفعها فى الدفاع عن حقوق الإنسان وحقوق الحيوان.

من الروايات العجيبة فى هذا المجال ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال: «نظّفوا مرابض الغنم وامسحوا رغامهنّ».

فالإسلام يقول لأتباعه: حتى مرابض الغنم ينبغى أن تكون نظيفة، والأعجب من ذلك أنه يدعوهم لمسح رغامها أى ما يخرج من أنوفها، فهل تجدون نظيراً لذلك فى عالم اليوم؟

وهناك رواية مرويّة عن الإمام الصادق عليه السلام يعدّد فيها ستة حقوق للدابّة على صاحبها؛ يقول عليه السلام:

١. «لا يحمّلها فوق طاقتها».

٢. «ولا يتّخذ ظهرها مجالس يتحدّث عليها» فإنه إذا كان معذوراً أن يركبها حال السفر والتنقّل، فهذا لا يعنى أن يُتعبها من دون ضرورة فلا ينبغى له أن يظلّ راكباً عليها يحدّث صديقاً له بل ينبغى له أن يترجّل عنها ثم يتحدّث!.

٣. «ويبدأ بعلفها إذا نزل».

وهـذا أيضـاً من عجـائب التشـريع الإسـلامى؛ فـإن السـفر يُتعب الإنسان عادةً، وعنـدما يصل المسافر يكون عادةً منهكاً يفكّر فى راحته وغذائه أولاً وهذا ما نلمسه عندما نسافر اليوم، فكيف إذا كان السـفر على الدوابّ وعبر الطرق القديمة ولكن الإمام عليه السـلام يقول: ينبغى أن تفكّر فى علف الدابّة أولاً وليس فى طعامك وشرابك.

ومن الحقوق:

۴. «ولا يسمها» فإنهم كانوا يضعون علامات على الدوابّ عن طريق كيها فى مواضع من بدنها، فنهاهم الإسلام عن ذلك.

ومن الحقوق أيضاً:

۵. «ولا يضربها فى وجهها فإنّها تسبّح».

۶. «ويعرض عليها الماء إذا مرّ به».

وفى رواية أخرى:

«وأن لا يضربها على النفار»، أى عندما تنفر.

والروايات فى هذا الباب كثيرة سواء عن النبى عليه السـلام أو عن الإمام الصادق عليه السلام وهكذا عن سائر الأئمة عليهم السلام، وما أعظم قول الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام فى هـذا المجال: «واللهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَـةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِـىَ اللهَ فِى نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ».

ولصـاحب كتاب «الحـدائق ?» بحث حول حقوق الحيوان فيه بنود متعـدّدة، يقول فى البنـد (د): «قـد صـرّحوا أى الفقهاء بأنه حيث إن ديدان القزّ إنما تعيش بالتوت أى على أوراق التوت فعلى مالكها القيام بكفايتها منه (أى هذه وظيفته الشرعية) وحفظها من التلف، فإن عزّ الورق (وشـحّ فى السوق مثلاً وغلا ثمنها) ولم يعتن بها (فإن المالك قد لا يعتنى فى مثل هذه الحالة لأنه يرى أن ذلك يكلفه) باع الحاكم من ماله واشترى لها منه ما يكفيها».

وهكذا نلاحظ أن رحمة الإسـلام تشمل حتى ديدان القز، فكما إن للإنسان حقوقاً فكذلك للحيوان، بل إن رحمة الإسلام تشمل حتى النبـات أيضـاً كمـا يظهر بمراجعـة «بحث النفقـات» من كتاب «النكاح»، ولو عُرضت أحكام الإسـلام وتعاليم النبى والأئمـة المعصومين عليهم السلام ورواياتهم على العالم عرضاً صحيحاً لأقبل نحوها أيما إقبال.

ولا بأس أن نسـتطرد لنـذكر ما نقله أحـد الإخوة المؤمنين وكان يعيش فى الغرب حيث ذكر أنه أقيم احتفال لشـخص يسـمى «هارفى» باعتبار أنه مكتشف الـدورة الدموية الصـغرى، فارتقى المنصّة وتحدّث عن اكتشافه، فصـفّق له الحاضـرون. يقول الأخ: وبعد أن انتهى تصـفيقهم أخـذت أصـفّق وحدى، فأخذوا ينظرون إلىّ وسألونى عن سـبب هذا العمل، فقلت لهم: إننى لم أصـفّق لهارفى بل صـفّقت لرجل منّا نحن المسـلمين كان يعيش قبل حوالى ألف وأربعمائـة عام، هو الـذى اكتشف الـدورة الدموية الصـغرى، فقيل لى: من هو؟ قلت: إنه إمامنا جعفر بن محمـد الصادق عليه السـلام، فقـد ذكر ذلك لتلميذه المفضّل بن عمر، كما ورد فى كتاب (توحيد المفضّل) ويمكنكم مراجعة الكتاب والتأكّد مما أقول، فصفّق الحاضرون كلّهم هذه المرة معى ولكن للإمام الصادق عليه السلام.

إن تراثنا غنى جداً ولكنا مع الأسف حصرناه فى زوايا محدودة ولم ننشره للعالم.

بعـد الحملـة العالمية التى شُـنّت على الإسـلام والتى رمته بالإرهاب والعنف، سألت أحد الإخوة المؤمنين الذين يعيشون فى الغرب عن أثر هـذه الحملات على المجتمع الغربى، فقال: لقـد ولّدت عندهم رغبة جامحة فى التعرّف على هذا الدين. فقلت له: أهى مجرد رغبة فى المعرفة أم هناك اعتناق أيضاً، فأجابنى: المعرفة طريق الاقتناع والاعتناق.

وقد نقل أن فى الغرب اليوم إقبالاً على تعلّم اللغة العربية لأنها لغة القرآن، كما نقل أن المصاحف الكريمة نفدت من الأسواق.

إن القرآن حـقّ، ومن طبيعـة الحـقّ أنه يهزم الباطـل. إن الحـقّ يخيـف أهـل الباطـل، لأـن النـاس إذا عرفوه تركوا الباطـل واتجهوا إليه، كالشـمس عندما تشـرق، حيث تُطفَأ المصابيح التى كانت مسرجة طوال الليل ويتمّ الاستغناء عنها، بل المصابيح الكهربائية نفسها عندما

اخترعت قضت على المصابيح النفطية والشموع القديمة.

إن القرآن الكريم يؤثّر فى أعماق الإنسان، وإنه ليؤثّر فينا ويهزّنا نحن الذين عشنا فى أجوائه منذ نعومة أظفارنا، فكيف بمن يسمعه لأول مرة؟!

ما ألذّ سماع القرآن وهو ينطلق من المآذن خاصة فى الأسحار! وما أعظم أثره فى النفوس! إن الطاقة التى يولّدها القرآن فى النفوس لا تماثلها طاقة.

وهكذا الأمر فى أحاديث النبى عليه السلام وأحاديث الإمام الصادق وأحاديث سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، كنهج البلاغة والصحيفة السجادية.

إن الشعوب إذا عرفت الإسلام أقبلت عليه، ولكن الحكومات المعادية للإسلام هى التى تتّهم الإسلام بالإرهاب وتسعى لتضليل شعوبها وتزييف وعيهم من خلال إلصاق التهم بالإسلام.

وقد نقل أحد الإخوة المؤمنين ممن يعيشون فى الغرب أن البقال الذى كان يتبضّع منه، طلب منه بعد الأحداث المعروفة أن لا يأتى إلى محلّه بعد ذلك، وعندما سأله عن السبب قال:

«إنى أشعر بالخوف عند مشاهدتك لأنك مسلم»

هكذا ملؤوا أدمغة الناس بالتهم والأباطيل؟!

كما نقل أخ آخر أنه التقى شخصاً من كبارهم فقال له:

«إنى عندما أرى هذه المشاهد يقشعرّ بدنى وأقول أحقّاً هذا هو الإسلام؟

يقول الأخ المؤمن: فقلت فى جوابه: لا تظلم الإسلام، فهؤلاء لا يمثّلون الإسلام إنما هم فئة منحرفة؛ لأن نبى الإسلام هو نبى العفو والرحمة والتسامح والصفح والأخلاق العظيمة، وإنه عفا حتى عمّن جيّش الجيوش ضدّه وقاد الجبهة التى قاومته وهو أبو سفيان، وعفا عن كلّ أهل مكّة، وعندما سألهم وقد ربح المعركة: ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء».

ثم قال عليه السلام: من دخل دار أبى سفيان فهو آمن! وأبو سفيان بالنسبة للمسلمين كان كهتلر بالنسبة لكم، فهل كنتم ستعاملون هتلر لو ظفرتم به كما عامل النبى عليه السلام أبا سفيان وقد أظفره الله تعالى به ونصره عليه نصراً مبيناً؟!

إذن علينا أن نعرض الإسلام من خلال سيرة النبى عليه السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام، وقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا لذلك وأن يجعل يوم ميلاد النبى الأعظم عليه السلام الذى هو إمام الرحمة كما فى دعاء التوسل، ويوم ميلاد حفيده مظهر الحقائق الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام مباركاً لنا ولكم ولجميع المؤمنين.

وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

الزهراء ?الفيصل والقدوة

الزهراء ?الفيصل والقدوة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين،

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

هذان الشهران (جمادى الأولى وجمادى الثانية) يتعلّقان بسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء.?

وحديثنا بهذه المناسبة يدور حول ثلاثة محاور، هى:

۱) الزهراء ?فيصلاً

مقدمة فى تقييم الأفكار

إن لتقييم الأفكار والنظريات والمبادئ والمذاهب طريقين هما:

الأول: الطريق المباشر، حيث يتم التوجّه إلى الفكرة مباشرة ويجرى تقييمها من خلال ذاتها، ويُنظر هل هى تتناقض مع ذاتها، ومع الواقع الخارجى أم لا؟

الثانى: الطريق غير المباشر، وذلك من خلال ملاحظة آثار الفكرة ونتائجها فى الواقع، فهذا الطريق يمثل فرداً من أفراد البرهان الإنّى مقابل اللمى المذكور فى علم المنطق، وهو الذى يُنتقل فيه من المعلول إلى العلة وذلك مثل الانتقال من وجود الدخان إلى وجود النار، فى هذا الطريق تُلاحظ نتائج الفكرة فى الواقع الخارجى والحياة العملية، ثم يُحكم من خلالها على الفكرة ذاتها وفيما إذا كانت حقاً أم باطلا!

ولسنا الآن بصدد الحكم على الطريق الثانى وأنه صحيح مطلقاً أو فى الجملة، فليس هذا مدار بحثنا، إنما الذى نريد الحديث عنه هو الواقع القائم وهو أن الناس عادة يقيّمون الأفكار من خلال نتائجها، ولايقيّمها من خلال ذاتها إلا المفكرون بل بعض المفكرين، أما الطابع العام فى المجتمعات فهو تقييم الفكرة من خلال نتائجها.

فلو أخذنا الفكر الماركسى كمثال، فهناك من المفكرين من قيّمها عبر ذاتها وأثبت بطلانها من خلال ذلك، ولكن ليس كل الناس يعرفون نظرية فائض القيمة التى طرحها كارل ماركس فى مؤلفاته، ولا كلهم يعرفون الأدوار التاريخية الخمسة التى زعمها ولكن مع هذا ترى أغلب الناس يحكمون بخطأ الفكر الماركسى من خلال ملاحظة فشل الشيوعية فى كل العالم، فلقد تحوّل الاتحاد السوفياتى السابق إلى دولة من دول العالم المتخلفة بعد أن كان إحدى القوتين العظيمتين فى العالم، وانهار الاقتصاد الشيوعى بل النظام الشيوعى فى العالم كله.

مقدمة ثانية: فى تقييم الحكومات التى حكمت باسم الإسلام

لو انتقلنا الآن إلى أدوار الحكم التى مرّت على المسلمين بعد وفاة رسول عليه السلام، وحكمت باسم الإسلام وبعنوان الخلافة، نجد فى صدرها ثلاثة أدوار تبعتها أدوار أخرى .

الدور الأول تمثّل فى حكومة الثلاثة الأوائل، أما الدور الثانى فتمثّل فى الحكومة الأموية، فيما تمثّل الدور الثالث فى حكم بنى العباس.

إننا نعتقد أن هذه الأدوار الثلاثة أعطت انطباعاً سلبياً وعكست صورة بشعة عن الإسلام لدى كثير من الناس فى العالم، ولا ننكر أن هناك مفكرين ومنصفين درسوا الإسلام من خلال ذاته، ولكن كما قلنا فى المقدمة الأولى لا يقيّم كل الناس الأفكار من خلال ذاتها بل يحكمون عليها من خلال آثارها وتطبيقاتها، ومن ثم فإن هذه الحكومات الثلاث أعطتهم انطباعاً سيئاً عن الإسلام.

والواقع أننا نستطيع القول إن كثيراً من هؤلاء الحكام كان يشبه صداماً، أفهل هناك عاقل يستعدّ للرضوخ لحكم صدام، إلا أن يُفرض عليه بالحديد والنار؟!

إن الحكام الذين حكموا باسم الخلافة الأموية والعباسية وغيرهما عكسوا صورة كهذه، فلقد رأينا معاوية مثلاً ـ يفرض ابنه على المسلمين ثم يقوم خطيبه فى المسجد فيقول: أمير المؤمنين هذا (ويشير إلى معاوية)، فإن مات فهذا (ويشير إلى يزيد)، ومن أبى فهذا

(ويشير إلى سيفه)! فيقول له معاوية: اجلس فأنت أخطب الخطباء!

أليس هذا منطق صدام؟

وفى السقيفة نفسها حدث ما يشبه هذا! فماذا كان مصير زعيم الخزرج عندما لم يرض بترشيح الأول؟

قالوا: طؤوه وهذا ما يذكره القوم فى كتبهم فوطؤوه بأقدامهم حتى كاد أن يموت، ثم قتلوه واتهموا الجن بقتله ووضعوا بيتين من الشعر ونسبوهما إلى الجن وهما:

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة

ورميناه بسهمين فلم تخطئ فؤاده

أليس هذا يشبه منهج صدام وأسلوبه فى تصفية خصومه؟

أما يزيد فقد أخذ البيعة من الناس على أنهم خدم له يباعون ويُشترَون!

إن صداماً لم يفعل هذا ظاهراً، بينما فعله يزيد وهو المسمى خليفة رسول الله عليه السلام!!

دور الزهراء ?فى فضح الحكومات الجائرة

النقطة المحورية فى هذا البحث أن أئمة أهل البيت عليهم السلام بأجمعهم قاموا عبر أقوالهم ومواقفهم ومظلوميتهم فى الفصل بين الحكومات الجائرة والإسلام.

وكان لثلاثة من المعصومين عليهم السلام دور كبير فى فضح هذه العهود الثلاثة.

فكان لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام الدور الأساسى فى فضح الحكومة الأموية وإسقاطها.

أما الإمام الذى قام بفضح الحكومة العباسية من خلال مواقفه ومظلوميته فهو الإمام الكاظم عليه السلام الذى سُجن وجرى عليه ماجرى من ظلم ومحن فى هذا الطريق.

وكان لأم الأئمة فاطمة الزهراء ?دور محورى فى هذا السبيل، إذ إنها التى قامت بفضح أخطر الحلقات والأدوار؛ وذلك لأن حكومة الأوائل هى التى مهّدت الطريق لجميع جرائم الأمويين والعباسين والعثمانيين ومن جاء بعدهم، فإن الانحراف بدأ منذ ذلك الحين، كما أن تمكين الأمويين بدأ من تلك المرحلة أيضاً.

ونجد فى الأشعار التى يرددها خطباء المنبر وشعراء أهل البيت عليهم السلام بياناً لهذه الحقيقة، يقول الشاعر:

سهم أتى من جانب السقيفة

وقوسه على يد الخليفة

أى أن السهم الذى أصاب نحر الطفل الرضيع فى كربلاء كان قد انطلق من السقيفة.

ويقول الشاعر الآخر:

اليوم من إسقاط فاطم محسناً

سقط الحسين من الجواد صريعاً

أى أنه لو لم تكن تلك الجرأة على بضعة قلب المصطفى عليه السلام وإسقاط جنينها يوم حرق الدار، لما بلغ الحال بالقوم لأن يصرعوا ريحانة الرسول عليه السلام على رمضاء كربلاء ويطؤوه بحوافر خيولهم!

إذن كان هذا السقوط نتيجة ذاك السقوط.

ويقول شاعر ثالث:

كفٌّ بها أمك الزهراء قد ضربوا

هى التى أختك الحورا بها سلبوا

فهذه الجناية نتيجة تلك!

وموقف الزهراء ?كان يحظى بالأهمية المضاعفة لأنها هى التى بدأت بحلّ عقدة الخلط بين الدين وتصرفات الحكام الظلمة، فأنقذت الإسلام من خطر الزوال، لقد قالت الزهراء ?بالموقف واللسان: «إن هؤلاء لا يمثلون الإسلام والدين والنبى عليه السلام، قالت ذلك فى خطبتها الفدكية وقالته بإخفاء قبرها وذهابها إلى ربها وهى واجدة عليهم منكرة لأفعالهم».

إن الخطبة الفدكية للزهراء ?مهمة جداً ولها تأثير كبير فى النفوس والعقول، وقد قال أحد المستبصرين:

«لقد سمعت هذه الخطبة فى شريط مسجّل، فهزّتنى وكانت الدافع لبحث انتهى بإعلانى الانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام».

وهكذا مجهولية قبرها، ?إذ كيف يمكن أن يُتصور أن يكون لعائشة وكل زوجات النبى عليه السلام قبور معروفة ولا يُعرف لفلذة كبد النبى وحبيبته قبر؟! ومهما حاول الخصوم أن ينكروا من حقائق فإنهم لا يستطيعون إنكار هذه الحقيقة، فكان هذا الموقف من الزهراء? حيث أوصت بإخفاء قبرها وعدم السماح للقوم بحضور تشييعها من المواقف المهمة التى فصلت بين الممارسات الخاطئة للحكام وبين الفكرة النقية للإسلام، وكأنها ? قالت: «إن هؤلاء الأشخاص لا يمثّلون الدين، وإنما هم حكّام متخلفون حكموا المجتمعات الإسلامية بمنطق الحديد والنار».

ونحن إذ نحيى ذكرى الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ?فإننا نحيى هذه الحقيقة أيضاً، فهى ?أعطت المقياس والحدّ الفاصل بين الفكرة والتطبيق، وأنقذت الإسلام من خطر التشويه والزوال بسبب تصرفات الحكومات المنحرفة.

۲) الزهراء قدوةً

خطر النموذج الغربى وخواؤه

ننتقل الآن إلى موضوع آخر وهو موضوع الرمز والقدوة، فنقول:

إن من الأمور التى يقوم بها الغرب اليوم صناعة الرموز فى مختلف مجالات الحياة الاجتماعية والفكرية والسياسية وهذه الرموز غير طبيعية وإنما يقومون بصناعتها بطريقة متكلفة وهذا بحث طويل لا نريد أن نخوض فيه الآن.

إن ما نتوخاه من هذا البحث ونريد قوله هنا هو أن الغرب قد صنع رموزاً للمرأة فى عالمنا المعاصر من جملة ما صنع من رموز وهذه قضية خطيرة جداً، وقد باتت خطورتها اليوم أكثر من أى وقت مضى، عندما نأخذ بنظر الاعتبار العولمة وأدواتها، فإن الناس كانوا فيما مضى فى مأمن من التخريب الثقافى إلا إذا ذهبوا إلى الغرب، أما اليوم فإن الغرب دخل إلى بيوتنا، إنه اليوم موجود فى كل بيت شئنا أم أبينا عبر شاشات التلفاز والقنوات الفضائية وشبكات الانترنيت و...

لقد صنعوا رموزاً جذابة للمرأة، فجعلوا منها نائبة فى البرلمان، ورئيسة للوزراء بل رئيسة للجمهورية فى بعض البلدان، وهذه الأمور مغرية للمرأة بلا شك.

ولكننا نعتقد أن الغرب فشل فى تحقيق هدفه، وذلك لأنه وإن دفع المرأة نحو القمة من الناحية المادية لكن ينبغى أن نعرف أن الثمن الذى دفعته المرأة كان باهضاً، كما كان يقول السيد الوالد.?

مثلاً: لو أن شخصاً مصاباً بداء السكرى جلس إلى مائدة فيها مختلف أنواع الأطعمة، فلم يلتزم بالحمية بل أكل كلّ ما يشتهى مما هو موجود أمامه، فإن الثمن الذى سيدفعه سيكون أغلى من اللذة العاجلة التى حصل عليها حين لم يملك نفسه وأطلق لها العنان.

وهكذا هو حال المرأة فى الغرب، فإن الثمن الذى دفعته لقاء المكاسب المادية التى حصلت عليها هو تحطم شخصيتها، فالمرأة الغربية محطمة، والعائلة فى الغرب محطمة، والعلاقات بين الزوجين مفككة، بل يتفق أحياناً أن تموت امرأة فى بيتها وحيدة ولا يُعرف بخبرها

الا بعد انبعاث الروائح الكريهة من المكان الذى تقيم فيه.

أما نحن فوضعنا أفضل بكثير، إن عندنا تلاحماً وتقارباً وتزاوراً، فى حين إن هذه القضايا مفقودة فى الغرب. ولذلك بدأنا نشهد الآن ردود فعل عندهم تجاه هذه الحالة، وقد تحدث أحد الخطباء الكبار عن ظهور جمعية باسم «جمعية المرأة المستسلمة لزوجها» فى الغرب، وهذه حالة مدهشة تحكى ردود الفعل على الواقع الذى بلغه الغرب فى هذا المجال.

والغريب أن عشرات الألوف من النساء الغربيات انتمين إلى هذه الجمعية، وقد ألّفت رئيسة الجمعية كتاباً يحمل الاسم نفسه (جمعية المرأة المستسلمة لزوجها) حيث طبع منه لحد الآن نصف مليون نسخة!

أما فكرة الجمعية بإجمال فنابعة من أن الحضارة المادية أجّجت الصراع فى داخل العائلة بين الرجل والمرأة من خلال خطاباتها التحريضية لكل منهما، فجعلت كلاً منها ضد الآخر والمؤسف أن هذه الحالة بدأت تتسرّب إلى البلدان الإسلامية، كلّ حسب مستوى تأثره بالحضارة الغربية.

إن الحضارة الغربية تقول للمرأة: لكِ كيانكِ وشخصيتكِ المناظرة للرجل فتمرّدى عليه فليس له قيمومة عليك بل أنت مساوية له لا فرق بينك وبينه من أية جهة، وهذا يعنى تنصيب قائدين فى موقع واحد وتأجيج الخلاف بينهما، فهل سيبقى هذا الكيان قائماً أم سيتحطم كما نرى فى الغرب؟

تقول الإحصائيات إن أرقام الطلاق فى الغرب رهيبة جداً، وكذلك حالات الانتحار الناتجة من الخلافات العائلية، أما الخيانات الزوجية فغدت أسهل من شرب الماء عندهم.

ملخص فكرة الجمعية هو العودة إلى الحالة التى كانت عليها المرأة قديماً خاضعة لزوجها، مستسلمة ومطيعة له، واعتباره القيّم على شؤونها (الرجال قوّامون على النساء)!

الزهراء ?النموذج الصالح والقدوة الحسنة

إننا نعتقد أن أفضل رمز ونموذج يمكن أن نقدمه للمرأة فى العالم كله، هى السيدة فاطمة الزهراء، ?وسيُقبل العالم على الاقتداء بهذا النموذج إن نحن نجحنا فى تعريف العالم بشخصية الزهراء.?

لقد اطّلعت سيدة يابانية فى قضية لا مجال لتفاصيلها الآن على حياة فاطمة الزهراء ?فتأثرت بها وقالت:

«هذا هو النموذج الذى كنت أبحث عنه»

ثم أعلنت إسلامها.

المرأة المعاصرة حتى المسلمة تحتاج اليوم إلى هذه القدوة المثالية، بل نحتاج إليها جميعاً فى بيوتنا وعوائلنا.

لقد كانت الزهراء ?قمّة فى حياتها الزوجية حتى قال عنها زوجها الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام: «فو الله ما أغضبتُها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل، ولا أغضبتْنى ولا عصت لى أمراً، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عنى الهموم والأحزان».

أفلا نحتاج اليوم لمثل هذا النموذج؟ أوَ لا يحتاجه العالم كله أيضاً؟

ألا تشكل الزهراء ?بديلاً أفضل من هذه النماذج المعروضة؟

وفى وصيتها هى ?تقول للإمام عليه السلام: «يابن عم ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى».

فقال عليه السلام لها: «معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبخك بمخالفتى».

ألسنا اليوم بأمسّ الحاجة إلى هذا المثال؟! وكان أبوها النبى عليه السلام قد أوصاها أن لا تطلب شيئاً من زوجها.

وقد ذكر المؤرخون:

«أنه دخل الإمام عليه السلام الدار يوماً فقال لها: يا فاطمة هل عندك شىء؟ قالت: والذى عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا

شيء آثرتك به؟ قال: أفلا أخبرتني؟ قالت: كان رسول الله عليه السلام نهاني أن أسألك شيئاً».

أفتوجد اليوم امرأة لا تطلب من زوجها شيئاً وتصبر على ذلك ثلاثة أيام؟

ألا يحتاج العالم لهذا النموذج الذى يأخذ بيده من هوّة الماديات السحيقة إلى قمة المعنويات والكمال والحياة السعيدة؟

لقد أنجبت السيدة الزهراء وربّت خيرة النساء؛ زينب وأم كلثوم، وخيرة الرجال؛ الحسن والحسين عليهم السلام.

فما أحوجنا اليوم إلى الاقتداء بها فى حياتها العائلية؛ مع زوجها وأبنائها؟ وما أحوجنا إلى الاقتداء بجهادها وصبرها، فلقد كانت مجاهدة من الطراز الأول، وأنجبت أئمة معصومين جاهدوا ضد الطغاة والحكومات المستبدة فكانوا بحقّ قلاع الحرية الحقيقية، ونحن اليوم بحاجة إلى هذه النماذج، وينبغى لنا عرضهم رموزاً وقدوات فى بلادنا وفى العالم كله.

الغرب بأمسّ الحاجة إلى الرموز المعنوية

هل سمعتم بجسر الانتحار فى لندن؟ يقول أحد الإخوة ممن كانوا هناك:

«لا حظت أنهم صنعوا لأحد الجسور حاجزاً من الجانبين، فسألت عن السبب، فقيل لى: إن هذا الجسر يقع على شارع للسير السريع، فكان الذين يريدون الانتحار يلقون بأنفسهم منه للشارع الذى تحته فتدهسهم السيارات المسرعة، وقد بنى على جانبيه هذا الحاجز للحد من حالات الانتحار المتزايدة يومياً».

فأية حياة يعيشها الغربيون؟ هل هذه هى الحضارة التى يتبجحون بها؟ إنها ليست سوى مظاهر خاوية من الداخل، مثلها مثل من أشرف على الموت لإصابته بمرض عضال كالسرطان ولكنه يحتفظ بمظهر طبيعى!!

ولذلك إذا عُرض على الغربيين الإسلام بشكل صحيح أقبلوا عليه، لكن المشكلة فى أن عرضنا ضعيف.

نقل وكيل أحد التجار فى طهران أن أحد المؤمنين كان قد أعطاه كتاباً للوالد ?حول الإسلام، فأهداه فى إحدى سفراته الأوربية إلى امرأة تعمل فى شركة يتعامل معها، فلم يمض يوم على قراءتها الكتاب حتى اعتنقت الإسلام!.

مسؤوليتنا تجاه الزهراء؛ ?فراغات لابد من ملئها

هناك فراغات كثيرة فيما يتعلق بمسؤوليتنا تجاه الزهراء عليه السلام وبخاصة فى شهرى جمادى الاولى والثانية، ومنها:

١. لقد ألّف العامة فى «فقه عائشة»، ولا أدرى هل من فقهها خروجها على إمام زمانها الذى قال فيه النبى عليه السلام: حربك حربى؟! ولم يكتب أحد على حدّ علمى فى «فقه فاطمة» ?بشكل مستقل إلا السيد الوالد، ?ولكن المشروع بحاجة إلى المتابعة.

٢. ثمة فراغ فى مخاطبة العقل الجامعى، أجل إن الكتب الموجودة عندنا جيدة، ولكن لكل جيل عقلية معينة، فعلينا أن نؤلف كتباً عن السيدة الزهراء ?تخاطب عقلية الجامعيين.

عندنا كتب عن الحجاب ولكن كم منها يتحدث بلغة الفتيات الجامعيات؟ هذا فراغ ينبغى ملؤه أيضاً.

٣. وهناك فراغ فى الكتب التى تخاطب العقل الغربى، فللغربى عقلية معينة تختلف عن عقلية الشرقى، وأسلوب الكلام الذى تقوله للشرقى ربما لا يقبله الغربى، إذن نحن بحاجة إلى كتب تخاطب العقل الغربى، وقد شاهدت قبل أيام كتاباً كتب خصيصاً لمخاطبة العقل الغربى عن الزهراء، ?ولكن ينبغى المزيد، ففى هذا المجال يوجد فراغ أيضاً.

٤. وأخيراً لدينا فراغ فى مجال المؤسسات الاجتماعية الصغيرة، وأعنى بها التجمعات والمجالس البيتية، وهذه مهمة جداً.

لا شك أن للكيانات والمؤسسات الكبيرة كالحسينيات والمساجد دورها المهم والمؤثر، بيد أن للمجالس الصغيرة البيتية دورها الخاص الذى قد لا تنهض به المراكز الكبيرة، إذن فلنشجع على هذه الظاهرة ظاهرة تشكيل المجالس البيتية وبخاصة فى أيام جمادى الأولى والآخرة.

نقل لى أحد المؤمنين فى الكويت أنه ذهب إلى البحرين لصفقة تجارية مع أحد التجار البحرينيين الذين يتعامل معهم، فأخبره أنه سيلتقيه اليوم التالى، ولكن الأخير اعتذر وقال إنه يعطل عمله يوم غد، يقول التاجر الكويتى:

«فتعجبت وقلت: وما المناسبة ولا توجد عطلة رسمية أو عيد ولا هو بيوم جمعه مثلاً؟ فقال: أنت شيعى ولا تعرف! غداً يوم وفاة فاطمة الزهراء ?وعندنا عطلة.

يقول الكويتى:

«فأسفت على غفلتى وأنا الشيعى، واهتمام هذا التاجر بالموضوع مع أنه من أبناء العامة، فعقدت العزم على إقامة مجلس العزاء فى بيتى كل عام بهذه المناسبة، وأنا مستمرّ على ذلك منذ حوالى أربعين سنة، وقد لمست منه الخيرات والبركات الكثيرة».

فلنشجع أبناءنا على إحياء هذه المناسبة وإقامة هذه المجالس التى قد تستمر بعدنا عشرات الأعوام، كما أن فى طهران اليوم مجالس يعود تاريخها إلى أكثر من مئة عام.

ويوم كان الوالد ?فى الكويت شجّع هذه الظاهرة، وها نحن نلمس النتائج، فهى اليوم بالمئات، وإننى لا أذكر أن أحداً بدأ مجلساً ثم تركه بل هى مستمرة حتى يومنا هذا لما لمس أصحابها فيها من الخير والبركة، فلنحاول جهدنا لملء هذا الفراغ أيضاً.

وستكون هذه الأعمال ذخراً لآخرتنا إن شاء الله تعالى، وقد نقل لى أحد الإخوة الذين حضروا دفن السيد محمد كاظم القزوينى ?أنهم وضعوا كتاب «فاطمة من المهد إلى اللحد» الذى هو أحد تأليفاته مقابل وجهه فى قبره بناءً على وصيته، ويوم القيامة يأتى السيد القزوينى ومعه كتاب «فاطمة من المهد إلى اللحد»، ويأتى السيد كاظم الكفائى ?ومعه كتابه المشهور «الزهراء فى الأدب والتاريخ» ذلك الكتاب الذى حُكم عليه بسببه بالإعدام فى عهد الحكم البائد فى العراق، ولكن الله تعالى نجّاه، ويأتى العلامة الأمينى ?ومعه «الغدير» وهكذا صاحب العبقات، وقد نقل عن أحد علمائنا الماضين ?أنه سأل عن أشدّ المناطق نصباً لأهل البيت عليهم السلام ثم شدّ الرحال إليها لكى ينشر بينهم الولاء لآل البيت عليهم السلام. وثمة شخص آخر استشاط المخالفون غضباً من جهوده فى خط أهل البيت عليهم السلام فقرروا الانتقام منه ومن الذين اهتدوا على يديه، فأحاطوا بالمسجد الذى كان فيه وأحرقوه بمن فيه، فاستشهد هو والمؤمنون الذين كانوا معه، ?وسيأتى هذا الرجل ومعه هذه التضحية الكبرى كوثيقة للشفاعة يوم القيامة، فبماذا سنأتى نحن؟

هل فكرنا فى ذلك؟

إن امرأة مؤمنة باعت ذهبها وتبرعت بثمنه لطباعة كتاب عن أمير المؤمنين عليه السلام، كما باع الشيخ محمد جواد البلاغى ?بيته فى سبيل نشر الدين، أفلا نقدّم نحن أيضاً ما نقدر عليه فى هذا الطريق، ليكون وثيقة من وثائق الشفاعة فى يوم القيامة? يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ?بإذن الله تعالى؟!

أسأل الله تعالى التوفيق لى ولكم لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

فاطمة الزهراء ?المقامات الغيبية والوجه الحضارى

فاطمة الزهراء ?المقامات الغيبية والوجه الحضارى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

حديثنا فى هذه المحاضرة عن الصدّيقة الزهراء ?فى فصلين:

الفصل الأول: فى المقامات الغيبية للصدّيقة الطاهرة ?فى إطارها الكلّى.

الفصل الثانى: فى الوجه الحضارى للصدّيقة الطاهرة.?

الفصل الأول: المقامات الغيبية

الفصل الأول: المقامات الغيبية

هنالك اتجاه انتشر فى العقود الأخيرة بين البعض يمكن أن نطلق عليه التفسير المادى للدين. نتناول بيان هذا الاتجاه ومناقشته فى البحوث التالية:

البحث الأول: لماذا نشأ هذا الاتجاه؟

البحث الثانى: ما هو الموقف إزاء هذا الاتجاه؟

البحث الثالث: ما الفائدة من البحوث التى تتناول المقامات الغيبيّة؟

البحث الأول: سبب نشوء التفسير المادى للمسائل الدينية

لقد نشأ اتجاه التفسير المادى لدى البعض فى تفسير المعتقدات والمسائل الدينية، على أثر عوامل منها المد المادى الغربى الذى حصل كرد فعل على التجربة المريرة التى خاضها المجتمع الأوربى مع الكنيسة التى كانت تفرض أفكارها الخرافية على الناس باسم الدين.

ولا يخفى أن مثل هذه الأفكار الخرافية موجودة حتى الآن عند بعض مشايخ الوهابية، فهنالك مثلا كتاب لأحد شيوخهم يصرّ فيه على أن الأرض ساكنة ويكفّر أو يضلّل كلّ الذين يخالفونه فى ذلك. ومن أدلته على رأيه أننا عندما ننهض كل صباح نرى البقال والعطار والخباز كلًّا فى مكانه، ولو كانت الأرض متحركة كان البقال يوماً فى الجانب الأيمن ويوماً فى الجانب الأيسر مثلا .

يقول الشيخ فى كتابه أيضاً:

«كثيرون نصحونى أن لا أكتب هذا الكتاب ولكن الحق أحق أن يقال»!

هكذا كان حال رجال الدين المسيحيين فكانوا يعتقدون بنظريات باطلة يرفضها العلم، وكانوا يصرون عليها ويكفّرون من يقول بخلافها، ويفتون بقتله، فكانوا يتهمون العلماء بالإلحاد ويحكمون عليهم بالإعدام بسبب نظرياتهم العلمية التى تناقض أفكار الكنيسة.

هذه الحالة خلقت ردّ فعل فى الغرب وظهر اتجاه يرفض القضايا الغيبية برمّتها ويقول إن كلّ المعارف البشرية الصحيحة هى التى تبتنى على التجربة والمشاهدة، والتى يمكن إثباتها فى المختبر أو عبر المعادلات الرياضية، أما الأشياء الغيبية فكلها لا اعتبار لها لأنها غير خاضعة للحس والمشاهدة والتجربة. وشيئاً فشيئاً طغت هذه النزعة على الغرب عموماً.

وحيث إن حضارة الغرب هى الحاكمة اليوم وهذا شىء لا ينكر، فلقد كنا فى يوم من الأيام نحن أصحاب الحضارة الحاكمة وكان الغرب محكوماً، وعدنا اليوم محكومين والغرب حاكماً والحضارة الحاكمة تؤثر فى الحضارات المحكومة، كانت النتيجة أن انتشر هذا الاتجاه (الذى يؤمن بالعلم التجريبى فقط) فى أوساط مجتمعاتنا وتأثر به بعض المتدينين أيضاً، فأخذوا يحللون الأمور تحليلاً مادياً، أما القضايا التى ترتبط بالغيب فإنهم يحاولون إلغاءها أو تأويلها بنحو من الأنحاء.

البحث الثانى: الموقف من الاتجاه المادى

فى بيان هذا الموقف نقول: الدين والغيب أمران متلازمان لا ينفكان، ولو جُرّد الدين من الغيب لم يعد ديناً بل أصبح قانوناً كسائر القوانين الوضعية السائدة. الدين لا ينفك عن الغيب بل يبتنى عليه، فلو جرّدتَ الدين من الغيب فقد جردته من قاعدته التى يبتنى عليها.

فالألوهية غيب، وهى القاعدة الأولى التى يبتنى عليها الدين، ويعبَّر عن الله سبحانه ب «غيب الغيوب» و «الغيب المطلق». وفى الحديث الشريف: «وإن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»، أى كما أننا لا ندرك كنه الله سبحانه لأنه غيب فكذلك الملائكة لا يعرفون

كنه الله تعالى!

بل صفات الله غيب أيضاً، فنحن نعلم أن الله عالم ولكن ما حقيقة علم الله؟ إنّه غيب، وكل المحاولات البشرية لاكتشاف كنه صفات الله محاولات فاشلة.

والنبوة غيب، لأنها تبتنى على الوحى وهو غيب. وهكذا المعاد.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «سلكوا فى بطون البرزخ سبيلاً».

فمحاولة إخضاع كل شىء فى الدين للمعادلات المادية، معناه إلغاء القاعدة التى يبتنى عليها الدين.

كما أن هنالك بعض التفاسير للقرآن الكريم اتّسمت بالتفسير المادى للمفردات الدينية فهى تحاول أن تؤوّل كل شىء غيبى فى القرآن، ومن الأمثلة على ذلك: محاولة تأويل قوله تعالى فى سورة البقرة?: ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ، ?وقوله تعالى: ?فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا.?

وهناك بعض المفسّرين يؤولون قوله تعالى?: وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ?تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ?بالقول: إن الطير والحجارة فى الآية كناية عن ميكروب مرض قاتل انتشر بين صفوف الجيش!

ولكنا نسأل هؤلاء: ماذا تفعلون مع الجن والملائكة؟ وماذا تقولون فى المسيح وإحيائه الموتى وإبرائه الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى؟! وكيف ستؤولون قول الله تعالى?: قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ?وعشرات الآيات الغيبية الأخرى؟ بل إن القرآن مشحون بالقضايا الغيبية من أوله إلى آخره، فلا داعى للتأويل بل إما أن يقبل الإنسان بالغيب ككل أو يرفضه ككل؛ لا أن يلغى الأحاديث الشريفة ما أمكنه، ويقوم بتأويل الآيات الكريمة لأنه لا يمكن إنكارها!

المبحث الثالث: الفائدة من البحث فى المقامات الغيبية

يقول بعض الناس: عرفنا أن للزهراء ?مقامات غيبية، وأنها كانت تعلم الغيب مثلاً، أو أنه حصل كذا وكذا فى الملأ الأعلى عند زواجها، ?فما هى الفائدة أو الثمرة التى نجنيها من هذه المباحث وأمثالها؟

الجواب على هذه الإثارة بجوابين: نقضى وحلّى.

- أما الجواب النقضى فيمكن طرحه فى ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: مباحث علم الكلام

فنقول: وما هى فائدة كثير من مباحث علم الكلام والحكمة الإلهية؟ فمثلاً: ما فائدة معرفة أن الممكن مركب من وجود وماهية؟ وما الثمرة التى نجنيها من معرفة أن الوجود مشترك أو غير مشترك وأنه مشترك لفظى أو معنوى؟ وأنه حقيقة واحدة أم حقائق متعددة؟ وأن الوجود أصيل أو الماهية؟ هل هذه البحوث يمكن أن تحلّ محل الماء والخبز؟ أم يقال فى الجواب: ليس بالماء والخبز وحدهما يحيا الإنسان!

وإذا كان الأمر كذلك فلماذا يوجَّه الإشكال على بحث المقامات الغيبية للصديقة الزهراء وأهل البيت عليهم السلام، ولا يوجّه لمباحث علم الكلام؟

المستوى الثانى: العلوم الطبيعية

فنقول: وما فائدة كثير من المعارف فى العلوم الطبيعية؟ مثل معرفة أن الشمس تبعد عنا كذا ميلا مثلاً؟ فهل بحوث كهذه تبنى بيتاً يسكن فيه الإنسان؟

أم يقال فى الجواب: ليس المطلوب من المعرفة دائماً أن تؤمّن بيتاً للإنسان؟

فإذا كان هذا الإشكال لا يرد هناك، فكذلك لا يرد هنا.

المستوى الثالث: العقائد الدينية

وقد يترقى بعض فيقول: وما الفائدة فى كثير من البحوث العقائدية مثل أن الله تعالى واحد أم اثنان؟!

إذن، الإشكال عام ومشترك ولا يرد على المقامات الغيبية وحدها، وهذا هو الجواب النقضى.

•أما الجواب الحلى فنقول:

أولاً: إن المعرفة مطلوبة لذاتها أى لها قيمة ذاتية، وهذه هى الفائدة العلمية.

ثانياً: إن للبشر ميلاً فطرياً لمعرفة الغيب، فإذا لم يملأ هذا الفراغ بالمعرفة الصحيحة ملأته الخرافة والأباطيل.

والدليل على ذلك أنا نرى النزعة الغيبية حتى بين الكفار، فالعرّافون لهم فى الغرب موقع كبير وسوق رائجة، وهكذا المنجمون والسحرة.

ثالثاً: هناك فرق كبير بين أن نعرف أن الإمام بشر عادى مثلنا فى كل شىء وبين أن نعرفه بمقامه الغيبى، ففرق مثلاً أن نعرف أن الإمام الرضا عليه السلام كان إماماً مفترض الطاعة وحسب، وبين أن نعرف أنه حى وناظر إلينا يسمع الكلام ويرد السلام، كما نقل عن أحد علمائنا أنه رأى الإمام يردّ سلام زائريه فرداً فرداً، فكما أن العالم خشيته من الله أكثر لأن معرفته بالله أكثر؛ قال تعالى?: إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء ?فكذلك سيزداد تعظيمنا لأئمتنا عليهم السلام إذا ما عرفنا مقاماتهم الغيبية.

إذن لابد من عرض المقامات الغيبية للأئمة عليهم السلام وللصديقة الزهراء ?ولكن مقروناً بالتحليل والتعليل حتى لا تستثقله بعض الأذهان.

وبهذا ينتهى البحث عن المقامات الغيبية للصديقة الزهراء ?فى إطاره الكلّى وندَع البحوث التفصيلية لموقع آخر.

الفصل الثانى: الوجه الحضارى للصديقة الزهراء?

الفصل الثانى: الوجه الحضارى للصديقة الزهراء?

وهذا البحث يأتى مكملاً للبحث الأول (المقامات الغيبية) وهو بحث مهم جداً بل قد يكون واجباً بالوجوب المقدمى فى عالم اليوم؛ فإن العلماء يقولون إن مقدمة الواجب واجبة إما بالوجوب العقلى أو بالوجوب العقلى والشرعى معاً، فهم وإن اختلفوا فى نحو الوجوب إلا أن أصل الوجوب ليس محل خلاف.

وفى البدء أنقل لكم بعض القصص الواقعية لبيان حاجة الإنسان المعاصر إلى القيم وتعطشه إلى الأخلاقيات.

•القصة الأولى تعود لشاب خليجى كان يعيش مع شخص مسيحى فى بيت واحد، فكان يجلب له الطعام دائماً، فتأثر المسيحى بهذا السلوك وأعلن عن رغبته فى اعتناق الإسلام.

•والقصة الثانية: إن رجلا كافراً كان يرقد فى المستشفى فرأى أن جاره المسلم يزوره أصدقاؤه المسلمون أما هو فحتى ابنه لا يزوره، وعندما سأل جاره عن السبب قال:

«إن ذلك يعود لثواب عيادة المريض فى الإسلام. فقال المسيحى: أما أنا فابنى ينتظرنى حتى أموت لكى يبيع جثتى للمشرحة ثم اعلن إسلامه»!

•أما القصة الثالثة فتعود لشاب من دول الخليج يدرس فى إحدى الجامعات فى الغرب، يقول:

«كنت ذاهباً إلى الجامعة وكان الحضور فى ذلك اليوم مهماً جداً ربما لامتحان أو أمر مهم آخر إذ هطل المطر بغزارة، فاستظل الناس بسقف فى انتظار أن يتوقف المطر، وكنت أحمل مظلة، فرأيت فى الأثناء امرأة واقفة متحيرة لا تعلم ماذا تفعل، لأن المطر قد لا ينقطع بسرعة فيدركها الوقت ويفوتها الحضور فى الجامعة.

فأخذتنى الشفقة عليها لأنها فتاة فدنوت منها وسلّمتها المظلّة ثم ذهبت إلى الجامعة تحت الأمطار.

وبعد بضعة أيام رأتنى الفتاة فقالت لى: لقد حققت عنك فعرفت أنك من البلد الفلانى وأنك تدين بالإسلام، وأن ما قمت به تجاهى ينبع من بند فى دينكم يسمى الإيثار، وهذه القيمة مفقودة عندنا، ولقد أعجبنى دينكم، فعلّمنى كيف أدخل فيه!».

وما أكثر القيم التى توجد عندنا ولا مفهوم لها عند كثير من الغربيين، وإحدى هذه القيم قيمة الضيافة، وقد نقل أحد الإخوة أنه حتى الزوجين ربّما يدفع كل منهما ثمن طعامه بنفسه إذا دخلا المطعم.

وهذه الحالة المادية أثرت حتى على بعض المسلمين الذين ذهبوا إلى الغرب، ولذلك ترى تفكيرهم مادياً صرفاً، ولا يعملون شيئاً إلا بعد معرفة مردوده المادى ويحسبون حتى للدقيقة التى يصرفونها مع أحد بما يجنونه من ربح مادى فقط.

وفى ظل سيطرة التفكير المادى شهد الغرب تفككك الأسرة وغياب القيم الإنسانية، فالأب يُخرج أبناءه من البيت ليتدبروا أمرهم ولا يعد نفسه مسؤولاً عنهم، والأولاد لا يكترثون بما يحلّ بآبائهم وأمهاتهم، وبعض الأبناء ينتظر موت أبيه ليبيع جثته، أما الاحترام والطاعة والتفقد للوالدين فلا وجود لها غالباً فى المجتمع الغربى.

والأخلاق أصبحت أخلاقاً مادية، فالشخص لا يعود صديقه المريض إلا إذا رأى أن فى ذلك نفعاً مادياً له.

وإذا كان موقف واحد من شاب مسلم أثّر فى فتاة غربية وحوّلها إلى الإسلام فكيف إذا عرضنا حياة فاطمة الزهراء ?على العالم، وحياتها كلها مواقف وقيم؟!

من مواقف الزهراء

- لقد تصدقت الزهراء ?حتى بالقميص الجديد الذى أعطاها أبوها رسول الله عليه السلام بمناسبة زواجها.
- وتصدقت بطعامها هى وزوجها وأطفالها وهم صائمون لثلاث ليال متوالية على المسكين واليتيم والأسير الكافر!
- وقد دعت من الليل إلى الصباح لجيرانها قائلة: الجار ثم الدار.

حقاً ماذا رأى جورج جرداق فى حياة على عليه السلام حتى أصبح مغرماً به هكذا؟ لا شك أنه رأى مواقفه النبيلة المعبرة عن القيم الإسلامية.

وذلك المسيحى (انطون بارا) ماذا رأى من الحسين عليه السلام حتى كتب كتاباً حوله؟

وهناك كتاب ألّفته مؤلفة مصرية عن سيدة النساء الزهراء ?اطّلعتْ عليه امرأة يابانية فأسلمت وقالت:

«لقد أدركت أن فاطمة الزهراء ?هى المثل الأعلى لى فى حياتى وأسلمتُ على أثر قراءتى هذا الكتاب».

والحقيقة إن فى تاريخ قادتنا الألوف من هذه المواقف ولكنها تحتاج إلى عرض وبيان، وقد ذكر السيد الوالد ?فى مقدمة كتابه «فقه الزهراء» ?بعض القضايا الحضارية فى حياة الزهراء ?والتى يمكن أن تعرض على عالم اليوم وتؤثر فيه.

الخلاصة

إن علينا أن نتحرك بمقدار وسعنا لنشر وتوضيح هذين البعدين: المقامات الغيبية والوجه الحضارى فى حياة الصديقة الزهراء، ?ولا نحتج بعدم قدرتنا على ذلك، إذ القدرة متوفرة غالباً.

كان أحد العلماء يقول:

«إنى حجة الله على جميع الطلبة، فما من عذر يأتى به طالب إلا وقد وجد فى حياتى دون أن يمنعنى عن الاستمرار والمواصلة، فإذا احتج أحدهم بالفقر قلت له: لقد كنت أكثر فقراً منك. وإذا قال أحدهم: لقد بدأت متأخراً فى طلب العلم، فإنى قد بدأت بتعلم الأوليات وأنا فى (حوالى) الثلاثين من العمر. وإذا قال أحدهم إن ذاكرته كانت ضعيفة، فأنا كنت أنسى حتى أسماء أولادى وأضلّ أحياناً الطريق إلى بيتى بسبب ضعف ذاكرتى».

المهم أن الإنسان القادر لا يعذر وعليه أن يؤدى الدور المطلوب منه على مقدار طاقته ووسعه.

•لقد تبرعت امرأة فى الكويت بميراثها من أبيها فى بناء حسينية مازالت قائمة حتى الآن.

•واستطاع حارس ليلى فى الكويت أن يبنى حسينية، وهى حسينية جومدار المعروفة.

•وقد وفق شخص يبيع السماورات فى مشهد واسمه عابدزاده لبناء أربع عشرة حسينية بأسماء الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام.

•كما نُقل أن الشيخ عباس على الإسلامى وفّق لبناء أربعمائة مشروع خيرى وأول مشروع بدأه فى بيته، فقد كان يجمع الأفراد فى غرفته يعلمهم القرآن، فيما كانت تذهب زوجته إلى المطبخ وتبقى فيه خلال تلك المدة التى قد تستغرق بضع ساعات؛ لأنه لم تكن فى البيت غرفة أخرى.

أفلا يكون هؤلاء وأمثالهم حججاً على كثير منا فى يوم القيامة؟

إذن ينبغى علينا أن نؤدى دورنا فى هذا المجال ولا نتذرع بعدم القدرة؛ فكلٌّ مطلوب منه على قدر إمكانه، ولله على الخلق الحجة البالغة.

نسأله سبحانه أن يوفقنا للخدمة فى سبيله.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

بيت الزهراء ?نموذجاً

بيت الزهراء ?نموذجاً

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقدّمة

نحن الآن على أعتاب ميلاد سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين، الصديقة الكبرى، ومن على معرفتها دارت القرون الأولى فاطمة الزهراء، ?وحديثنا فى هذه المحاضرة عن بيت الزهراء.?

وقبل أن ندخل فى صلب الموضوع نقدّم مقدمة وهى: أن كل قيمة من القيم النبيلة إذا أريد لها أن تكون قائمة فى داخل النفس البشرية، أو على أرض الواقع الخارجى فلا بد أن يكون هنالك نموذج واقعى يمثّلها؛ وذلك لأن للمثل والنماذج الواقعية من الباعثية أضعاف ما للأفكار المجرّدة.

فإذا كان عندك طفل فى البيت مثلاً وأردت أن تدفعه لحفظ القرآن الكريم، فهل يكون لبيان الفكرة له (كالقول بأن حفظ القرآن نور وبركة) من التأثير مثل ما لو أريته نموذجاً واقعياً وقلت له: انظر إلى هذا الطفل فهو فى عمرك ولكنه يحفظ القرآن كله؟!

ومن لطف الله ورحمته بنا نحن البشر أنه تعالى جعل لنا أمثلة واقعية للقيم النبيلة، بل جعل سبحانه فوق ذلك ينابيع لتلك القيم.

فكما أن الله تعالى جعل لنا ينابيع فى عالم الماديات، فجعل الشمس نبعاً للدفء فى هذا العالم، وجعل العيون ينابيع للمياه العذبة، فكذلك جعل لنا ينابيع ثرية فى عالم المعنويات فى مختلف المجالات.

فالنبى يعقوب عليه السلام منبع الحنان الأسرى على مرّ التاريخ.

والنبى نوح شيخ الأنبياء عليه السلام منبع الاستقامة.

والنبى أيوب عليه السلام منبع الصبر،

والنبى آدم عليه السلام الذى بكى حتى صار على خده كالأخدود، منبع التوبة. والنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) الذى قال: ?إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى ?مثال التحدى والهجرة وينبوعهما.

والنبى عيسى عليه السلام منبع التبتل والإعراض عن الدنيا والانقطاع عنها.

أما المثال والينبوع الذى يمثل جميع القيم الخيرة والنبيلة فى الحياة فى أعلى صورها ومراتبها فهو محمد وآل محمد عليهم السلام.

مثال البيت الصالح والسعيد

إذا كان الإنسان يحتاج فى كل تلك القيم إلى مثل وينابيع، أفلا نحتاج فى تشكيل البيت الصالح والسوى والسعيد إلى نموذج ومثال يَستلهم منه ما يؤمّن الدنيا والآخرة: الرجل والمرأة والأولاد؟!

نستطيع القول فى الجواب: أجل، وأفضل نموذج لهذا البيت الصالح والسعيد هو بيت على وفاطمة.?

عندما نزلت هذه الآية الكريمة? فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ?قام رجل وهذه الرواية رواها العامة والخاصة فقال: أى بيوت هـذه؟ فقال النبى عليه السلام: بيوت الأنبياء. فقام رجل آخر وأشار إلى بيت على وفاطمة ?وقال: هذا البيت منها؟ فقال النبى عليه السلام: نعم من أفضلها.

ووجود «من» التبعيضية فى عبارة الرسول عليه السلام إما أن يكون من باب إجابة الرجل السائل على قدر عقله، أو أن الجواب محيّث أى أنه كذلك من بعض الحيثيات وإن كان هو الأفضل على الإطلاق من حيثيات أخرى، فهل هناك بيت يضم معصومَين غير بيت على وفاطمة؟ ?لا ـ شك أن النبى عليه السلام أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، ومن فاطمة الزهراء ?ولكن بيت النبى لم يضمّ معصومَين فإن خديجة ?لم تكن معصومة بالمعنى المعروف للعصمة.

ولئن كانت مريم ?معصومة لكنها لم يكن لها بيت بالمعنى المتداول للكلمة.

إذن يمكن القول إن بيت على وفاطمة ?هو أفضل البيوت على الإطلاق من هذه الحيثية.

معالم البيت الفاطمى

معالم البيت الفاطمى

امّا معالم هذا البيت الشريف فهى كثيرة ومنها أنّه:

۱. بيت لا توقعات فيه.

۲. بيت لا توتر فيه.

۳. بيت لا تعقيد فيه.

۴. هو بيت العمل.

۵. هو بيت التعاون.

۶. هو بيت المحبة.

۷. هو بيت التربية.

ونقتصر فى هذه العجالة على شرح مختصر للمعالم الثلاثة الأولى.

۱. بيت لا توقعات فيه

البيت الذى لا توقعات فيه بيت سعيد، والمجتمع الذى لا توقعات فيه مجتمع سعيد، فالتوقعات من المناشئ المهمة للمشاكل والخلافات العائلية وهى أيضاً من مناشئ النزاعات والحروب الدولية.

وحيث إن المنظومات الفكرية للأفراد تختلف، وحيث إن الطبيعة النفسية والبدنية للرجل تختلف عن الطبيعة النفسية والبدنية للمرأة، فمن الطبيعى ان لايفهم أحد الطرفين بعض توقعات الآخر أو لايقتنع بها، ومن هنا تنشأ المشاكل بين الطرفين، وهذا لا يصدق على الحياة العائلية فقط بل ينسحب على الحياة الاجتماعية أيضاً، فعدم فهم التوقعات أو عدم الاستجابة لها قد يؤديان بعلاقة عمرها ثلاثون عاماً!

وكم ستكون علاقاتنا لطيفة إذا حصلت عندنا القناعة وقللنا من توقعاتنا من الآخرين؟!

وبيت على وفاطمة ?كان بيتاً خالياً من التوقعات.

•فلقد روى «أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام طلب طعاماً من الزهراء ?فقالت: منذ يومين ولا يوجد عندنا طعام! فقال لها: ولم لم تخبرينى؟ قالت: إنى لأستحيى من إلهى أن أكلفك ما لا تقدر عليه».

فأين هذا النموذج من واقع مجتمعاتنا، حيث يكلّف كلّ من الرجل والمرأة: الآخر ما لا يطيق فى كثير من الأحيان؟

وفى رواية أخرى: فقال لها (أمير المؤمنين عليه السلام) يوماً: يا فاطمة هل عندك شىء؟ قالت: والذى عظّم حقك ما كان عندنا منذ ثلاث إلا شىء آثرتك به. قال: أفلا أخبرتنى؟ قالت: كان رسول الله عليه السلام نهانى أن أسألك شيئاً فقال: لا تسألى ابن عمك شيئاً إن جاءك بشىء عفواً وإلا فلا تسأليه.

حقّاً لو وُجدت هذه الحالة فى العوائل، فكم ستشعر بالسعادة والهناء؟

۲. بيت لا توتر فيه

إن التوتر أصبح معلماً من معالم العصر، فالعلاقات بين الدول يشوبها التوتر، والعلاقات الاجتماعية، يشوبها التوتر وعلاقة الرجل والمرأة فى داخل البيت يشوبها التوتر، وحديثنا فعلا فى البند الأخير، فالرجل ينتقد المرأة وهى تنتقده وكلّ منهما يهجر الآخر، ولا شك أن وضع الغرب أسوأ بكثير منا فى هذا المجال، وكلما اقتربنا من الغرب وثقافته أكثر تفاقمت هذه المشكلة فى بلادنا أكثر.

صحيح أن الغرب متقدم علينا من الناحية المادية ولكنه يعيش خواءً معنوياً فى كل المجالات، والحديث عن الخواء المعنوى والروحى فى الغرب حديث طويل لامجال له الآن، ولكن تكفى الإشارة إلى بعض مظاهر ذلك الخواء من قبيل التوتر والقلق والكآبة وحالة السبعية والعدوانية؛ حيث إن كلا يريد افتراس الآخر، إلى غير ذلك.

لقد صدر كتاب يؤرّخ لحياة عبقرى من عباقرة الغرب العظام.

وقد ورد فى هذا الكتاب أن هذا العبقرى لم يستطع أن يعيش مع زوجته طويلاً فسرعان ما طلّقها. (لقد بلغ الحال ببعض الغربيين أنهم لايطيقون العيش مع زوجاتهم إلا فترة محدودة فيطلّق الزوج زوجته ولم يمضِ على زواجهما أكثر من سنتين، وبعضهم يطلق زوجته قبل ذلك خلافاً للعوائل المتدينة التى يعيش فيها الزوجان عادةً معاً إلى آخر عمرهما وإن بلغا أكثر من ثمانين سنة! فهكذا كان يعيش آباؤنا وأمهاتنا).

ولم يكتف هذا العبقرى بتطليق زوجته بل أخذ يؤذيها واستمر على إيذائها حتى أُصيبت بخلل نفسى ظلت تعانى منه إلى أن ماتت.

هذا مع أن الله تعالى يقول لنا فى القرآن الكريم?: فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ?أى إن أردت أيها الرجل أن تحتفظ بزوجتك فاحتفظ بها ولكن ليكن تعاملك معها بمعروف، وإن شئت طلاقها فليكن طلاقك لها بإحسان، ولا يحلّ لك أن تُلحق بها الأذى فى حالة الزوجية أو تلاحقها بالإيذاء بعد الطلاق، بل فوق ذلك يقول الله تعالى?: وَمَتِّعُوهُنَّ ?أى اعطوهن ما يتمتعن به بعد الطلاق ويجبر خاطرهنّ الكسير، من دار أو خادم أو خاتم أو غيرها.

يقول الكاتب:

«ولقد ابتلى الابن الأصغر لهذا العبقرى بالجنون؛ وحقّ له ذلك وهو يرى عائلة مفككة وتوتراً دائماً فى البيت مع أن المفترض أن

يكون البيت واحة يستريح فى ظلها الإنسان بعد عنائه فى صحراء الحياة القاحلة».

حقاً إن الحياة كالصحراء القاحلة والإنسان بعد أن يطوى مسافة فى هذه الصحراء ويذوق فيها الحر والبرد والغبار يحتاج إلى واحة يأوى إليها ويرتاح فى ظلها، والبيت هو الواحة المفترضة فى صحراء الحياة القاحلة.

فالرجل يتعب خارج البيت وينتظر أن يجد الراحة فى البيت، حيث تملأ المرأة والأطفال البيت بهجة وسروراً.

والمرأة تتعب فى إدارة شؤون البيت والأطفال وهى الأخرى تنتظر قدوم الرجل لتشعر بالسعادة فى ظله.

فإذا لم يكن البيت واحة وسكناً بل كان الزوجان يعيشان فى نكد ونزاع وخصام فهذا ليس بيتاً ينعم فيه الزوجان بالسعادة بل هو جحيم وشقاء!

يقول أحد الإخوة:

«سألت صديقاً لى: كيف حالك؟ فقال: الحمد لله أعيش فى الجنة. قلت: كيف؟ قال: لأن زوجتى سافرت فصار البيت جنة»

إذا كان الرجل يتعامل مع المرأة هكذا، والمرأة تتعامل مع الرجل هكذا، بحيث يشعر كل منهما أنه أصبح سعيداً بغياب الآخر وأمكنه أن يتنفس الصعداء بغيابه أفحياة هذه أم جحيم؟!

«وقد رأينا حال ذلك العبقرى الذى طلّق زوجته وآذاها حتى مرضت وماتت، ثم أصيب ابنه الأصغر بالجنون وأودع المستشفى، ولم يقم هذا العبقرى الكبير بزيارته حتى مرة واحدة إلى أن مات»

•وقد زارنا قبل فترة صديق عاش فى الغرب مدة مديدة وهو رجل متدين عمل أستاذاً فى إحدى جامعات لندن، فحدثنى عن التقدم التكنولوجى المدهش هناك، واستشهد على ذلك بحقائق فى مجال تخصصه، ثم قال:

«ولكن يوجد هناك فراغ روحى هائل. فخلال الفترة التى كنت فى الغرب ظهر أشخاص كثيرون يدّعون النبوة، والعجيب أنهم كانوا يجدون لهم أنصاراً يلتفون حولهم فترة قد تستمر أربع سنوات أو خمس سنوات إلى أن يكتشفوا حقيقتهم ويعرفوا أنهم دجالون فينفضوا عنهم!».

وهذه الحالة تدلّ على الفراغ الروحى والتعطش الموجود فى الغرب للمعنويات.

•ونقل أحد الأشخاص أيضاً ممن كانوا قد ذهبوا إلى دولة يطلق عليها (الدولة العظمى) وقال:

«شاهدت على التلفزيون مقابلة مع إحدى النساء الشهيرات والثريات جداً، كانت تجيب خلالها على الأسئلة الموجهة إليها، ولكن بمجرد أن سئلت: هل أنت سعيدة فى حياتك؟ أجهشت بالبكاء أمام ملايين المشاهدين!».

وهذه الوقائع تكشف عن غياب السعادة فى المجتمع الغربى؛ والبيت الغربى.

ولقد كان من معالم البيت العلوى الفاطمى أنه بيت لا توتر فيه.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتُها على أمر حتى قبضها الله عز وجل ولا أغضبتْنى ولا عصت لى أمراً».

فلا على يغضب فاطمة ولا فاطمة تُغضب علياً.?

وفى وصية الزهراء ?قالت: «ما عهدتنى كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتنى. فقال عليه السلام: معاذ الله أنت أعلم بالله وأبرّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتى».

ولقد اقتدى بهما ?الكثير من أسلافنا فعاشوا حياة هانئة طيبة ولم يكن أحد الزوجين يفترق عن الآخر حتى الموت.

۳. بيت لا تعقيد فيه

لقد كان بيت على وفاطمة ?بسيطاً فى كل شىء، بل لم يكونا يملكان فى البداية بيتاً أصلاً، فلقد تزوج الإمام أمير المؤمنين عليه

السلام من فاطمة، ?ولم يكن عندهما بيت فقدم إليهما الحارثة بيتاً ثم بنى الإمام عليه السلام بيتاً له بعد الزواج.

أما مهر فاطمة ?فهناك رواية تقول إنه كان أربعمئة درهم، وهناك رواية أخرى تقول إنه كان أربعمئة وثمانين درهماً، ورواية ثالثة تقول إنه كان خمسمئة درهم، ولقد نقل السيد الوالد على ما أظن رواية تقول إنه كان ثلاثين درهماً، وكان الوالد ?يجمع بين هذه الروايات باختلاف الدراهم.

وقد قسّم المهر إلى ثلاثة أقسام، ثلث للأثاث وثلث للطيب وثلث للوليمة على ما يستظهر من بعض الروايات فيكون المبلغ المصروف فى الجهاز ثلث المجموع فقط!

وكان من الجهاز إهاب كبش ينامان عليه فى الليل ويُعلف عليه الناضح فى النهار!

أما قميص ليلة الزفاف فقد تصدقت به الزهراء، ?على السائل، ولم يكن عندها قميص جديد آخر فلبست ?القميص العتيق!

ونحن إذا اقتدينا فى بيوتنا ببيت الزهراء وعلى ?أفنظل نعانى بعد ذلك من المشاكل التى نعانى منها اليوم؟!

هذه كانت بعض معالم بيت الزهراء ?ونوكل الحديث عن المعالم الأخرى إلى فرص أخرى.

التعريف ببيت الزهراء

ننتقل إلى فصل آخر نتناوله باختصار وهو ضرورة طرح نموذج بيت الزهراء ?فى المجتمع الصغير أى العائلة وفى المجتمع الكبير أى المدينة وفى المجتمع الأكبر أى العالم.

وقد قال أحد الشخصيات:

«نحن إن لم تكن عندنا هذه النماذج كان يجب علينا أن نخترعها».

وهذا ما يفعله بعض الروائيين حيث يخترعون نماذج لبعض القيم النبيلة.

أما نحن فلا نحتاج لأن نخترع نماذج للقيم النبيلة فهى موجودة عندنا ولكن يجب علينا عرضها وتذكير أنفسنا وأبنائنا ومجتمعاتنا (الصغير والكبير والأكبر) بها. وحسناً كان يفعل بعض الآباء والأجداد، فلقد كانوا يذكرون لأولادهم كل يوم قبل المنام حكاية من حكايات النبى الأعظم والأئمة الطاهرين عليهم السلام فكانوا يربّونهم على هذه المثل.

ونحن إذا لم نربِّ أبناءنا على هذه النماذج ولم ننشرها فى المجتمع الصغير والكبير والأكبر فإننا قد نخسر آخرتنا ودنيانا، لأن الابن الذى ملأت ذهنه ثقافة الغرب سيقف يوماً فى وجه أبيه وربما يقتله من أجل بعض النقود.

وهناك قصة واقعية حدثت فى هذا المجال مجملها:

«إن ولداً قال لأبيه: أعطنى المقدار الكذائى من المال وإلا قتلتك. فقال الأب: إنه ليس مالى. فما كان من الولد إلا أن أخرج سكينة أو نحوها وغرزها فى رقبة أبيه وذبحه».

فإذا لم نعرض هذه النماذج المشرقة، فمن الذى يحفظ هؤلاء الأبناء والبنات، وما الذى يحول دون هروب الفتيات من البيوت؟ (فلقد شاعت فى بعض البلدان الإسلامية ظاهرة الفتيات الهاربات) وما أكثر الفضائح التى تحدث فى البلاد الإسلامية ولا تتمكن الحكومات من الوقوف فى وجهها أو الحدّ من تزايدها!

ومن الطبيعى أن لا تفلح الدول والحكومات فى القضاء على هذه الظواهر المرَضية لأن العلاج والحلّ ليس فى القوة بل فى عرض النماذج المربية.

أنقل أدناه قصتين واقعيتين:

- القصة الأولى: هى قصة رجل سحب أمواله من المصرف فى بلد عربى وفى داره فوجئ بشخصين ملثمين مسلّحين أو أكثر يهاجمانه ويطلبان منه المال، فقال لهم: لا بأس ولكن دعانى أذهب إلى تلك الغرفة لآتيكما بالمال، وخرج الرجل ليدخل من باب آخر ويوجّه

إليهما نيران سلاحه فأرداهما معاً. وعندما كشف لثامهما اكتشف أن أحدهما كان ابنه والآخر ابن أخيه.

أرأيت كيف يتعامل الابن مع أبيه من أجل المال إذا كانت ثقافته مادية؟ ولماذا لا يفعل ذلك إذا كانت ثقافته كذلك؟ إنه إن لم يقتل أحداً من أجل المال وقد سنحت له الفرصة ربّما يعدّ سفيهاً من وجهة النظر المادية?، قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء. ?إن التربية المادية تقول: إن الترفع عن القتل وترك الفرصة فى الحصول على المال تذهب هدراً سفاهة، ولكن الفكر الدينى يقول (والله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصى الله فى نملة أسلبها جلب شعيرة ما فعلت).

●القصة الثانية: نقلها حديثاً أحد الإخوة المؤمنين الذين ذهبوا إلى الغرب.

قال: إن رجلاً مؤمناً مهاجراً إلى الغرب رأى ابنته فى طريق الانحراف فقرر أن يهجر بلاد الغرب، فسافر مع ابنته وعائلته إلى بلد إسلامى وهناك مزّق جوازات سفر الدولة التى قدموا منها كى لاتستطيع ابنته العودة، ولكنها ذهبت إلى سفارة ذلك البلد الغربى واشتكت على أبيها ثم حصلت على ورقة عادت بها إلى بلاد الغرب تاركة عائلتها، فإذا كان وضعها هكذا وهى فى ظل أبيها فكيف ستتصرف بعد ذلك وقد تخلصت منه نهائياً؟!

الخلاصة: أن دنيانا مهددة قبل آخرتنا إن لم نتدارك الأمر ولم نقم بعرض النماذج النيرة مثل بيت الزهراء وخديجة ?على مجتمعنا الصغير والكبير والأكبر بكلّ قوة؛ عسى أن نستنقذ دنيانا وآخرتنا بإذن الله سبحانه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الشعائر الفاطمية

الشعائر الفاطمية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم:

?وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ.?

مقدّمة

قبل الحديث عن الشعائر الفاطمية ومسؤوليتنا إزاءها، نتحدث أولاً عن الشعائر الدينية عموماً، وعن الشعائر الإيمانية خصوصاً، فكلّ هذه الأنواع الثلاثة من الشعائر (الشعائر الدينية بشكل عام، والشعائر الإيمانية بشكل خاص، والشعائر الفاطمية بشكل أخصّ) تنضوى تحت جامع مشترك وهو عنوان «شعائر الله» لأن أى شعيرة لها نوع إضافة الى الله سبحانه فهى من شعائر الله سبحانه.

الشعائر الدينية: مفهومها وأدوارها

أ مفهوم الشعائر الدينية

الشعائر جمع شعيرة والشعيرة هى العلامة الحسية التى تقود الإنسان نحو صاحب الشعيرة، فالشعائر الدينية كما يبدو عبارة عن العلامات الحسية التى تقود الإنسان الى الله سبحانه وتعالى.

ووجود العلامات الحسية قضية مهمة جداً، وقد تنبع أهميتها من النزعة الحسية الموجودة لدى الإنسان؛ فإن الإنسان لا تحرّكه الأشياء التجريدية بقدر ما تحركه الأشياء المحسوسة، وربما لهذا السبب كان الأنبياء الإلهيون بشراً ولم يكونوا ملائكة؛ قال تعالى?: وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ?أى فى قالب حسّى بشرى، ولعله من هذا المنطلق أيضاً كانت العبادات عادةً أموراً حسية مع أن جوهرها أمر معنوى وهو النية، فالصلاة مثلاً لها قالب حسى هو القيام والركوع والسجود، ولعله لهذا السبب أيضاً كانت الشعائر الدينية علامات

حسية.

ب دور الشعائر الدينية

للشعائر أدوار كثيرة ومن أهمها: دورا الحماية والهداية، فالشعائر من أعظم الوسائل لهداية الآخرين، وبالشعائر يمكن أن نحفظ الفرد والأمّة ونصونهما من خطر الذوبان والانصهار فى الثقافات الأخرى، ومن هنا تلاحظون اليوم حملة شديدة فى الغرب على شعائرنا الدينية (ولعل من يقود ويخطّط لهذه الحملة هى اليهودية العالمية) وخير مثال على ذلك ما نشهده اليوم من هجمة على الحجاب؛ بهدف تذويب المرأة المسلمة فى المجتمع الغربى، فالحجاب كشعيرة هو الذى يحفظ إيمان المرأة المسلمة ويصونها من الذوبان فى الأفكار المضادّة، كما المسجد والحسينية والأذان وصلاة الجماعة والشعائر الحسينية.. فهذه كلّها من الشعائر الدينية التى تحفظ إيمان المسلم وتقيه من الانصهار أو التصدّع الإيمانى.

ومن هنا أيضاً حارب حزب البعث فى العراق المساجد والحسينيات والحوزات الدينية ورجال الدين، كما حارب البهلوى الأول فى إيران الحجاب بشدّة وكان يصرّ على أن لا تكون هناك (فى إيران) محجبة واحدة، وقد نقل أنه حوّل المدرسة الفيضية (وهى واحدة من أكبر المدارس الدينية فى قم) إلى مخزن للبضائع بعد أن أخليت أو كادت من طلّابها.

إذن ما دامت الشعائر الدينية موجودة فهذا معناه وجود الحماية للدين، وإذا ما استطاع نظام مّا أن يقضى عليها فهذا هو بداية الطريق للقضاء على الدين. وقد أفتى الفقهاء بوجوب الهجرة من البلد الذى لا يمكن إقامة شعائر الدين فيه، مع أن الهجرة من أشقّ الأعمال على الإنسان، حتى قيل إن الهجرة أخت الشهادة، لأن الشهادة تنهى الحياة المستقبلية (الدنيوية) للإنسان أما الهجرة فتضع حداً لحياة الإنسان الماضية والعلاقات التى أنشأها طيلة عقود ويكون عليه أن يبدأ حياته الجديدة من الصفر.

الشعائر الإيمانية والشعائر الفاطمية

نفس الدور الذى تنهض به الشعائر الدينية لحفظ الدين فى بعد الحماية والهداية تنهض به الشعائر الإيمانية لحفظ الإيمان.

هذا ولا يخفى أن الإيمان مركّب من سلب وإيجاب أى نفى وإثبات، ومن الشعائر الإيمانية ما يحتوى على بعد الإثبات فقط ومنها ما يحتوى على البعدين معاً.

والشعائر الفاطمية من الشعائر الإيمانية التى تعنى بالبعدين (التبرّى والتولّى) بكل قوّة وبشكل واضح وصريح ومباشر.

إن قضية سيّدالشّهداء الإمام الحسين عليه السلام قضية مهمّة جداً، وهى تحتوى على البعدين، وتدين الخلافة الأموية بشكل مباشر، كما تدين خلافة الأوائل بشكل غير مباشر (لأن الخلافة الأموية التى مثّلت انحرافاً واضحاً عن خط الاسلام، كانت نتيجة لخلافة الأوائل)، وهكذا قضية الغدير فإنها تثبت بُعد التوّلى بشكل مباشر، كما تثبت بعد التبرّى بشكل غير مباشر.

أما القضية الفاطمية فإنها تمثّل إدانة مباشرة لكل الحكومات المنحرفة ابتداءً من حكومة الأوائل وانتهاءً بحكومة العثمانيين؛ ومن ثم فإن إحياء القضية الفاطمية هو إحياء للإيمان كله.

إن قضية الزهراء ?وإدانتها للأوائل واضحة جداً، لا غموض فيها ولا لبس.

يكفى أن تطرح هذا السؤال على أى مسلم: لماذا كل زوجات النبى عليه السلام قبورهن معلومة، ولكن بنت النبى عليه السلام العظيمة قبرها مجهول؟

وفى هذا الصدد ينقل أن «نظام العلماء ?» عندما ذهب إلى الحج، التقى شخصاً فى المدينة المنورة، فسأله: لماذا لم يُشيّع جثمان فاطمة؟ ?فقال: ولِمَ لَم يُشيّع، فقد شُيّعت ?تشييعاً عظيماً. فقال له: هل تعرف كم اشترك فى تشييع نافع وهو أحد القرّاء ؟ قال: خلق كثير يزيد على الخمسمائة شخص.

فقال نظام العلماء: لماذا إذن عُرف قبر نافع ولم يعرف لفاطمة قبر؟

فقال الشخص: لا أعلم.

وهنا قال له نظام العلماء: ولكنى أعلم، لأن فاطمة ?أوصت أن تدفن ليلاً وأن لا يحضر تشييعها إلّا بضعة نفر.

ثم أخذ نظام العلماء يشرح لذلك الرجل مجريات الأحداث بعد وفاة النبى عليه السلام.

وكما أن قضية الإمام الحسين عليه السلام كانت السبب وراء تشيّع كثيرين، فكذلك هى قضية الزهراء.?

أحد المستبصرين وهو محام معروف ينقل فى سبب تشيّعه لآل بيت النبى عليه السلام: أنه كان فى سفرة إلى بيروت فوقع نظره على كتاب حول «أبناء الرسول فى كربلاء» (لأحد علماء العامة)، فلفت انتباهه، وبعد أن طالعه أذهله ما جرى لأبناء الرسول عليه السلام فى كربلاء! فبدأ التحقيق الذى انتهى به إلى التشيّع.

وهكذا غيرتْ قضية كربلاء هذا المحامى وحوّلته إلى أحد المحامين عن مذهب أهل البيت عليهم السلام.

كذلك روى مؤلفٌ مشهور أن تحوّله لمذهب أهل البيت عليهم السلام كان بسبب استماعه إلى كاسيت صوتى سجّل عليه نصّ الخطبة الفدكية للسيدة الصديقة الزهراء ?إذ صار سبباً لبحثه عن الحقيقة، وانتهى به إلى الانتماء إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام.

مسؤوليتنا فى شهرى جمادى الاولى والاخرة

مسؤوليتنا فى شهرى جمادى الاولى والاخرة

إن هذين الشهرين يتعلقان بسيدة النساء فاطمة الزهراء، ?وتتمثل مسؤوليتنا ضمن ما تتمثّل فى إحياء قضيتها، ?وهذا الإحياء له مفردات كثيرة، ولكن هناك عنوانان عامّان يجمعان هذه المفردات (وإن كان بينها نوع من أنواع التداخل).

العنوان الأول: الإحياء الشعائرى

مثل لبس السواد فى الأيام الفاطمية وتسيير مواكب العزاء والحضور فى المجالس التى تقام بالمناسبة.

لقد جمع السيد الإمامى ?وهو أحد علماء إصفهان مسؤولى وأعضاء المواكب والهيئات قبل حوالى أربعة عشر عاماً بمناسبة مرور ألف وأربعمئة عام على شهادة الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?ودعاهم إلى إحياء الشعائر الفاطمية، وقال لهم:

«إن علينا أن نجعل للقضية الفاطمية حرارة كحرارة عاشوراء أو نجعلها فى الدرجة التالية لها».

ولقد أصبحت القضية الفاطمية اليوم فى اصفهان تتلو قضية عاشوراء، فى

حيويتها وحرارتها.

ومما ينقل فى أحوال المرحوم الإمامى أنه توفى فى اليوم الأخير من العشرة الثانية الفاطمية فى المكتبة التى أسسها باسم الزهراء،?

وكان آخر صفحة كتبها تحت عنوان «إنما سميت فاطمة لأن الخلق فُطموا عن معرفتها».

وقد نقل لى أن بعض الإخوة المؤمنين فى الكويت يتبنّون اليوم إحياء هذين الشهرين بشكل كامل بإقامة المجالس التى تبدأ مع بداية شهر جمادى الأولى وتستمرّ حتى آخر شهر جمادى الثانية.

العنوان الثانى: الإحياء الثقافى

وهذا الإحياء مهم جداً، ونعنى بالإحياء الثقافى: المساهمة فى الكتابة والتأليف (ونحو ذلك) حول الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء،?

عسى أن تكون هذه المساهمة وسيلة من وسائل الشفاعة لنا يوم القيامة إن شاء الله تعالى.

إن ما كُتب حول الصديقة الزهراء ?قليل جداً، وهذه حقيقة مؤلمة تكشف عن مظلومية الزهراء ?فى هذا الجانب أيضاً، فلقد أحصى أحد المؤلّفين فى كتاب له كلّ ما ألّف عن الصديقة الزهراء ?خلال ألف وأربعمئة عام فلم يزد المقدار الذى عثر عليه على ألفين واثنين وعشرين كتاباً، فى حين إنا نقرأ أن شاعراً توفى قبل أقل من قرن أُلِّف عنه حوالى خمسة آلاف كتاب! أليس من المؤسف والمدهش أن لا يكتب حول الصديقة الزهراء ?إلاّ هذا المقدار القليل وهى أفضل الخلق بعد أبيها وبعلها عليهم السلام.

وتتبيّن فداحة الخطب عندما نعلم أن هذا العدد موزع كالتالى:

۱۰۴۷ كتاباً باللغة الفارسية

۶۱۴ كتاباً باللغة العربية

۲۱۴ كتاباً باللغة الأوردية

۱۵۷ كتاباً بأربعة وعشرين لغة عالمية أخرى بما فيها الانجليزية والفرنسية والألمانية والروسية والإيطالية والإسبانية والكردية والهندية والصينية (أى معدل ۶ كتب للغات ينطق ببعضها مئات الملايين، ويحكم الناطقون ببعضها بلادنا بشكل أو بآخر).

فهل يتناسب هذا مع هدف تعريف شخصية الزهراء ?للعالم كله؟

لقد فكّر السيد الوالد ?بإصدار مجلة باللغة الإنجليزية فى كربلاء المقدسة قبل أربعين عاماً تقريباً، ولم يكن المال متوفراً ولا المتبرع موجوداً، ولكن المشروع تحقق بصعوبات جمّة، وكان لايتجاوز نسخ كل عدد منها المئات، يقول السيد العم حفظه الله:

«فكّرت أنه لو كانت هذه المجلة تصدر منذ ميلاد السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السّلام) إلى اليوم أو لنَقُل من الآن إلى ما بعد ۲۰۰۰ عام لما بلغ مجموع نسخها ما يطبع من مجلة غربية فى شهر واحد فقط! فبعض المجلات الغربية المعروفة يطبع منها فى كل شهر ثلاثون مليون نسخة أى بمعدل مليون نسخة لليوم الواحد!»

إن الصين تشكل اليوم حوالى سدس العالم من حيث التعداد السكانى، ويتنبأ لها البعض أن تكون حضارة حاكمة فى المستقبل، فهل فكّرنا فى مخاطبة الشعب الصينى ثقافياً؟

إن الحرب القادمة هى حرب وجود لا حرب حدود، حرب أن نكون أو لا نكون، فهل نقنع بإصدار كتاب فى ألف نسخة لنتصور أننا فتحنا الحصون؟!

أجل إن هذه القطرات مؤثرة، ولكن ينبغى لنا أن نعلم أنها ليست سوى قطرات، وهذه ليست دعوة لليأس بل دعوة للمسارعة والانطلاق، ولنعلم إن مسافة الألف ميل تبدأ بخطوة، والمثل المعروف يقول: بدلاً من أن تلعن الظلام اشعل شمعة.

إن العالم غارق فى الظلام، إلاّ أن ظلام العالم كله لا يستطيع أن يهزم نور شمعة واحدة. فلو اهتمّ كل فرد منّا بتحريك وتحريض الآخرين فإن هذه القطرات ستتجمع وتكوّن سيلاً كبيراً إن لم نقل بحراً؛ قال تعالى?: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ.?

ولا يقتصر العمل الثقافى على تأليف الكتب، بل يشمل توزيعها وإسنادها مالياً، كما يشمل تكثير الكاسيتات (الأشرطة الصوتية) وغيرها من الأعمال الثقافية، ولا ينبغى التهاون فى أى عمل ثقافى مهما بدا صغيراً، فعسى الله تعالى أن يجعل تأثيره كبيراً إذا تمّ بإخلاص.

يقول ابن المحدث الجليل الشيخ عباس القمى: سألت والدى: لماذا بلغ كتابك «مفاتيح الجنان» هذا المدى من الشهرة والانتشار؟ فقال:

«إنه ببركة الصديقة فاطمة الزهراء ?حيث إننى أهديت ثواب كتابى لها».

نسأل الله تعالى أن يجعل البركة فى ما نقوم به من أعمال فى هذا الطريق وأن تكون هذه الأعمال وسيلة من وسائل الشفاعة لنا فى يوم القيامة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الإمام الحسين عليه السلام: استثناء فى السنن الإلهية

الإمام الحسين عليه السلام: استثناء فى السنن الإلهية

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

ثمّة سمة تطبع السنن الإلهية سواء ما كان يتعلّق منها بالتاريخ أو المجتمع أو الطبيعة، هذه السمة هى الثبات والاطراد، والقرآن الكريم يشير إلى ذلك بقوله?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.?

ولعلّ التبديل يعنى ثبات الموقع مع تغيّر الصفة، بينما التحويل يعنى العكس وهو تغيّر الموقع وثبات الصفة، والله سبحانه وتعالى فى الآية الكريمة يؤكّد المفهومين معاً، مستخدماً كلمة (لن) التى تفيد تأبيد النفى، أى أنّ سننه تعالى لا تقبل التغيير لا تبديلاً ولا تحويلاً على امتداد العصور والدهور. لكن مع ذلك هناك بعض الاستثناءات تتخلل هذه السنن لسبب أو لآخر، وإحدى هذه الاستثناءات الكبرى من السنن الإلهية الثابتة قضية سيّدالشّهداء الإمام الحسين عليه السلام، ولعل ذلك نابع من أن التضحية التى قدّمها سيّد الشّهداء عليه السلام كانت استثنائية، فهذه التضحية ليس لها نظير فى التاريخ، ولن يكون لها نظير أبداً، فكان عطاء الله تعالى لسيّد الشّهداء عليه السلام عطاءً استثنائيّاً أيضاً.

عظمة تضحية الإمام الحسين عليه السلام

لقد قام النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بتضحيات عظيمة وابتلاه الله تعالى بكلمات فأتمّهن فاستحقّ على أثرها مقام الإمامة?، وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا، ?ولقد ابتلى فى نفسه وفى ولده وفى أهله، وخرج منتصراً فى جميع هذه الابتلاءات، لقد كان ابتلاء النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كبيراً حين ترك زوجته وولده، فى صحراء لا زرع فيها ولا ماء، وحينما سألته زوجته (هاجر): إلى من تكلنا؟ أجابها: أكلكم إلى الله عزّ وجلّ.

كما كان امتحانه عظيماً حين أُمِر وهو شيخ كبير أن يذبح ولده.. إلى غير ذلك من الابتلاءات..، ولكن هذه التضحيات العظيمة لا ترقى إلى تضحيات الإمام الحسين عليه السلام والأهوال التى مرّت عليه فى كربلاء ومصابه فى أهل بيته وإخوته وطفله الرضيع وأصحابه حتى استشهادهم جميعاً كما يظهر ذلك بشكل واضح لمن راجع التاريخ.

فشتان بين ما قدّمه النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) من تضحيات على عظمتها وبين التضحيات التى قدّمها الإمام الحسين عليه السلام.

لقد كان هناك حدّ لتضحيات النبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) بيد أن سيد الشهداء عليه السلام امتُحن بكلّ أنواع المحن والمصائب ولم يكن هناك حدّ لتضحياته، فكانت تضحياته استثنائية بكلّ معنى الكلمة.

الثواب الاستثنائى على التضحية الاستثنائية

الثواب الاستثنائى على التضحية الاستثنائية

لقد قرّر الله تعالى سنّة الجزاء فى هذا الكون، وأجرى هذه السنة على الجميع، قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ?وقال سبحانه?: أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى.?

إذن فكلّ عمل صالح له عند الله ثواب، وتتحدد درجة الثواب حسب أهميّة العمل وبعض العوامل الأخرى فالعمل الاستثنائى يقابله ثواب استثنائى من الله تعالى، ولمّا كانت التضحية التى قدّمها سيّدالشّهداء الإمام الحسين عليه السلام استثنائية فى جميع الأبعاد، فقد

أثابه الله بثواب استثنائى لا يماثله أىّ ثواب.

وهذا الاستثناء على نحوين:

النحو الأول: الاستثناء فى الجانب التشريعى

لقد خصّ الله تعالى الإمام الحسين عليه السلام وحده، بخصائص لم يشرك معه فيها أحداً حتى الرسول الأعظم عليه السلام، بالرغم من انه أفضل من الإمام الحسين عليه السلام دون أدنى شك، وكذلك أمير المؤمنين على عليه السلام والصديقة الطاهرة الزهراء? والإمام الحسن عليه السلام، فإنهم جميعاً وإن كانوا أفضل من الإمام الحسين عليه السلام، إلا ان العمل الاستثنائى الذى قام به الإمام الحسين عليه السلام والتضحية الاستثنائية التى قدّمها جعلت منه استثناءً واستحقّ عليها ثواباً استثنائياً.

ومثال ذلك فى حقل التشريع: الجزع فإنه مكروه حسبما ورد فى بعض الروايات، لكنّه (أى الجزع) استثنى على مصاب سيّدالشّهداء عليه السلام، وكذلك الهلع عليه.

والهلع كما يقول أهل اللغة هو أقصى حالات الجزع، وفى هذا الصدد يقول الإمام زين العابدين عليه السلام: «فكادت نفسى تخرج وتبيّنت ذلك منّى عمّتى زينب بنت على الكبرى، فقالت مالى أراك تجود بنفسك يا بقيّة جدى وأبى وإخوتى؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع »....

فالجزع كلّه مكروه عدا الجزع على الإمام الحسين عليه السلام، ولو كان قتل النفس مباحاً لربّما أقدم عليه مجموعة من المؤمنين فى يوم عاشوراء، وذلك لهول مصيبة أبى عبد الله عليه السلام وفداحة خطبه وإن كان للشيخ خضر بن شلال، رأى آخر فى هذا الموضوع من شاء فليراجعه فى مظانّه .

إن هؤلاء الذين يضربون بالسيف على رؤوسهم إنما يفعلون ذلك من شدّة تفاعلهم مع قضايا عاشوراء، ولو كان قتل النفس جائزاً لربّما أقدم مجموعة منهم على ذلك جزعاً على سيّدالشّهداء عليه السلام، وهلعاً عليه.

والخلاصة: إن الجزع بكلّ مظاهره مكروه إلا على سيدالشهداء عليه السلام، وذلك استثناء تشريعى كرّم الله تعالى به الحسين عليه السلام وخصّه به لقاء تضحيته الاستثنائية الى غير ذلك من الاستثناءات التشريعية.

النحو الثانى: الاستثناء التكوينى

أ التربة الحسينية مثالاً

أما النحو الثانى من الاستثناء الذى خصّ الله به سيّد الشّهداء عليه السلام فهو الاستثناءات التكوينية فى السنن الإلهية، نشير إلى موردين منهما، المورد الأول يرتبط بعالم الطبيعة ونذكر له مثالين، هما: التربة والنار، والمورد الثانى يتعلّق بالمجتمع، أما المثال الأول على المورد الأول فهو أكل التراب فإنه محرّم من الناحية الشرعية غالباً ومضرّ من الناحية التكوينية، كذلك لكنّ الأمر يختلف مع تربة سيّد الشّهداء عليه السلام، فهو ينطوى على استثناءين تشريعى وتكوينى، فهو حلال وشفاء لمن استعمله.

•وللسيد البروجردى ?قصة معروفة مع تربة الإمام الحسين عليه السلام، حيث كان يعانى من ألم فى إحدى عينيه، وقد عجز الأطباء عن معالجته، وذات مرّة وأثناء تأدية مراسيم عزاء سيّد الشّهداء عليه السلام دخل جمع من المعزّين إلى بيته وجباههم وأبدانهم ملطّخة بالطين كمظهر من مظاهر الحزن على الإمام الحسين عليه السلام ففكّر السيد البروجردى أن يستشفى بهذا الطين فأخذ قليلاً مما كان عالقاً على أبدانهم أو ثيابهم ووضعه على عينه التى يئس من علاجها، فما لبثت أن استعادت عافيتها وقوّتها، واستمرّت هذه الحالة إلى أخريات أيام حياته، إذ بلغ حوالى التسعين من العمر لكن بصره كان قوياً ولم يكن يحتاج إلى وضع نظارات على عينيه، مع أنه كان كثير المطالعة.

•ونستطرد لنقول: ان السيّد الجدّ ?كانت له قصّة مماثلة حيث كانت عينه تؤلمه فتوسّل بأبى الفضل العبّاس عليه السلام، فشوفى على أثر ذلك، وقد نقل السيد العم حفظه الله أنّه (أى الجدّ) ?كان ينظر إلى ساعة الصحن الشريف دون عناء بينما كان يتعذّر على بعض الشباب فعل ذلك.

•وهنالك قضية أخرى اتفقت للسيد الوالد ?عندما كان ?على ظهر السفينة فى مياه الخليج، فقد هبّت العواصف وأخذت الأمواج تقذف بالسفينة إلى الأعلى وتهبط بها إلى الأسفل، حتى خُشى عليها من الغرق، واستمرّ الحال على ذلك حتى أخذ الوالد ?مقداراً من تربة الإمام الحسين عليه السلام وألقاها فى البحر فما كان من البحر إلا أن هدأت ثورته وسكنت أمواجه.

•لا بأس أن ننقل هنا باختصار قضية التاجر المشهدى الذى كان يحتضر، فجاءه الشيخ حسن على الطهرانى وأعطاه شيئاً من تربة الإمام الحسين عليه السلام، فتناولها، يقول التاجر: ما إن وضعتها فى فمى حتى استرجعتُ عافيتى بشكل كامل.

•ولا بأس أن ننقل هنا استطراداً ما جاء فى كتاب (بحار الأنوار) من أنّ مئة ألف امرأة عاقر جئن إلى قبر سيّد الشّهداء عليه السلام، ليستشفعن فى طلب الذرية، فأعطين جميعاً سؤلهن.

وهنالك الكثير الكثير من الأمثلة لا مجال لذكرها هنا.

ب النار مثالاً آخر

لقد جعل الله تعالى النار محرقة، ولكنها لم تكن كذلك للنبى إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) ولسيّد الشّهداء عليه السلام، فنار إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) كانت برداً وسلاماً عليه، وكذلك نار سيّد الشهداء عليه السلام هى برد وسلام على محبّيه، حيث يقوم محبّوه فى نقاط مختلفة من العالم، فى إيران، وفى العراق، وفى الهند وتايلند، وفى غيرها بإلقاء أنفسهم فيها دون أن يحترقوا، هذه النار التى تلفح الوجوه من بعيد، تأبى أن تمسّ محبّى أبى عبد الله الحسين عليه السلام بسوء، اللهم إلا من شابت نيّته شائبة.

وفى هذا المجال ينقل أحد المراجع الكبار أنّ الناس من محبّى أبى عبد الله عليه السلام كانوا يدخلون فى النار، دون أن ينال منهم لهيبها، منهم على سبيل المثال الخطيب الحسينى المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبى الذى ورد النار ثم خرج منها سالماً كما وردها، ولكن فرداً واحداً من تلك الجموع، اكتوى بلهيبها بمجرّد دخوله فيها وقد نقل على أثر ذلك إلى المستشفى متأثراً بحروق مؤلمة، وينقل ذلك المرجع أنّه ذهب لزيارته فسأله ما باله احترق هو بهذه النار، وهذه الجموع قبله قد دخلت ولم تمسّ بأى سوء؟ فأجاب ذلك الشخص (وهو طبيب) قائلاً: إنّى لما نظرت إلى النار قلت فى نفسى: هذا غير معقول، إنّ النار محرقة بطبيعتها، فكيف يدخل فيها هؤلاء؟ لابد أن فى القضية سراً ما! وقد نسى هذا الطبيب أو تناسى أن قوانين الله تعالى تحكم الخلق ولا تحكم الله سبحانه.

ويستطرد هذا الطبيب قائلاً: قبل دخول الأفراد إلى النار رأيت أحد العلماء أخرج شيئاً من جيبه وألقاه فى النار، فقلت فى نفسى «انكشف السرّ، لابدّ أنّها مادة تبطل مفعول النار»، ثم دخل الناس ولم تمسسهم النار بسوء، وجاء دورى فدخلت فإذا بى أكتوى بلظاها.

يقول ذلك المرجع فقلت له: لقد كانت تلك تربة الإمام الحسين عليه السلام ألقاها العالم فى النار لتكون برداً وسلاماً على محبيه عليه السلام!

وفى الكويت اليوم جالية لها حسينية، يعدّون فيها ناراً يوم العاشر من المحرم، وبعد أن يقرأوا الآية الكريمة?: يَا نَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ?يدخلونها فلا تمسهم بأىّ أذى.

ج. الإمام الحسين عليه السلام محبوباً

أمّا المورد الثانى (الاجتماعى) من الاستثناء الثانى الذى كرّم الله تعالى به الإمام الحسين عليه السلام فهو هذا الحب الكبير تجاه سيّد الشّهداء عليه السلام، وهو حبّ ظهر حتى قبل وقوع مأساة كربلاء بسنوات طويلة ربما تبلغ الألوف فلا نستطيع أن نقول إنّها مسألة عادية.

•وقد روى أنّ أحد الأنبياء قد انتحب حينما ذُكر اسم الحسين عليه السلام عنده، وهو لمّا يزل نوراً فى عالم الغيب.

•ولو ذهبتم إلى القاهرة لرأيتم المسلمين يحتفلون احتفالاً عظيماً بذكرى مولد الإمام الحسين عليه السلام.

والواقع أن الكثير يجهلون الإمام الحسين عليه السلام ولو عرفوه وعرفوا قضاياه وقضايا عاشوراء لكان لهم شأن آخر.

•وقد نقل بعض الإخوة: إنّه عرض فى بلاد الغرب فلم عن السيد المسيح عليه السلام، وكان وقعه على عواطف الناس وأحاسيسهم كبيراً للغاية، على الرغم من أنّ قضية «صلب المسيح عليه السلام» مختلقة من الأساس، لكنّها أثّرت أثرها القوىّ فى النفوس، وقد نُقل أنّ حوالى ۲۵۰ مليون شخصاً شاهدوا الفلم، وقد أثار الفيلم اعتراضات الصهيونية العالمية لأنّه يصوّر اليهود كأعداء للسيد المسيح عليه السلام ومتآمرين ضدّه.

ونقل أحد الإخوة: إنّ الكنائس المسيحية كانت توزّع بطاقات الفلم مجاناً، لأنّها وجدت فيه أفضل دعاية للمسيحية. كل هذا يحدث مع قصّة صلب المسيح عليه السلام التى هى قصة محرّفة ومختلقة، فكيف بقصّة سيّدالشهداء عليه السلام الحقيقية إذا ما وجدت طريقها إلى العالم، أىّ ردود فعل مدوّية ستحدثه!

•ونقل أحد الإخوة أيضاً: إنه فى إحدى البلاد الإسلامية عرضت فى هذا العام تمثيلية تصوّر مأساة سيّد الشّهداء عليه السلام فى يوم عاشوراء، وقد شاهدها أكثر من ۴۰ ألف شخص حسبما نقلت إحدى الصحف فى ذلك البلد، وقد أحدثت التمثيلية ضجّة كبيرة بين الجماهير.

وقد نقل أحد العلماء الذين يعيشون فى بلاد الغرب أنّه التقى بشخص بوذى هناك، فعرض عليه الدخول فى الإسلام، لكنّه أبى، وكلما سرد له الأدلّة على حقانية الإسلام لم يقبل، وأخيراً قال له الشاب البوذى: سمعت عن شخصية دينية عندكم يقال له الحسين، فما هى قصّته؟ يقول العالم: فبدأت أروى له جوانب من فاجعة عاشوراء، وإذا بملامح وجه البوذى تتغيّر، وسيطرت عليه علامات الحزن، ثم تفجّر بكاءً ونحيباً، وكنت كلما زدت له، زاد من بكائه، فخنقتنى العبرة ولم أعد قادراً على مواصلة الكلام، فألحّ علىّ وتوسّل أن استمرّ فى الحديث، فعندئذ واصلت الحديث لكن بصعوبة بالغة، وفى النهاية أخذ الشاب البوذى يكفكف دموعه ثم سألنى ما هى شروط اعتناق الدين الإسلامى، فذكرت له ذلك فأعلن إسلامه واعتناقه لمذهب أهل البيت عليهم السلام، ثم أصبح أفضل من كثير من المؤمنين.

عاشوراء: نصر يتجدّد على مدى التاريخ

•يقول أحد أقطاب العامّة البارزين فى تفسير الآية الكريمة? إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ:?

«والحسين رحمة الله عليه وهو يستشهد فى تلك الثورة العظيمة من جانب والمفجعة من جانب أكانت هذه نصراً أم هزيمة؟ فى الصورة الظاهرة بالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأما فى الحقيقة الخالصة والمقياس الكبير فقد كانت نصراً. فما من شهيد فى الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف وتهفو له القلوب وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رحمة الله عليه، يستوى فى هذا المتشيّعون وغير المتشيّعين من المسلمين وكثير من غير المسلمين».

وهذا ما نسمّيه الاستثناء التكوينى فى الإطار الاجتماعى.

ماذا قدّمنا للحسين عليه السلام؟

تحدّثنا عن العطاء الربّانى الاستثنائى للإمام الحسين عليه السلام، فماذا عن مسؤوليتنا نحن تجاه الإمام عليه السلام وقضيّته؟

باختصار نقول: يجب أن نبذل ما فى وسعنا تجاه الامام عليه السلام وتجاه قضيته، كلّ من موقعه وحسب إمكانه.

ينقل السيد العمّ ?أنّه قد اجتمعت طائفة من وجهاء وأعيان كربلاء قبل أكثر من ۵۰ عاماً وقرّروا توسيع الصحن الشريف وذلك بشراء الدور المحيطة وإلحاقها بالصحن، ولما علم أحد المالكين بالخبر، أخذ يقوم بإصلاح داره وتعميرها وصرف الأموال الطائلة فى تزيين

البيت، ومن المعلوم أنّ من يقوم بـذلك يبتغى عـادةً رفع سـعر الـدار والحصول على ثمن أغلى، ولمـا وصـل الوجهاء إلى تلك الـدار ومعهم الخبير بتسـعير الدور، عرضوا عليه بعض الأسـعار فكانوا كلما عرضوا عليه سـعراً، اسـتقلّه، حتى يئسوا من شراء الدار، وهنا أطرق المالك برأسه إلى الأرض ثم رفع رأسه قائلًا: إنّى قد بعت الدار، قالوا: بكم بعتها؟ قال: لم أبعها لكم ولكن بعتها لسـيّدى ومولاى أبى عبـد الله عليه السـلام، فهو سـيعطينى أفضل مما عرضـتم علىّ، ثم قـدّم إليهم مفاتيح الدار. فتساءل الوجهاء مسـتغربين: إن كنت عزمت على تقديم الدار مجاناً فلماذا قمت بإجراء الإصلاحات والتعميرات عليها؟ فأجاب:

«أردت أن أقدّم لسيّدالشّهداء عليه السلام هدية كاملة لا نقص فيها».

وقـد أوصـى الجدّ ?بدفنه فى تلك البقعة (التى كانت بيت هذا التاجر سابقاً والتى تقع على يمين باب القبلة)، وقد تمّ له ما أوصـى به، ودُفن هناك.

وعلى كل حال: علينا أن نفكّر ماذا نقدّم لسـيّد الشّهداء عليه السلام قبل أن تنقضى أعمارنا، فنندم على ما فرّطنا فى حياتنا، ولات ساعة مندم.

وقد نقل أنه كانت هناك ثلّة من الشـباب يجتمعون كلّ ليلة فى بيت أحدهم، وكان والد أحد هؤلاء الشـباب متديّناً و(حسـينياً) فرفض أن يجتمع هؤلاء فى بيته ما لم يأتوا معهم بخطيب يحيى اجتماعهم بـذكر الحسـين عليه السـلام، فاسـتجاب الشـباب لهذا الطلب وكانوا يـدعون خطيباً حسـينياً يذكر لهم فى تلك الليلة مصائب أبى عبد الله الحسين عليه السـلام، ومرّت السـنون، وانتقل الرجل (والد ذلك الشـاب) إلى جوار ربّه، فرآه أحـدهم فى المنـام، فقـال له: حـدّثنى عمّـا جرى عليك بعـد موتك، فقال له: لا أسـتطيع أن أصف لك ذلك، لأنّك لن تسـتوعب قضايا البرزخ مهما شـرحت لك، [فهو كمن يتحدّث إلى الجنين ويصف له الحياة خارج الرحم، أو يشـرح للأعمى معنى الألوان] وألحّ الشاب عليه بالسؤال كى يذكر له بعض مشاهد البرزخ، فقال له:

«فلتعلم شـيئاً واحـداً فقـط وهو أنّنـا لم نعرف مقام سـيّد الشّـهداء عليه السـلام فى الحياة الـدنيا، حتى انتقلنا إلى العالم الآخر، وكـذلك حالكم الآن، لن تدركوا عظمة منزلته عليه السـلام ما لم تنتقلوا إلى هذا العالم، وتروا بأنفسـكم ما للحسين عليه السلام من مكانة سامية ومنزلة جليلة لا تضاهيها منزلة».

أجل، يتحتّم علينا أن نفكّر ماذا قدّمنا لسيّد الشّهداء عليه السلام قبل فوات الأوان، نسأل الله تعالى أن يوفّقنا فى هذا الطريق.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وظيفتنا تجاه سيد الشهداء عليه السلام

وظيفتنا تجاه سيد الشهداء عليه السلام

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

إنّ الأعمال الصـعبة والتضـحيات الكبرى نهض بها الآباء والأجـداد، فقـد قطعت أيديهم وأرجلهم فى سبيل سـيد الشـهداء عليه السـلام وتحمّلوا أنواع الاذى والتعذيب من أجله.

أما الأعمال المنوطة بنا نحن اليوم، فهى فى الغالب هيّنة ولا مؤونة كبيرة فيها؛ ومنها:

۱. إقامة مجالس العزاء فى البيوت

الأمر الأول الذى ينبغى لنا أن نؤديه خاصة فى شـهر محرم الحرام، هو أن يقيم كل منا مجلس الحزن والعزاء على أبى عبد الله الحسـين عليه السلام فى بيته، إن لم يكن هناك مانع يحول دون ذلك.

وهـذا الأمر مهم جـداً وأقدّم لبيان أهميته مقدمة قصيرة وهى: أن علماء الاجتماع يقولون: كلما كان عدد أفراد المجتمع أكثر، وتطوره أكثر، وعلاقـاته مع المجتمعـات الأـخرى أوسع، فـإن مشـكلاته واحتياجاته سـتكون أكثر، ويضـربون مثلاً لـذلك فى العائلـة، فالأسـرة المتكونـة من زوج وزوجـة توجـد فيها علاقتان فقط هما: علاقـة الزوج بزوجته، وعلاقة الزوجة بزوجها، ولكن ما ان يضاف للعائلة فرد ثـالث بولادة مولود فى الأسـرة مثلاًـ حتى يرتفع عـدد العلاقـات إلى ستّ؛ هى بلغـة الرموز: علاقتا (أ) مع كل من (ب) و(ج)، وعلاقتا (ب) مع كل من (أ) و(ج)، وعلاقتا (ج) مع كل من (أ) و(ب). وهكـذا تتعقـد علاقات المجتمع كلما أضـيف إليها فرد جديـد، وتزداد احتياجـاته كلمـا زاد تطوره، والسؤال المطروح هنـا: كيف تحل هـذه المشـكلات وتلبّى هـذه الحاجات؟ وما هى الجهـة التى يقع على عاتقهـا حـلّ مشـكلات المجتمع ومتابعـة قضاياه؟ يقول علماء الاجتماع أيضاً: إن للمؤسـسات الاجتماعيـة دوراً كبيراً فى هـذا المجال، وكلما كانت المؤسسات الاجتماعية، أكثر وأقوى كان المجتمع أكثر قوة وتماسكاً، وكانت علاقات أفراده أسلم وأمتن.

فلو قارنا بين مجتمعين من الناحيـة الاقتصاديـة أو الاجتماعية أو السياسـية أو الدينية، للاحظنا أن مجتمع المؤسـسات هو الأقوى فى كل تلك النواحى.

ومن مؤسـساتنا الاجتماعية المهمة نحن الشـيعة مؤسـسات سيد الشهداء وأبى الأحرار الإمام الحسين عليه السلام. ولا تكمن أهمية هذه المؤسـسات فى بعدها الدينى فقط، بل هى مهمة فى الأبعاد الأخرى أيضاً، كالبعد السياسـى والاجتماعى والاقتصادى والثقافى وغيرها، فلو أنك أقمت مجلس تعزيـة فى بيتك وحضـره أربعة أشـخاص فقط، فإن ذلك بحد ذاته يعدّ مؤسـسة اجتماعية تنهض بدور ثقافى، ودينى، واجتماعى، واقتصادى وأدوار أخرى أيضاً.

لكن الكثير منا غافلون مع الأسف عن أهمية هذه المجالس، لأنها أصبحت كالعادة بالنسبة لنا؛ فإن الذى يعيش إلى جنب النبع العذب قد لا يلتفت إلى دور الماء فى حياته، لكن من يعيش فى صحراء قاحلة يعرف أهميّة الماء بالنسبة للحياة.

وقد قال القس المسيحى الذى التقى المرجع الدينى المعروف آية الله المرعشى النجفى ?فى قصة مفصلة :

«أنتم الشـيعة لديكم ثلاثة أمور مهمة، لكنكم لا تدركون أهميتها؛ منها: مزارات الأئمة وأولادهم وذراريهم ومنها قضية [سيد الشهداء الإمام] الحسين عليه السلام».

هذا ما عندنا، فماذا عند المسيحيين؟

هم يقولون وسـبحان الله عما يقولون : إنّه كان لله ولد اسـمه المسيح عيسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام)، صلبه اليهود وانتهى كل شىء.

فاستمع إلى الإذاعات وانظر إلى الشاشات وطالع الصحف والمجلات، لترى المسيحيين قد ملأوا الدنيا بقولهم إن «المسيح افتدانا».

أما نحن فعندنا أئمة آل البيت عليهم السـلام، وعندنا الحسـين عليه السلام وقضاياه المشجية التى لا يملك المسيحيون معشار معشارها، ولكننا مقصـرون. فلنقم بما يمليه الواجب الشـرعى والوجدانى علينا تجاه سـيد الشـهداء الإمام الحسـين عليه السلام، ولا نقصر فى إقامة مراسم عزائه فى بيوتنا؛ فلهذا الأمر أهمية بالغة، فكل برنامج يقام فى أحد البيوت يعد مؤسسة تربوية وثقافية واجتماعية واقتصادية...

إن إحدى العائلات الشـهيرة فى الكويت تقيم المجلس الحسينى فى بيوت أفرادها على مدار السنة بشكل دورى، أى أن المجلس يقام كل ليلـة من ليالى الأسـبوع فى بيت أحدهم، باسـتثناء شـهر محرم وصـفر حيث تقام المجالس العامة، كل الذين أعرفهم من أفراد هذه العائلـة هم أفراد مؤمنون، فمن الطبيعى أن يمتـاز الشـخص المتربى فى أجواء المنبر الحسـينى عن المتسـكع فى الشوارع أو المتربى فى أجواء الفضائيات الهابطة.

بناءً على هـذا، فإن إقامة المجالس الحسـينية هى إحدى الواجبات الكفائية (بالقدر الذى يتوقف أداء الواجب عليها) بل ربما تكون من الواجبات العينية فى بعض الأحيان.

أقيموا المجالس الحسـينية فى بيوتكم، وسوف تلمسون بأنفسـكم بركاتها وآثارها، ولن تتخلوا عنها إن شاء الله بعـد ذلك. إننى أعرف

أشخاصاً شرعوا بهذا الأمر ومازالوا مستمرين عليه دون أن يندم أى منهم، لأنهم رأوا بأعينهم البركات الدنيوية والأخروية تترى عليهم على أثر ذلك.

۲. مشاركة الإمام الحسين عليه السلام بالأموال

لنشارك الإمام الحسين عليه السلام بأموالنا مهما كانت وبالمقدار الذى نستطيع، لننال البركات والخير الوفير والأجر الجزيل فى الدنيا والآخرة.

۳. ليكن فى كل بيت خادم للحسين عليه السلام

إذا كان للمرء أولاد فليجعل أحدهم خادماً لسيد الشهداء عليه السلام، فكما يكون هذا طبيباً والآخر مهندساً، والثالث تاجراً أو غير ذلك، فليكن أحدهم من خدمة الحسين عليه السلام ومنبره وقضاياه. وهذا منوط إلى درجة كبيرة بترغيب الوالدين وحثهما.

كانت إحدى الأمهات فى العراق والقصة تعود إلى ما قبل حوالى خمسين سنة تنكّس هاوناً كبيراً (يسميه العراقيون الجاون) وتدعو ولدها الصغير الذى ربّما كان فى حوالى الثالثة من عمره ليجلس عليه ويقرأ لها تعزية الحسين عليه السلام. وكان الطفل يستجيب لأمه ويردد ما يعرفه.

كما كانت هذه الأم تشجع ولدها أيام شهر رمضان المبارك على الصعود إلى سطح الدار وارتقاء التنور لكى يرفع أذان المغرب، وكان الابن يمتثل أيضاً. وقد أصبح ذلك الولد الصغير اليوم من أشهر خطباء الشيعة فى العالم، وكل ذلك تعود بداياته للجاون والتنور أى لترغيب الأم وحثّها .

فلنعلّم أولادنا على ذكر أبى عبد الله عليه السلام منذ الصغر، وليختص أحدهم بخدمة الحسين عليه السلام كما يختص سائر الأولاد باختصاصات شتى.

۴. ولا نقصر فى خدمة نستطيع تقديمها للحسين عليه السلام

ليقدم كل منا ما بوسعه من خدمة للإمام الحسين عليه السلام، مهما كانت تلك الخدمة، فمن استطاع تقديم الشاى مثلاً فى مجلس أبى عبد الله عليه السلام فليفعل، فإن ذلك شرف وفخر، ومن استطاع أن يشترك فى المواكب الحسينية فليشترك، ومن أمكنه أن يكون خطيباً لسيد الشهداء عليه السلام فليكن، ومن استطاع أن يكتب كتاباً أو يقوم بطبعه ونشره أو يشترى كمية من الكتب أو الأشرطة أو الأقراص الكمبيوترية وما أشبه، مما يعنى بقضية الإمام الحسين عليه السلام ومظلوميته، ثم يقوم بتوزيعها مجاناً، ومن استطاع أن يبنى حسينية أو يساهم فى بنائها ... إلى غير ذلك من الخدمات فليفعل؛ فكل ذلك فخر وشرف وذخيرة للآخرة. وفى الحديث: «المرء تحت ظل صدقته يوم القيامة». فكما أن البيت الذى يبنيه الإنسان فى الدنيا يقيه من الحر والبرد، فكذلك الحسينية التى يبنيها سوف تكون ظلاً له يوم القيامة.

ينقل أنه عزم جماعة من المؤمنين على بناء حسينية فجاءوا إلى تاجر وفاتحوه بالمشروع فقال لهم: كم تحتاجون من المال؟ وحيث إن المبلغ كان كبيراً جداً تهيبوا أن يذكروه لفظاً فكتبوه على ورقة وقدموها للتاجر، لكن التاجر قال:

«إننى لم أضع فى حياتى نظارة على عينى فى قضية سيد الشهداء عليه السلام»،

ولعله كان يعنى بعبارته أنه لا يدقق فى عطائه فى هذا المجال كما يدقق فى سائر المجالات، وطالبهم بأن يذكروا له المبلغ الذى كتبوه شفاهاً، ثم كتب لهم صكاً مصرفياً بالمبلغ الذى طلبوه أو بأكثر منه.

وبعد أن توفى هذا التاجر رآه بعض المؤمنين فى عالم الرؤيا فسأله عن حاله فى العالم الآخر، فأجاب:

«كما أننى لم أستعمل النظارات فى قضايا أبى عبد الله الحسين عليه السلام هنا أيضاً عاملونى بنفس الكيفية، فلم يدققوا معى فى الحساب».

لو أراد الله أن يدقق معنا فى الحساب فسيكون حال الكثير منا كما قال ذلك الرجل: «وجدنا سوق الأعمال كساداً»؛ قال تعالى: ?وَيَخَافُونَ سُوءَ الحِسَابِ، ?أما من أعطى بغير حساب فربما يقال له: ادخل الجنة بغير حساب.

وهنا أنقل لكم القضية التالية:

كانت والدة المرحوم الجد الميرزا مهدى الشيرازى ?امرأة مؤمنة متعبدة، وكانت إذا استيقظت لصلاة الليل أيقظت الجد وهو صغير ثم تعطيه بعض الحلوى أو نحوه وتقول له:

«يا مهدى كل هذه واحدة واحدة وانظر إلىّ».

ترى كيف سيكون الطفل الذى ينهض فى قلب الليل وينظر إلى أمه تصلى لربها؟ وما هو الأثر الذى سيتركه هذا الأمر عليه فى المستقبل؟ ولذلك ينقل عن الجد رحمة الله عليه أنه لم يكن يستطيع النوم قبيل أذان الفجر وإن كان قد نام قبل ساعة واحدة فقط، وهذا من آثار التعويد الذى عودته والدته عليه منذ الصغر.

وكان للجد ?أخوان، فكانت والدتهم تطلب منهم أن يقرأوا لها تعزية الحسين عليه السلام كل يوم قبل مغادرتهم البيت على نحو التناوب، ولم يكن أى منهم خطيباً، فكان من يأتى دوره يأخذ بيده كتاباً ويقرأ منه لها.

وحلّ الوباء (الطاعون) بكربلاء وبعد أن زال تبيّن أن حوالى ثلث أهل المدينة قد ماتوا بسببه، حتى مات الغسالون والدفانون ورجل الدين الذى كان يصلى على الأموات، فكان إذا مات شخص بعد ذلك رموه فى مكان وولوا هاربين.

وكان البيت الذى يسكنه الجد يقع فى زقاق يقال له (المائة)، وقد قيل إنه لم يبق بيت فى ذلك الزقاق لم يطرق الموت بابه، بل مات أفراد عائلة من تلك العوائل بأكملهم مع أنه لم يكن يفصلهم عن بيت الجد إلا بيت واحد. وكانت الدار الوحيدة التى لم يمت منها أحد، ويشير إليها الأهالى بالبنان بقولهم: (هذا البيت ما طلعت منه جنازة) هى دار والدة الجد. وقد رأت فى عالم الرؤيا عجوزاً دميمة تشير إلى بيوت كربلاء وتقول بغضب:

«لقد دخلت كل هذه البيوت إلا هذا البيت فهم مشغولون بقراءة التعزية يومياً».

وهذا أثر من الآثار الدنيوية لمجالس عزاء الحسين عليه السلام، ولهذه المجالس آثار أخروية عظيمة أيضاً.

كان هنالك شخص يعرف فى كربلاء المقدسة باسم (مرتضى)، ولعل كثيراً من أهالى كربلاء سمع به أو رآه، لأنه كان فى عاشوراء من كل عام يقوم بتمثيل دور شمر بن ذى الجوشن ويحرق خيام الحسين عليه السلام، جاء هذا الشخص إلى ايران ثم توفى فيما بعد فى مدينة إصفهان، ينقل أنه رُؤى فى عالم المنام وسئل عما صُنع به فقال: عندما وضعونى فى القبر جاءنى منكر ونكير وسألانى من ربك؟ من نبيك؟ من إمامك؟ وإذا بسيد الشهداء عليه السلام قد أقبل وأشار لمنكر ونكير أن يدعانى ثم أمرنى أن أؤدى ما كنت أقوم به فى يوم عاشوراء فى حياتى، قلت: سيدى إن هذا يتطلب فرساً وخياماً وساحة وسيعة، فأمر الإمام عليه السلام الملائكة ليهيئوا ذلك كله لى، فركبت الجواد وقمت بالهجوم على الخيام وتحريقها، وهنا رأيت بطرف عينى الدموع تجرى من عين أبى عبد الله الحسين عليه السلام، عند ذلك قال الإمام الحسين عليه السلام: هذا يكفى.

ثم منحونى القصر والنعيم الذى أرفل فيه الآن، ببركة سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام.

إننا لو عرفنا أهمية هذه الشعائر حقاً لم نتخلّ عنها أبداً. كان هناك شخص كبير السن فى الكويت وناقل القصة لى ابنه يقيم مجالس سيد الشهداء عليه السلام فى بيته، فرأى على أثر ذلك بركات كثيرة، مما دفعه إلى أن يوصى بوقف داره للإمام الحسين عليه السلام، على أن تكون تحت تصرفه وتصرف زوجته ما داما على قيد الحياة.

وكان جدىّ الأمى الحاج صالح ?من جملة من لمس هذه البركات فى قضية يطول الحديث عنها وملخصها أنه وقع فى مشكلة مالية

كبيرة فخاطب الإمام الحسين عليه السلام قائلاً: لئن نجوت من هذه المشكلة فسوف أشركك فى أموالى، ونجا من المشكلة بطريقة غير متوقعة.

فلنقم مجالس العزاء على أبى عبد الله الحسين عليه السلام فى بيوتنا، ولنشركه فى أموالنا، ولندَع أحد أولادنا يتفرغ لخدمة الإمام الحسين عليه السلام، وأخيراً: لنقدم ما فى وسعنا من خدمة فى هذا المجال، فهذه كلها ذخيرة لنا يوم لاينفع مال ولا بنون.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

قبس من النهضة الحسينية

قبس من النهضة الحسينية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

يقول الإمام الصادق عليه السلام فى زيارة جده الإمام الحسين عليه السلام فى يوم الأربعين: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

هذا النص الشريف يحتوى على مفاهيم ومباحث ذات مضامين عالية، نتناول مبحثين منها باختصار؛ يتعلق الأوّل منهما بكلمة «فيك» ويتعلّق الثانى بكلمة «ليستنقذ» الواردتين فى النص:

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسين عليه السلام من أجل الله تعالى

المبحث الأوّل: تضحية الإمام الحسين عليه السلام من أجل الله تعالى

يدور هذا المبحث حول كلمة «فيك» الواردة فى النص، وهى هنا تعنى «لأجلك»، والمخاطَب هو الله تعالى، لأنّ «فى» فى اللغة العربية قد تأتى بمعنى لام التعليل، كما يقوله ابن مالك فى الألفية، والمقصود بذلك الباعث والدافع الذى يحرك الإنسان نحو القيام بعمل ما، وهذا بحث تناوله العلماء فى علم الحكمة الإلهية وعلم الأخلاق وعلم الفقه، وتناوله العلماء الجدد فى علم النفس، فإنّ كل عمل إرادى يصدر منا نحن البشر يتوقف على دافع ومحرك ومنطلق، وهذا الدافع يرجع بالتحليل إلى أحد أمور ثلاثة، هى:

الدافع الأوّل: أن يكون العمل للدنيا.

الدافع الثانى: أن يكون العمل للآخرة.

الدافع الثالث: أن يكون العمل لله تعالى.

أمثلة على الدافع الأوّل

فتارة يكون الهدف من وراء العمل دنيوياً، وهذا مع الأسف هو حال أكثر أعمالنا، فهى فى الغالب للدنيا، كالتاجر مثلاً يذهب إلى متجره كل يوم، ودافعه الحصول على المال، أى إنّ عمله للدنيا، ولذلك فهو لا يستحق على الله تعالى شيئاً، ولا يمكنه أن يطلب من الله سبحانه أجراً على عمله، فى يوم القيامة، لأنّه عمل للمال، وقد نال ما عمل من أجله، أو لم ينل، فماذا يطلب من الله عز وجلّ؟

مثال آخر: الطالب الذى يدخل المدرسة ويطلب العلم وهدفه أن ينال الشهادة، فهو الآخر لا يستطيع أن يطلب من الله تعالى شيئاً لقاء طلبه العلم، لأنّه لم يطلبه لله، بل للشهادة.

مثال آخر: الكريم الذى يبتغى الشهرة والذكر الحسن من وراء كرمه، لقد كان حاتم الطائى يجود حتى بلقمته للآخرين، ويروى أن زوجته واسمها ماوية لم تكن راضية على هذا المستوى من البذل، فقال لها:

أماوىّ إنّ المال غاد ورائح

ويبقى من المال الأحاديث والذكر

يريد بذلك: أنّ المال يزول ولكن الذكر الذى أحصل عليه بسبب البذل يبقى.

فإذا فرضنا أن ذلك كان هو منطلق حاتم فى كرمه، فإنّه لا يستحق على الله تعالى فى يوم القيامة شيئاً، لأنّه كان يطلب الذكر الحسن والسمعة الطيبة والشهرة وقد نالها.

إن المهم عند الله تعالى هو الدافع، إذن، قبل أن نشرع بأىّ عمل، علينا أن نفكر أوّلاً ما هو دافعنا للقيام بذلك العمل؟

الفرق بين الدافعين الأخيرين، وتوضيحهما بالأمثلة

الدافع الثانى كما ذكرنا آنفاً هو أن يعمل الإنسان للآخرة، أى طمعاً فى الجنة أو خوفاً من النار، وخوف العقوبة أشد تأثيراً غالباً من الرغبة فى الثواب، ولعله لذلك كان الإنذار مقدماً على التبشير فى القرآن الكريم، ولذلك أيضاً نرى كثيراً من الناس لا يعملون المستحبات حتى الأكيدة رغم ما فيها من عظيم الثواب، وذلك بخلاف الواجبات، مثلاً: يستيقظ المتدينون عادة لصلاة الصبح لأنهم يعلمون أن فى تركها العقوبة بخلاف صلاة الليل فإن الأكثرية ربما يتركونها رغم ما فيها من الثواب الجزيل، إذ لا عقوبة فى تركها.

وعلى كل حال فالباعث والمحرك فى هذا القسم هو أخروى ويتمثل بالخوف من النار أو الطمع فى الجنة. وقد يبدو هذا الباعث لأوّل وهلة أرفع البواعث، ولا شكّ أنّه باعث رفيع خلافاً للأوّل، ولكن قبل أن نبيّن رأينا فى الموضوع لنستمع إلى سيدنا ومولانا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فى تقييمه لهذا الباعث؛ يقول عليه السلام «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

لا شكّ أنّه يجب أن نخاف من النار وأن نطمع فى الجنة، ولكن العبادة لأجل الخوف والطمع هى عبادة التجار والعبيد لا عبادة الأحرار كما قال أمير المؤمنين عليه السلام فالعبد يخوّفه المولى بالعصا أو يطمعه فى الأجر فيطيع ويعمل.

ولا بأس أن نذكر الشاهد التالى: إن من الأمور المجربة: أنّ مَن كان فى بدنه ألم فليسجد سجدتين شكراً لله تعالى بعد الانتهاء من الفريضة ثم ليمسح يده بعد ذلك على موضع سجوده ثم يمسح بها موضع الألم، فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى.

يقول أحد الإخوة وهذه التفاتة لطيفة منه : إنى عندما أسجد هاتين السجدتين أشعر بالخجل من الله تعالى، فإنّنى أحس أنّ هذا نوع من المقايضة والمعاملة التجارية، لأنّى أتيت بالسجدتين مقابل رفع الألم؛ ولذلك فإنّى أسجد سجدة ثالثة لتكون لله تعالى وليس لرفع الألم وما أشبه.

شاهد ثان: قد يذهب بعض المؤمنين إلى حرم السيدة فاطمة المعصومة ?لمشكلة يريد الخلاص منها مستشفعاً بهذه السيدة العظيمة، وهذا شىء جيد ولا بأس به، ولكنه يمثّل مرتبة دنيا، وعلينا دائماً أن نسعى لأن نكون فى حالة ارتفاع وارتقاء لنصل إلى المراتب العليا، فلنذهب بعض الأيام إلى حرم السيدة المعصومة ?ليس لقضاء حوائجنا الدنيوية وإنما لأنّها جديرة باحترامنا.

إذا ابتُلى أحدنا بمشكلة أو مصيبة فليتضرع إلى الله ويدعوه، فهذا أمر حسن والله تعالى يقول?: فَلَوْلا إِذْ جَاءهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ، ?ولكن ثمة مرتبة أعلى وهى أن ندعو الله تعالى ونبكى ونتضرع إليه ونناجيه بأنواع الدعوات كدعاء كميل مثلاً ليس لأنّ ضغط الحاجة يدفعنا، بل لأنّ الله تعالى أهل للعبادة.

دافع الإمام الحسين عليه السلام للتضحية

هذه الفقرة التى قرأناها فى زيارة الأربعين وهى «بذل» الحسين عليه السلام «مهجته» فى الله تعالى، تعنى أنّ تضحية الإمام الحسين عليه السلام العظيمة لم تكن من أجل الجنة بل كانت من أجل الله تعالى، أجل إنّ الإمام الحسين عليه السلام يحب الجنة وكلنا نحب الجنة،

ولكن تضحيات الإمام الحسين عليه السلام كانت «لله» تعالى، وكما قال أمير المؤمنين عليه السلام مخاطباً ربه: «ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

فشتان مثلاً بين ولد يذهب لزيارة والده ويقبّل يده طمعاً فى ما قد يحصل عليه من النقود، وولد يقوم بذلك العمل لأنّه يرى أنّ مقام الأب يقتضى ذلك، وشتان بين أن تعود شخصاً وتزوره لطمع فى أمواله مثلاً، وأن تزوره بسبب ما يستحقه من احترام وتقدير.

لقد بكى النبى شعيب (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) حتى ابيضت عيناه، وعندما سأله الله سبحانه عن سبب بكائه قال: أبكى حباً لك، فشتان بين بكاء شعيب عليه السلام وبكائنا نحن!

يقول الشاعر مخاطباً الإمام الحسين عليه السلام:

تبكيك عينى لا لأجل مثوبة

لكنّما عينى لأجلك باكية

فلنصلّ أحياناً بعض الركعات المستحبة لله تعالى، لكونه أهلاً للعبادة، كما نصلّى للحاجة، فإنّ للصلاة إعظاماً لله ومن دون وجود حاجة تدفعنا إلى ذلك قيمة كبيرة عند الله تعالى.

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

المبحث الثانى: نهضة الحسين عليه السلام من أفضل سبل الإنقاذ

لقد ورد فى النص أيضاً:

«ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة».

وهذا الاستنقاذ له مجالان:

المجال الأوّل: الاستنقاذ فى الإطار الخاص

وأعنى به إنقاذ أبنائنا وبناتنا من الأخطار التى تداهمهم فى هذا العصر، ومن أفضل الوسائل لهذا الإنقاذ مجالس سيد الشهداء عليه السلام والشعائر الحسينية، فإنْ نحن وضعنا أنفسنا وأولادنا وعوائلنا فى أجواء هذه المجالس والشعائر الحسينية فإنّها ستكون من أفضل الضمانات لإنقاذهم ونجاتهم، أما إذا لم نهتم بهذا الأمر فإنّ الابن قد يشكّل خطراً على أبيه وعلى العائلة والمجتمع، ولنا عبرة فى هذه القصة التى حدثت فى إحدى البلاد العربية، ولعل مضمونها التقريبى:

إنّ رجلاً سحب أمواله من المصرف وعاد إلى البيت، ولما جن عليه الليل وإذا بشخصين ملثمين مسلّحين (أو أكثر) دخلا عليه وأمراه أن يسلّمهما المال وإلاّ قتلاه.

تحير الرجل وفكر فى طريقة للتخلص منهما وعدم التفريط بالمال، فقال لهما: إنّ المال فى الغرفة المجاورة اسمحا لى لآتيكما به. وخرج الرجل ثم عاد إليهما من باب آخر وهو يحمل سلاحه النارى ويده على الزناد، فأطلق عليهما النار وأرداهما فى الحال قتيلين، وعندما أماط لثامهما اكتشف أنّ أحدهما ابنه والآخر ابن أخيه.

تصوّروا خطورة الموقف وما آلت إليه مجتمعاتنا! لقد صار الابن يهدد أباه ويحاول نهبه!! يا له من خطر كبير! فإذا لم يهتم الآباء والأمهات بهذا الجانب فسيصبح الجيل الجديد فى خطر.

أما الذين عاشوا مع سيد الشهداء عليه السلام ونشأوا فى مجالسه يحزنون لمصابه ويلطمون صدورهم عليه ويشتركون فى مواكب عزائه، فقد حصلوا على ضمانة لنجاتهم بإذن الله تعالى، وإذا كانت فى حياتهم بعض اللمم، فإنّ سيد الشهداء سيهديهم إلى الله تعالى

فى نهاية الأمر إن شاء الله تعالى، وما أكثر الموالين الذين استقاموا فى حياتهم ببركة سيد الشهداء عليه السلام.

المجال الثانى: الإنقاذ فى الإطار العام

المجال الثانى: الإنقاذ فى الإطار العام

لو كنا نعرف قيمة سيد الشهداء عليه السلام حقاً لاستطعنا أن ننقذ العالَم كله بإذن الله تعالى، فإنّ القدرة الموجودة فى نهضة سيد الشهداء عليه السلام بإمكانها أن تنقذ جميع العباد والبلاد؛ لما فيها من جاذبية عجيبة، ولما انفردت به من البطولات.

يقول أحد الغربيين: لقد قرأت تاريخ الحروب المدوّنة كلها فلم أجد فيها من بدايتها إلى نهايتها موقفاً لقائد يشبه موقف الحر الرياحى، راجعوا التاريخ كله، هل تجدون قائداً ينتقل من الطرف الأقوى إلى الطرف الأضعف من الناحية العسكرية مضحياً بمنصبه وهو يعلم أنّ مصيره القتل حتماً؟!!

إنّ قضية كربلاء مشحونة بالبطولات العظيمة وقد اشترك فيها الرجال والنساء والأطفال والشيوخ والشباب والأحرار والعبيد ... ولذلك فهى مؤثرة فى كل شرائح المجتمع.

إنّ انتشار التشيّع فى العراق رهين لنهضة سيد الشهداء عليه السلام، لقد فكّر أحد علماء العراق فى استقطاب الشعب العراقى إلى خط أهل البيت عليهم السلام، فوجد أنّ أفضل طريقة هى نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فكان هذا العالِم يذهب إلى المدن والقرى ويذكر لأهاليها قصص وبطولات كربلاء وما تحفل به من البطولات والمآسى حتى استطاع أن يهدى حوالى مئة ألف إنسان إلى التشيّع.

فى بلد آخر كان عدد الموالين لأهل البيت عليهم السلام لا يزيد على عشرة ملايين نسمة، ولكن ببركة المجالس الحسينية اهتدى إلى خط أهل البيت عليهم السلام الكثير من السكان حتى بلغ عدد الموالين ثلاثين مليون نسمة كما نقل بعض العلماء من سكنة ذلك البلد وهذا الأمر أرّق أعداء آل البيت فاجتمعوا وفكّروا فى الوقوف فى وجه هذه الظاهرة وهذا الموج الحسينى الهادر الذى لو قدّر له أن يسرى لاهتدى كل أهل البلد أو معظمهم بفضل قضية سيد الشهداء عليه السلام وما تحظى به من جاذبية.

مجالس الإمام الحسين عليه السلام من الباقيات الصالحات

إذن ينبغى علينا أن نساهم بمقدار إمكاناتنا فى هذا المجال، فهى من أعظم الباقيات الصالحات، يقال إنه كان هناك رجل من الأعيان فى إيران يقال له فرهاد ميرزا، اجتمع الأعيان مرة وبدأ كل منهم يعدد ما يملك من عقارات وأراض وأرصدة وأموال فى المصارف والبنوك، ولكن فرهاد ميرزا لم يقل شيئاً، فقالوا له: وأنت يا فرهاد لم تخبرنا عما تملك؟

«فقال: دعونى من ذلك. ولما ألحّوا عليه قال: إنّ لى رصيدين فى بنكين: الأول: كتاب «القمقام» فى (بنك سيد الشهداء عليه السلام) والثانى: بناء الصحن فى (بنك الإمامين الكاظمين)».?

لقد ذهبت أرصدة أولئك الأعيان كلها وبقى رصيدا فرهاد ميرزا، فقد ادّخرهما فى حساب مصرفى مسجل لدى الإمام الحسين والإمامين الكاظمين.?

وبعد أيام قلائل لا يبقى أىّ منا على قيد الحياة وتذهب كل أموالنا، ولا تبقى منا إلّا الأعمال الصالحة، فلنبادر إلى الإكثار منها، ومنها المشاركة فى مجالس وشعائر أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

لا ينفع فى الآخرة عمل مثل ما تنفع الشعائر الحسينية

وقد نقل لى أحد الأخوة المؤمنين أنّه رأى السيد الوالد رحمة الله عليه فى عالم الرؤيا فقال له:

«قل لأولادى وأحبائى إنّه لا ينفع هنا فى عالَم القبر إلّا الحسين عليه السلام، ثم ذهب وعاد وكرر عليه القول مرة ثانية.

ثم ذهب وعاد وقال مرة ثالثة: قل لأولادى وأحبائى لا ينفعكم هنا إلّا الحسين عليه السلام».

وهناك رؤية مشابهة للعلّامة الحلى رحمة الله عليه، فقد رؤى فى عالَم المنام

يقول لولده:

«لولا كتاب الألفين (وهو كتاب فى الدفاع عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) وزيارة الحسين عليه السلام، لكان (كذا)».

أيها الأخوة، ستزول المظاهر التى نراها بعد أيام ويتحول هذا الوجود الحى المتحرك النابض إلى اسم على شاهد قبر، ولنعلم أنّ «اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل».

وإنّ هذه الأعمال، وهذه الدموع، وهذه المجالس، وهذه الشعائر هى التى ستبقى لنا، فلو أنّ أحدنا استطاع أن يساهم ببناء حسينية أو إقامة مجلس أو نحو ذلك، فلا يقصر فهى من الباقيات الصالحات له.

نسأل الله تعالى أن لا يحرمنا من هذا التوفيق العظيم، توفيق إقامة مجالس وشعائر أبى عبد الله الحسين عليه السلام.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الإمام السجّاد عليه السلام ... عصره ودوره

الإمام السجّاد عليه السلام ... عصره ودوره

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

نتناول فى حديثنا هذا طبيعة العصر الذى عاش فيه الإمام السجّاد عليه السلام أوّلاً، ودوره عليه السلام فى هداية الأمّة وتوجيهها ثانياً.

أما بالنسبة إلى الموضوع الأول فلقد شهد عصر الإمام السجاد عليه السلام مجموعة من الأزمات الحادّة فى مختلف المجالات، ولكننا سنتعرض فى حديثنا هذا بإذن الله تعالى إلى نوعين منها وهما: الأزمة الفكرية والأزمة الأخلاقية.

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أ الأزمة الفكرية وأسبابها

أما الأزمة الفكرية أو الثقافية فمنشؤها عاملان:

العامل الأول: الانفتاح على ثقافات الأمم الأخرى

وهذه الأزمة تهدّد كلّ عملية انفتاح، إن لم يكن مخططاً لها من قبل. ولو نظرتم إلى أكثر بلادنا الإسلامية اليوم لرأيتم آثار الانفتاح على الثقافات الأخرى كالثقافة الغربية، ومن الواضح أنّ الحضارات الأخرى تمتلك منظومة فكرية مختلفة عن منظومتنا الفكرية، مثلاً: حجاب المرأة لا معنى له فى حضارة الغرب، بل ربّما لا تمثّل العفة أساساً قيمة حضارية عند الكثير منهم.

وعندما تلتقى حضارتان وتنفتح إحداهما على الأخرى، فإن المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأقوى تؤثّر على المنظومة الفكرية والثقافية للحضارة الأضعف.

ونحن نعتقد أن المنظومة الفكرية للإسلام هى أقوى المنظومات الفكرية، وبالتالى فإن الفرد الذى يستوعبها لا يخافُ عليه من التأثّر أو

الذوبان، وإن عاش فى قلب الثقافات الأخرى، لأن ثقافته هى الأعلى.

بيد أن الثقافة الإسلامية وإن كانت أقوى الثقافات ولعلّ هذه القوة من مصاديق قوله تعالى: (وأنتم الأعلون) لم يُتح المجال لها كى تُبيّن بالشكل الكافى وتنتشر. ولو راجعنا التاريخ الإسلامى لرأينا أن النبى عليه السلام كان فى مكة يعيش الضغوط الكبيرة، وكان فى المدينة يخوض الحروب الدفاعية، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان يعيش حالة الإقصاء قبل الخلافة الظاهرية، حتى إذا آل إليه الأمر أثاروا فى وجهه الفتن والحروب والمشاكل الداخلية، حتى قال أحد الغربيين:

«يجب أن نصنع لمعاوية تمثالاً من ذهب لأنه وقف فى وجه تقدّم الإسلام على يد علىّ بن أبى طالب!»

وهكذا الحال مع الإمام الحسن والإمام الحسين وكثير من الأئمة الآخرين عليهم السلام.

وهذا معناه أن الأمة لم تحصل على المناعة الفكرية الكافية، ولذلك عاشت خطراً فكرياً وثقافياً هائلاً عندما انفتحت على الثقافات الأخرى، فوفدت إليها الأفكار الجبرية والقدرية وأفكار الفلسفة اليونانية فأثّرت فيها تأثيراً سلبياً.

هل لاحظتم المصاب بمرض فقدان المناعة؟ إنه يُسقطه أضعف ميكروب، وقد يصيبه زكام خفيف فيقتله؛ ولذلك يُحجر عليه لئلا تنتقل العدوى من الآخرين إليه، فهكذا هى حال الأمة التى تلتقى بثقافات أخرى وهى فاقدة للمناعة. أما إذا كانت محصّنة فلا يكون ثمّة خطر عليها حينئذ.

العامل الثانى: عملية التضليل أو غسيل الدماغ

وهذا ما قامت به السلطات الحاكمة، فمعاوية ومن سبقه ومن تلاه كوّنوا جهازاً لصنع الثقافة المضللة للأمة.

وقد روى فى التأريخ أن أهل الشام ما كانوا يعرفون للنبى عليه السلام قرابة وأهل بيت غير بنى أمية! ولذلك أوصى معاوية ولده يزيد بثلاث وصايا؛ إحداها تتعلق بأهل الشام قال له فيها:

«أهل الشام فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شىء من عدوّك فانتصر بهم، فإذا أصبتهم فاردد أهل الشام إلى بلادهم فإنهم إن أقاموا بغير بلادهم أخذوا بغير أخلاقهم».

ولغسيل الدماغ طرق كثيرة منها عزل الفرد، والحيلولة دون وصول المعلومات الصحيحة إليه، وهذا ما قام به معاوية بن أبى سفيان وأمثاله.

ومن هنا كان بعض أهل الشام يعتقدون أنّ الإمام أمير المؤمنين (على بن أبى طالب عليه السلام) كافر، والعياذ بالله! وكان معاوية ينشر بين أهل الشام أنّ عليّاً لا يصلّى!.

مثال على التضليل الفكرى فى واقعنا الراهن

واليوم نرى بعض الأفراد يقومون بعمليات انتحارية وهم يستهدفون قتل المسلمين والناس الأبرياء بما فيهم الأطفال والنساء، ويظنّون أنهم يتقرّبون بذلك إلى الله سبحانه! إنه مثال واضح على استخدام أساليب غسيل المخ عبر عزل الأفراد وتزريقهم بأفكار متطرّفة، ومنعهم من الاحتكاك بالآخرين؛ وإلا كيف يمكن لإنسان أن يقوم بعملية انتحارية يقتل فيها نفسه والناس الأبرياء العزّل ظلماً وعدواناً فيخسر آخرته ودنياه إن لم يكن مضللاً تضليلاً مركّزاً.

وما أشبه الليلة بالبارحة! فآباء القوم كانوا يتقرّبون أمس إلى الله بقتل سبط الرسول عليه السلام وسبى أهل بيته ونسائه، ويأسف الأحفاد اليوم على أنهم فاتهم ذلك، فيسرعون إلى توجيه نيران حقدهم إلى مضجعه الشريف ومحبّيه وزواره!!

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

ب الأزمة الروحية أو الأخلاقية

المشكلة الثانية التى شهدها عهد الإمام زين العابدين عليه السلام هى المشكلة الأخلاقية. وواضح منشأ هذه المشكلة، فإنه إذا كان يتربع على قمّة الحكم الإسلامى شخص مثل يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم، فماذا ستتوقّع من القاعدة وما بالك بالمجتمع؟ وإذا كان ربّ البيت بالدف ناقراً، فماذا ستكون شيمة أهل ذلك البيت؟

لنلاحظ الانحطاط الخلقى عند هذا الحاكم الذى يجلس فى مكان رسول الله عليه السلام، والذى يُفترض فيه أن يكون قمّة فى الأخلاق والدين لندرك عمق الفاجعة ونعرف طبيعة الأزمة الأخلاقية فى عهد الإمام زين العابدين عليه السلام؛ ولنفهم معنى قول الإمام الحسين عليه السلام لمعاوية: «دَعه أى يزيد وما رضى لنفسه» من اللعب بالقرود والفهود ومعاقرة الخمور ودَعِ الأمة وشأنها!

وكان يزيد فيما أجمع عليه المؤرّخون ولِعاً بالقرود، فكان له قرد يجعله بين يديه ويكنّيه بأبى قيس، ويسقيه فضل كأسه، ويقول: هذا شيخ من بنى إسرائيل أصابته خطيئة فمُسخ، وكان يحمله على أتان وحشية ويرسله مع الخيل فى حلبة السباق، فحمله يوماً فسبق الخيل فسرّ بذلك وجعل يقول:

تمسّك أبا قيس بفضل زمامها

فليس عليها إن سقطت ضمان

وأرسله مرّة فى حلبة السباق فطرحته الريح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً وأمر بتكفينه ودفنه، كما أمر أهل الشام أن يعزّوه بمصابه الأليم!

وكذلك عملوا، فكانوا يأتون زرافات لتعزيته فيه!!

فإذا كان هذا وضع الحاكم الذى يمثّل الأب والقائد فى المجتمع، فكيف سيكون حال غيره؟

إذا كان الأب فى البيت مثلاً يشاهد الأفلام الخليعة أمام أولاده، فماذا تتوقع من الأولاد؟ إنّ هذا الواقع الفاسد فى القمة خلق انهياراً أخلاقياً مريعاً فى القاعدة.. وكان من نتائج ذلك قتل ابن بنت رسول الله عليه السلام وحبيبه.

راجعوا كتاب (الأغانى) وانظروا كيف كان يعيش المجتمع آنذاك؟ إن عنوان الكتاب ويقع فى مجلّدات هو خير تعبير عن تلك الفترة، فالأغانى جمع غناء وتعنى اللهو والعبث والمجون!

ويذكر بعض المؤرّخين أنه ظهرت فى تلك الفترة عصابات اختطاف الفتيات، حتى فى وضح النهار، وكانوا يتحدّون المجتمع ويقولون للمرأة اصرخى ثلاثاً فإن جاء شخص لنجدتك تركناك وإلا فلا. ولم يكن يجرؤ أحد للوقوف فى وجههم وإغاثة المرأة إلا أن تكون وراء المرأة عشيرة قوية مرهوبة الجانب! هكذا كان وضع البصرة فى عهد زياد أو ابن زياد.

وكانت هذه لمحة موجزة عن الأزمة الثقافية والأخلاقية التى شهدها عهد الإمام عليه السلام، وننتقل إلى الموضوع الثانى وهو:

أدوار الإمام السجّاد عليه السلام

أدوار الإمام السجّاد عليه السلام

فى ظلّ الواقع والأزمات التى أشرنا إلى نموذجين منها، كان الإمام أمام عملية تغيير جذرية؛ ذلك أن الفرد قد يتّجه فى عملية التغيير إلى البنى الفوقية لتغييرها، إلا أنّها عملية غير ممكنة، ولو فرضنا أنها ممكنة فإنها لا تدوم.

هب أنك جئت إلى مجتمع وأحدثت فيه انقلاباً وغيّرت كل بناه الفوقية، ألا تحتاج إلى أيد وإلى موظفين ووزارات؟! فإذا كانت كل هذه التركيبة فاسدة فكيف ستتمكن أن تعمل فى مجتمع كهذا؟

لقد ارتقى معاوية الثانى (وهو معاوية بن يزيد) المنبر وتبرّأ من أبيه وجدّه وقال:

«إنهما كانا غاصبَين للخلافة وإن الأحقّ بها اليوم علىّ بن الحسين بن علىّ بن أبى طالب عليهم السلام!)».

فلنفرض أنّ الإمام السـجّاد عليه السـلام أصبح هو الحاكم، فما الذى يمكن حسب المقاييس الظاهرية فعله وجميع أفراد الجهاز الحاكم فاسدون والمجتمع منهار؟ انّ مجتمعاً يقتل الإمام الحسين عليه السلام لهو مجتمع منهار وفاسد فكرياً وأخلاقياً ودينياً وعقائدياً، فكيف تقوده من فوق بل لابد من العمل معه من الأساس.

لقـد قام العباسـيون بثورة أطاحوا فيها حكم الأمويين، فما الـذى تغيّر إلا الأشـخاص؟! لقد حلّ فرد عباسـىّ محلّ فرد أموىّ فى الحكم، فماذا كانت النتيجة؟ لقد فعل العباسيون مثل ما فعل أسلافهم، بل قال الشاعر:

تالله ما فعلت أميهٔ فيهم

معشار ما فعلت بنو العباس

ولقـد كتب أبو سـلمهٔ الخلاـل للإمـام الصـادق عليه السـلام وعرض عليه الحكم فرفض ولعـل ذلـك لأـنّه عليه السـلام لم يشـأ تبـديل أشخاص مكان أشخاص بل كان يريد تغيير المجتمع.

ومن هنا لجأ الإمام السجاد عليه السلام إلى البنى التحتيهٔ فى المجتمع، ليس مجتمعه الذى كان يعاصره فحسب بل كلّ المجتمعات التى تلته إلى يومنا هذا! إن الإمام السـجاد عليه السلام لم يغيّر ذلك المجتمع فحسب بل غيّر المجتمعات المتعاقبهٔ إلى هذا اليوم، فماذا فعل الإمام السجّاد عليه السلام؟

۱ بناء الامهٔ فكرياً

وفى هـذا المجال يـذكر المؤرخون أنه كانت للإمام السـجاد عليه السـلام حلقهٔ درس فى مسـجد النبى عليه السـلام يلقى فيها كل يوم معارف أهل البيت عليهم السـلام فى الفقه والتفسـير والحـديث، وكان الجمهور الأعظم من القرّاء (أى حملهٔ القرآن والحديث) تلاميذ الإمـام زين العابـدين عليه السـلام. ولاـ يخفى مـا كان للقرّاء من أهمّيـهٔ فى ذلك المجتمع، فكان العمل معهم يعنى العمل مع قطاعات واسعهٔ من المجتمع.

يقول سعيد بن المسيب:

«لم يكن القرّاء يخرجون من مكهٔ ما دام الامام السـجاد عليه السـلام فيها وقال: بقينا مع الإمام السجّاد عليه السلام لم نخرج حتى خرج، وكنّا ألف رجل».

والروايهٔ التاليهٔ تبيّن مظهراً آخر من مظاهر البناء الفكرى للأمّهٔ:

جـاء شـيخ شـامىّ ودنـا من نساء الحسين عليه السـلام وعياله وهم فى الأسـر فقال: الحمـد لله الـذى قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم، وأمكن أمير المؤمنين منكم. فقال له على بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟ قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآيهٔ?: لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِى الْقُرْبَى؟ ?قال الشـيخ: نعم، قد قرأت ذلك. فقال على عليه السـلام له: فنحن القربى يا شـيخ، فهل قرأت? وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ ?فقال الشـيخ: قد قرأت، فقال علىّ بن الحسين: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآيهٔ?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى؟ ?قال: نعم، فقال له علىّ عليه السلام: فنحن القربى يا شيخ، فهل قرأت هذه الآيـهٔ?: إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ?قال الشـيخ: قد قرأت ذلك، فقال علىّ عليه السـلام: فنحن أهل البيت الذى خصّنا الله بآيهٔ الطهارهٔ يا شيخ.

قـال الراوى: فبقى الشـيخ ساكتـاً نادمـاً على مـا تكلّم به وقال: بالله إنكم هم؟ فقال: علىّ بن الحسـين: ?تالله إنّا لنحن هم من غير شـكّ وحقّ جـدّنا رسول الله عليه السـلام. فبكى الشـيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السـماء وقال: اللهم إنا نبرأ إليك من عدوّ آل محمد عليه السـلام من جنّ وإنس. ثم قال: هل لى توبهٔ؟ فقال له: نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا، فقال: أنا تائب. فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقُتل.

۲ البناء الأخلاقى للأمة

وفى هـذا المجـال أيضـاً لم يقتصـر دور الإمـام عليه السـلام على عصـره، بـل مـا زال دوره فاعلاً ـ إلى الآن بما خلّفه من الآثار الروحية والخلقية مثل دعاء مكارم الأخلاق الذى يمثّل مدرسة أخلاقية للأجيال المتعاقبة.

إن هذا الدعاء العظيم ما زال فى حالة بناء أخلاقى للأمة منذ أكثر من ألف عام وسيستمرّ على ذلك إلى انقضاء الدنيا باذن الله تعالى .

وهكذا الحال مع الأدعية التربوية الأخرى مثل دعاء أبى حمزة الثمالى وغيره من الأدعية.

وهذه الآثار ثروة نملكها نحن ولا يملك مثلها الآخرون، وإنى أتصوّر أنها لو عُرضت على العالم فإن مجرّد سـماعها سـيدفع الكثير من الأفراد نحو الاتجاه إلى مذهب أهل البيت عليهم السـلام ومن تلك الآثار أدعية الصـحيفة السجادية الأولى، وأدعية الصحيفة السجادية الجامعة التى طُبعت حديثاً فى أكثر من ثمانمئة صـفحة وتضمّ مئتين وسبعين دعاءً من أدعية الإمام السجاد عليه السلام، ورسالة الحقوق التى تعدّ هى الأخرى مفخرة لنا نحن الشيعة.

لقـد طرح الإمام عليه السـلام هذه الوثيقة التى تعدد الحقوق الفردية والاجتماعية، من قبيل: حقّ السـلطان على الرعية، وحقّ الرعية على السـلطان، وحقّ المولى على العبـد، وحقّ العبـد على المولى، وحقّ الأولاـد والآبـاء والتلاميـذ والأساتـذة والمربّين و، ... كلّ ذلك فى عصر لم يكن فيه معنى لكثير من هذه الحقوق؟!

إن العالم اليوم يتحـدّث صـباح مساء باسم حقوق الإنسان، وحضارات الغرب بنت إعلامها على التظاهر بالدفاع عن حقوق الإنسان، إلا أنهم لم يبلغوا معشار ما ذكره الإمام السجاد عليه السلام الذى طرح هذه الرسالة فى عصر كان الحكّام يتعاملون فيه مع الناس على أنهم عبيد لهم يباعون ويشترون!

وعلى كـل حـال: فإنّ البناء الفكرى والثقافى وكـذلك الروحى والأخلاقى للإمام السـجّاد ولسائر الأئمـة المعصومين عليهم السـلام لم يكن محصوراً بزمن معيّن أو بقعـة جغرافية محددة. وهذا هو إحدى الأجوبة على من يستشـكل على أمير المؤمنين عليه السـلام بأنه لِم لم يقم بالعمل الكذائى، أو يستشكل على الإمام السجاد عليه السلام بأنه لِم لم يقبل الحكم!

لو كان أمير المؤمنين عليه السـلام يشترى الضـمائر بالأموال ويفعل كما فعل معاويـة لما عاد علىّ علياً عليه السـلاملما كنّا نملك اليوم هذا النموذج التاريخى المشرق والبنّاء فى صناعة الأمة ثقافياً وفكرياً وروحياً ونفسياً.

كان أحد العلماء يقول:

«إذا ذهبتَ إلى قريـة ولاحظت أن أهلها متديّنون متخلّقون بأخلاق الأنبياء عليهم السـلام فاعلم أنه كان يقيم بين ظهرانيهم فى برهة من الزمن رجل دين متديّن حتماً، لأن رجل الدين المتديّن له إشعاع ولو لم ينطق حتى بكلمة واحدة!

ويضيف العالم: وإذا ذهبتَ إلى قرية وشاهدت أن أفرادها عادّيون فهذا معناه أنهم حُرموا من مثل هذا الرجل المتدين المتخلّق بأخلاق الأنبياء عليهم السلام!»

إننا لو شاهدنا عالماً يحمل مسحة من تلك الأنوار القدسية فإنّنا نتأثّر به، فكيف بمن شاهدوا الإمام السجاد عليه السلام؟

إن قضـية المربّى مهمة جداً، ويجب أن نبحث عن المربّى فى كلّ ميدان، لأنّ الفرد الذى له مربّ فى الفقه مثلاً ليس كمن لا مربّى له، وهكذا الحال فى الخطابة وغيرها؛ فكيف بالأخلاق؟!

نموذج من أخلاق الإمام السجاد عليه السلام

قال رجل من ولد عمار بن ياسـر: كان عند علىّ بن الحسين عليه السلام قوم، فاستعجل خادماً له، فأخرج شواء من التنور، وأقبل الخادم عجلاً وبيده السـفود وبين يدى علىّ عليه السـلام ولد له صـغير، فسـقط السـفود على الصغير، فنشّ ومات، فبهت الخادم، فنظر إليه علىّ عليه السلام وقال: أنت لم تتعمد هذا، أنت حرّ لوجه الله تعالى. ثم أمر بمواراة الولد.

إن التشيع الذى انتشر فى شرق الدنيا وغربها انتشر عبر هؤلاء الأفراد الذين قام الإمام السجاد عليه السلام ببنائهم وأمثالهم ليس فى الظرف الزمانى والمكانى المحددين (فى المدينة وفى عصره عليه السلام) بل على امتداد العهود والدهور والبقاع، ونحن اليوم ينبغى لنا ونحن نعيش هذه التحدّيات الكبرى أن نفكّر فى البناء الثقافى والروحى والنفسى للأمّة كما نفكّر فى سائر الأبعاد، فإنه عمل باق على امتداد العصور بإذن الله تعالى.

۳ دور الإمام فى إبقاء النهضة الحسينية

وكان للإمام السجاد عليه السلام دور فاعل ومهمّ جداً فى إبقاء نهضة سيّدالشّهداء الإمام الحسين عليه السلام، وهذا من أكبر أدوار الإمام السجاد عليه السلام.

لقد حاولت الحكومة الأموية أن تتملّص من مسؤولية قتل الإمام الحسين عليه السلام بالقول إنه خطأ فردىّ ألصقته بأحد أعوانها لتنتهى القضية عند هذا الحدّ.

وهنالك مسألة أخرى عجيبة ذكرها التاريخ وهى أن فئة وُجدت تعتقد أن الإمام الحسين عليه السلام لم يُقتل وإنما رُفع إلى السماء كالمسيح ابن مريم.?

ربما كان هذا التفسير منشؤه عظم الفادحة، وربما كانت القضية متعمّدة ويراد منها محو قضية الإمام عليه السلام من الأذهان.

إحدى الأمور المهمّة التى قام بها الإمام السجاد عليه السلام، أنه أبقى هذه النهضة، ولقد ساهم جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام بعد الإمام السجّاد عليه السلام فى إبقاء النهضة الحسينية بكلّ صورة.

وحتى خاتم الإمام السجاد عليه السلام نفسه كان فى صراط إبقاء قضية الإمام الحسين عليه السلام، فقد كُتب عليه: خزى وشقى قاتل الحسين بن على.

وهذا الإبقاء للنهضة الحسينية قام به الإمام عليه السلام أيضاً عندما قرأ المصيبة لجابر فقال: ياجابر ههنا والله قُتل رجالنا.

وهناك أمثلة كثيرة على هذا الموضوع مثل قضية الجزار الذى سأله الإمام عليه السلام إن كان قد سقى الجزور ماءً، ورواية أنه لم يوضع أمام الإمام عليه السلامطعام أو شراب إلا ومزجه بدموع عينيه، فهذه كلّها من مفردات قضية «الإبقاء».

وفى الجانب المعاكس نجد أعداء أهل البيت الذين حاولوا ولازالوا يحاولون محو هذه القضية عبر أساليب شتى ومنها التخويف والإرهاب، وربما كانت هذه الانفجارات الأخيرة فى المناطق المقدسة تصبّ فى هذا الهدف، فهم ينوون تخويف الزوار حتى لا يأتوا للزيارة، ناسين أن شيعة أهل البيت عليهم السلام أثبتوا أنهم لا يتركون خطّهم لمحاولات التخويف والإرهاب.

وقد كان هذا هو ديدن الحكام الظالمين، فإنّهم عندما يصلون إلى الحكم يتعرّضون قبل كلّ شىء لقضية الإمام الحسين عليه السلام. فالبهلوى الذى كان عميلاً استعمارياً من اوائل ما عمله ضدّ الإسلام أنه بدأ بمحاربة الإمام الحسين عليه السلاموشعائره، فمنع التطبير أوّلاً بحجة أنه عمل وحشىّ لا ينسجم مع قيم التمدّن والحضارة، وفى خطوة لاحقة منع مواكب التمثيل (التشبيه)، إلى أن آل به الأمر إلى منع مجالس العزاء حتى فى يوم عاشوراء، بل كان يشجّع على إقامة احتفالات الفرح فيه. بعد ذلك انتقل إلى التعرّض لفروع الدين فمنع الحجاب للنساء والعمامة للرجال، وأمر بلبس القبعات الافرنجية، وبدّل قوانين الأحوال الشخصية ... ولكن البداية كانت قضية الإمام الحسين عليه السلام.

الانطلاق من قضية الإمام الحسين عليه السلام

ونحن بدورنا إذا أردنا أن نعمل للدين فعلينا أن نبدأ بقضية الإمام الحسين عليه السلام. إن البداية هى قضية الإمام الحسين عليه السلام سلباً أو إيجاباً، لأن إحياء قضية الإمام الحسين عليه السلام إحياء للقيم كلها وإماتتها إماتة للقيم كلها.

علينا أن نحاول بكلّ وسيلة أن نحيى قضية الإمام الحسين عليه السلام، فمن يمكنه الذهاب لزيارة الإمام فى مناسبة الأربعين فليذهب، ومن لا يتمكن ليحثّ القادرين على الذهاب بلسانه وماله. وهكذا بالنسبة إلى سائر الأعمال فإن المطلوب منّا جميعاً أن نبذل ما بوسعنا، وأذكر لكم النموذج التالى لنعرف أن كلّ فرد يستطيع أن يقدّم خدمة ما فى هذا الطريق.

فى منطقة تقع شمال إحدى البلاد الغربية حلّ رجل هندى قبل ۴۵ عاماً تقريباً وجاءتْ أيام عاشوراء ففكّر فيما يمكن عمله وهو فى مثل هذه الأجواء البعيدة عن الدين تماماً، فقرّر أن يقيم فى بيته مأتماً للإمام الحسين عليه السلام، ولكن من أين يأتى بالمستمعين؟ لم يجد بدّاً من دعوة الهنود السيك الذين كانوا فى تلك المنطقة إلى مجلسه وصار يقرأ عليهم بنفسه مصيبة الإمام الحسين عليه السلام (مع أنه لم يكن خطيباً).

بعد مرور عامين جاء رجل هندى آخر إلى نفس المنطقة، واقتربت أيام عاشوراء فقرّر أن يقيم مجلساً لأبى عبد الله الحسين عليه السلام وأخذ يقلّب دفتر أرقام الهواتف فى تلك المنطقة لعلّه يجد من يعرفه فيدعوه، فوقعتْ عيناه على اسم فيه شبه بالأسماء الشيعية، فاتّصل به ليدعوه، فقال له: يوجد فى بيتى مأتم فتعال واشترك معنا. يقول الهندى الثانى: ذهبت إلى بيته أى الهندى الأول فرأيته جالساً يقرأ فى كتاب وحوله مجموعة من الكفار السيك يلطمون!

قبل خمس سنوات من الآن أى بعد مرور أربعين سنة تقريباً على ذلك المأتم قال لى ناقل القصة:

«الآن يوجد فى المنطقة نفسها خمس عشرة حسينية يقيم فيها المسلمون العزاء على الإمام الحسين عليه السلام».

إذن يتمكّن المرء أن يعمل فى كلّ الظروف وفى أىّ محيط وسيثمر عمله يوماً ما بإذن الله تعالى، وينبغى أن نعلم أننا مهما قدّمنا للإمام الحسين فهو قليل، فعلينا أن نحاول إحياء قضية سيّد الشّهداء عليه السلام بكلّ صورة لأن فى إحيائها إحياء الدين كلّه والقيم جميعها.

نسأل الله أن يوفّقنا لذلك.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

الإمام المهدى عليه السلام إمام الرحمة

الإمام المهدى عليه السلام إمام الرحمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

تحدّثنا فى محاضرة سابقة عن خاتم الأنبياء محمد المصطفى عليه السلام وقلنا إنه نبى الرحمة، وفى هذه المحاضرة سنتحدث بإذن الله تعالى عن خاتم الأوصياء المهدىّ المنتظر عليه السلام بصفته إمام الرحمة، ونتناول البحث فى فصلين:

الفصل الأول: الإمام المنتظر عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية، ونعرض هذا الفصل فى مقامين:

المقام الأول: الإمام المنتظر عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامّة.

المقام الثانى: الإمام المنتظر عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية الخاصّة.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة التى تجرى على يد الإمام المنتظر عليه السلام.

الفصل الأول: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية

المقام الأوّل: الإمام المهدى عليه السلام مظهر من مظاهر الرحمة الإلهية العامة

وهذا ما سنوضحه من خلال النقاط التالية:

النقطة الأولى: إن لله سبحانه وتعالى رحمة عامّة تسع جميع الموجودات بلا استثناء، وهى الرحمة التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله:

?وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، ?والشيئية تساوق الوجود كما يقول العلماء ويتفرّع على هذه المساوقة أربع قواعد كالتالى:

القاعدة الأولى: كلّ موجود فهو شيء.

القاعدة الثانية: كلّ شيء فهو موجود.

القاعدة الثالثة: كلّ ما ليس بموجود فليس بشيء.

القاعدة الرابعة: كلّ ما ليس بشيء فليس بموجود.

فلو وضعت إصبعك على أيّ موجود من موجودات عالم الإمكان سواء كان هذا الموجود ذهنياً أو خارجياً وسواء كان جوهراً أم عرضاً، وسواء كان موجوداً حقيقياً أم موجوداً انتزاعياً، وفى أية نشأة من نشآته كان، فهو شيء، ومن ثم لا يوجد عندنا مفهوم فى العالم أوسع من مفهوم الشيء، فعندما يقول الله تعالى?: وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ?فهذا يعنى أنه لا يشذّ عن هذه الرحمة أيّ موجود من الموجودات، فما من موجود إلا وهو مشمول للرحمة الإلهية العامة.

النقطة الثانية: لقد جرت عادة الله على أن تجرى الأشياء بأسبابها، فهذه الرحمة الإلهية العامة لا تجرى عادة إلا عبر أسباب، فلو أردت الدفء مثلاً فإن الله لا يمنحك الدفء عادة مباشرة بل انه تعالى جعل منابع للدفء فى هذا العالم كالشمس، فيجب عليك أن تأخذه منها، وهكذا لو أردت الارتواء من العطش فإن الله لم تجر عادته على إرواء الإنسان مباشرة، بل يجب عليك اللجوء إلى الماء فهو الذى يزيل العطش بإذن الله ومشيّته.

النقطة الثالثة: إن جميع روافد الرحمة الإلهية العامة تنتهى إلى منبع واحد هو وجود خاتم الأوصياء الإمام المهدى المنتظر عليه السلام وكلّ رافد يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، فالشمس تمثّل جانباً والماء جانباً والهواء الذى نستنشقه يمثّل جانباً من جوانب الرحمة الإلهية العامة، ولكن هناك منبع واحد يمثّل الرحمة الإلهية العامّة الشاملة بتمام أبعادها ومظاهرها، ذلكم هو الإمام المهدى المنتظر عليه السلام، وقد روى أنه عليه السلام قال عن نفسه: «إن رحمة ربكم وسعت كل شيء وأنا تلك الرحمة».

وفى زيارة آل ياسين نخاطب الإمام المهدى عليه السلام: «السلام عليك أيها الرحمة الواسعة». وفى الدعاء: «وأكمِل ذلك بابنه القائم رحمة للعالمين».

وكلمة «العالمين»: جمع «عالم» فهى تشمل عالم الإنس، والجن، والملائكة، وعالم الأجنة والنبات والحيوان، ... لأن كلّ مجال يضمّ صنفاً من المخلوقات فهو عالَم.

استناداً إلى ما تقدم وإلى بعض الروايات المعتبرة الأخرى، يمثّل الإمام المهدى عليه السلام الرحمة التى تشمل كلّ العوالم، فما من شيء إلا وهو مشمول بها، وهو عليه السلام يمثّل المنبع الذى يمدّ جميع الروافد الخاصّة للرحمة الإلهية، ولذلك لا تجد موجوداً فى هذا العالم إنساناً كان أم نباتاً أم جماداً أو ملكاً إلا وهو مشمول لهذه الرحمة التى تسع المؤمن والكافر والمنافق وجميع الكائنات، فكلّ الكائنات إنما يجلسون على مائدة الإمام المهدى عليه السلام ويكتسبون الفيض منه بإذن الله تعالى ومشيئته.

المقام الثانى: الإمام المهدى عليه السلام مظهر الرحمة الإلهية الخاصة

وهذا البحث نعرض له أيضاً ضمن نقاط هى:

النقطة الأولى: إن القرآن الكريم يثبت أن وراء الرحمة الإلهية العامّة رحمة إلهية خاصّة، والرحمة الإلهية العامّة غير مقيّدة بشرط، أما الرحمة الإلهية الخاصّة فهى مقيدة ومشروطة، يقول الله تعالى فى كتابه الكريم?: فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ?ولا شك أن هذا نمط آخر من الرحمة لأن الله تعالى كتبها لطائفة خاصة، خلافاً للرحمة الإلهية العامّة التى ليست مقيّدة بشيء فشملت كلّ شيء. ويقول سبحانه: ?وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ?فهذه الزيادة مشروطة، وهى هداية خاصة، تختلف عن الهداية العامة التى يقول الله تعالى عنها?: رَبُّنَا الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى.?

النقطة الثانية: كما أن للرحمة الإلهية العامة روافد، فكذلك الرحمة الإلهية الخاصة لها روافد، تبعاً للقانون الإلهى العام «إن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها».

ومن روافد الرحمة الإلهية الخاصّة المتّقون الأخيار، ومن روافدها العلماء الأبرار، ومن روافدها الملائكة المقرّبون.

[من المعضلات الفكرية التى كانت تواجه العلماء هو من أين تأتى للإنسان التصورات التى كان يفقدها مع أن «فاقد الشىء لا يعطيه»؟ وقد تكفّلت الأحاديث الشريفة المرويّة عن المعصومين عليهم السلام حلّ هذه المعضلة إذ قالت: إن الملائكة هى التى تقوم بهذا الدور حيث تلقى الأفكار والتصورات الطيبة فى روع الإنسان، وكثيراً ما يتّفق أن يكون الشخص جالساً خالى البال وإذا به يلقى فى روعه أن يقوم بعبادة ما أو عمل صالح لم يكن قد نبّهه إليه أحد].

النقطة الثالثة: إن المنبع الذى تنتهى إليه وتستمدّ منه جميع الروافد هو الوجود المبارك للإمام المهدى عليه السلام.

وهكذا يكون الإمام المهدى عليه السلام هو المنبع الذى تنتهى إليه روافد الرحمة الإلهية العامة والخاصة، فكل ما عندنا من رحمة خاصة وعامة فإنما هو ببركة وجوده الشريف.

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

الفصل الثانى: بعض مظاهر الرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يد الإمام المهدى عليه السلام

ويتجلّى ذلك فى مظاهر، منها:

المظهر الأول: حلّ المعضلات العلمية

لقد كان العلماء فى عصر الأئمة عليهم السلام إذا واجهتهم معضلة علمية أو فكرية يلجأون إلى الأئمة عليهم السلام لحل تلك المعضلة، أما نحن الذين نعيش فى عصر الغيبة فينبغى أن نوثّق علاقتنا بالإمام المهدى عليه السلام ليعيننا فى حلّ ما يواجهنا من معضلات، ولا فرق من هذه الجهة بين عصر الغيبة وعصر الحضور، لأن الإمام عليه السلام لم يغب عنا بل نحن الذين غبنا عنه، والإمام موجود يحضر عند الناس فهم يعرفونه بشخصه ولكنهم لايعرفون شخصيته، ولذلك تراهم إذا رأوه فى عصر الظهور قالوا: لقد رأيناه من قبل دون أن نعرف أنه الإمام عليه السلام.

فلماذا لا نفكر فى اللجوء إليه لحلّ معضلاتنا الفكرية ولماذا لا نستغيث به كلّما وقفنا على مفترق الطرق حائرين؟!

وهناك قصص كثيرة عن لجوء المؤمنين إلى الإمام عليه السلام وحلّه لمشكلاتهم الفكرية، ومنها:

•ينقل عن السيد الفشاركى ?وهو أحد العلماء المحققين أنه طلب يوماً من أستاذه «المجدد الشيرازى الكبير» ?موعداً خاصّاً، وفى اللقاء طلب السيد الفشاركى من أستاذه أن يسمح له بأن يتكلّم معه فى هذا اللقاء بعيداً عن الضوابط التى تحكم عادة علاقة التلميذ والأستاذ، واستجاب الأستاذ. فقال السيد الفشاركى: سيدنا لماذا أنت ساكت على هؤلاء الكفار المحتلّين الذين دخلوا إيران؟ وماذا تنتظر؟ هل تخاف على حياتك؟ وهل دمك أغلى من دم الإمام الحسين عليه السلام وقد ضحّى بنفسه الشريفة وأهل بيته وأصحابه من أجل دين جدّه؟ فأجابه المجدد الشيرازى:?

«إنى لم أكن خائفاً على نفسى من الموت ولكنى كنت حائراً لا أدرى ما أفعل، حتى ذهبت اليوم إلى سرداب الغيبة واستمددت من ولىّ الأمر عليه السلام، فأذن لى»

ثم أصدر فتواه الشهيرة التى تقول: استعمال التبغ فى هذا اليوم بمثابة محاربة الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف.

•يوم كان العالم المشهور الميرزا مهدى الإصفهانى ?طالباً يدرس فى النجف الأشرف تجاذبته بعض التيارات الفكرية وبقى فى حيرة

من أمره لا يدرى ما هو الطريق؟ وظلّ مدة قلقاً متحيّراً ولم يبق أمامه إلّا الملاذ الأخير بل الملاذ الأول وهو الإمام المهدى عليه السلام. ولقد أبدلنا كلمة «الملاذ الأخير» إلى «الملاذ الأول» لأنه الملاذ الأول حقاً ولكننا نغفل عن ذلك عادة، وبعد أن نطرق كل الأبواب ونعجز لا يبقى أمامنا إلا بابه فنلجأ إليه ليحلّ معضلاتنا. إننا عندما نعبّر عن الإمام عليه السلام أنه الملاذ الأخير فنعنى أنه الأمل الأخير لكلّ الذين وصلوا إلى طريق مسدود وأعيتهم الحيل إذ أخطأوا الطريق ولم يلجأوا إليه أولاً.

يقول الميرزا الإصفهانى: فذهبت إلى وادى السلام وجعلت أتوسل وأبكى لكى يهدينى الله إلى الطريق الصحيح، وبينا أنا كذلك وإذا بنور ولى الله الأعظم يشرق علىّ ورأيت عبارة كتبت بنور أخضر وهى:

«طلب المعارف من غير طريقنا أهل البيت مساوق لإنكارنا وأنا الحجة بن الحسن».

وهذه العبارة هى التى أنقذته من الضياع الفكرى ورسمت له الخط الذى يجب أن يسلكه.

وعاد الشيخ الإصفهانى من النجف الأشرف إلى مشهد المقدسة ورفع الراية المهدوية وكثير من الذين يرفعون راية المهدوية فى إيران والعالم اليوم هم من تلاميذ الشيخ الإصفهانى ومدرسته. ولولا هذا الالتجاء والتوسل بالإمام لربما بقى الشيخ على ضياعه حتى نهاية عمره.

•كان السيد بحر العلوم ?فى طريقه من النجف الأشرف إلى سامراء المقدسة يمشى وحده وكانت تراود ذهنه شبهة، إذ حضر الإمام عليه السلام وحلّها له.

وهكذا كان العلامة الحلّى فى طريقه إلى كربلاء المقدسة فى ليلة من ليالى الجمع إذ أتاه الإمام الحجة عليه السلام وحلّ له مشكلة فكرية كان يعانى منها.

المظهر الثانى: حلّ المشكلات العملية على يديه عليه السلام

وهو عليه السلام فى هذا يسير على خطى جدّه رسول الله وآبائه الطاهرين عليهم السلام، فمما يروى عن النبى عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام فى مجال حلّ المشكلات العملية للناس:

•إن شاباً فى إحدى المعارك سالت عينه على خدّه، وكان جديد عهد بالزواج، فأتى النبى عليه السلام وشكا له حالته، فأخذ النبى عليه السلام عينه التى سالت على خدّه وأعادها فى مكانها فعادت كما كانت.

•عن جابر بن عبد الله الأنصارى قال: كنا جلوساً عند رسول الله عليه السلام إذ ورد علينا أعرابى أشعث الحال عليه أثواب رثّة والفقر بين عينيه، فلما دخل وسلم قال شعراً:

أتيتك والعذراء تبكى برنة

وأخت وبنتان وأم كبيرة

وقد مسّنى فقر وذلّ وفاقة

وما المنتهى إلا إليك مفرّنا

وقد ذهلت أم الصبى عن الطفل

وقد كدت من فقرى أخالط فى عقلى

وليس لنا شىء يمرّ ولا يحلى

وأين مفرّ الخلق إلا إلى الرسل

فلما سمع النبى عليه السلام ذلك بكى بكاءً شديداً ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى سبق إليكم جزاء والجزاء من الله غرف فى الجنة تضاهى غرف إبراهيم الخليل عليه السلام فمن كان منكم يواسى هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان فى ناحية المسجد

على بن أبى طالب يصلّى ركعات التطوع كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابى بيده، فدنا منه، فرفع إليه الخاتم من يده وهو فى صلاته، فأخذه الأعرابى وانصرف.

ثم إن النبى أتاه جبرئيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله، ربّك يقرئك السلام ويقول لك: اقرأ?: إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ?وَمَن يَتَوَلَّ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ. ?فعند ذلك قام النبى عليه السلام قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيّكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله وليّ كل من آمن؟ قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك على بن أبى طالب عليه السلام فإنه تصدّق على الأعرابى بخاتمه وهو يصلّى. قال النبى: وجبت عليه السلام الغرف لابن عمى على بن أبى طالب. وقرأ عليهم الآية.

•إن امرأة جاءت إلى الإمام الصادق عليه السلام وطلبت منه أن يسأل الله تعالى أن يشفى ولدها، فقد كان على وشك الموت، فعلّمها الإمام عليه السلام دعاءً تقرأه فى مكان مرتفع، وهو الدعاء الذى فيه: «اللهم إنك وهبتنيه » ... وعاد الولد سالماً إلى أمه.

وإذا لم يكن النبى عليه السلام موجوداً بيننا، وكذا الأئمة من آله عليهم السلام، فإن حفيده الإمام الحجة المنتظر موجود وهو حى يرزق فى هذه الحياة، فلماذا لا نفكر فى اللجوء إليه لحلّ مشكلاتنا العملية؟

ولكن: كيف نلجأ إليه وهو غائب عن أنظارنا؟

والجواب: إنه عليه السلام قال كما فى حكاية إحدى التشرّفات : لو بحثتم عنى كما كنتم تبحثون عن ضالّتكم لوجدتمونى.

حقاً هل نحن نبحث عن الإمام عليه السلام كبحثنا عن ضالّتنا؟ وهل نفكّر فيه كما نفكّر فى شؤوننا الشخصية؟ لو اتّفق لإنسان أنه كان مع الموت وجهاً لوجه كما لو كان فى سفينة تحطّمت به وهى فى عرض البحر؟ أليس فى مثل هذه الحالة ينقطع الإنسان عادة إلى الله تعالى ويتوسّل به حقيقة؟ هكذا أيضاً ينبغى أن يكون تفكيرنا فى الإمام المهدى عليه السلام ودعاؤنا لفرجه الشريف.

أما حالات قيام الإمام عليه السلام بحلّ المشكلات العملية للناس فكثيرة جداً ومنها قضية نقلها المدرس الأفغانى ?فى هذا المجال ومجملها أن شاباً ينتمى إلى إحدى الفرق الأخرى أضاع الطريق إلى مكة فتوسّل بالإمام عليه السلام فحضر الإمام عليه السلام ودلّه على الطريق ثم غاب عنه، وكان ذلك سبباً لتشيّعه.

المظهر الثالث: التوجيه والعناية

إن الإنسان بحاجة إلى موجّه فى أى مجال أراد أن يتقدّم فيه، فطالب الفقه إن لم يكن له موجّه كفوء واكتفى بالمطالعة فإنه لا يتوقع أن يصبح فقيهاً ناجحاً، وهكذا الأصولى بل هكذا الأمر فى كل مجالات الحياة، فإذا كان الأمر كذلك فهل هناك موجّه وراع خير من الإمام المهدى عليه السلام؟! لاشك أنه خير من يرعانا ويوجّهنا لانتخاب الطريق الصحيح، ولكن الأمر بحاجة إلى مقدّمات ومقوّمات.

•من الذين حظوا برعاية الإمام المهدى عليه السلام هو الشيخ الصدوق، ?الذى وُلد بدعاء الإمام المهدى عليه السلام فإن والد الشيخ الصدوق (المدفون فى مدينة قم المقدسة) طلب من الإمام عليه السلام عبر الحسين بن روح رحمة الله عليه أن يدعو له لكى يرزقه الله ولداً، فكتب إليه الإمام عليه السلام: قد دعونا لك وسترزق ولدين ذكرين خيّرين، وكان أحدهما الشيخ الصدوق.?

وقد رأى الشيخ الصدوق الإمام المهدى عليه السلام فى عالم الرؤيا فأمره بتأليف كتاب فى الغيبة. يقول الشيخ نفسه: «فبينا أنا ذات ليلة أفكر..، إذ غلبنى النوم فرأيت كأنى بمكة أطوف حول بيت الله الحرام وأنا فى الشوط السابع عند الحجر الأسود أستلمه وأقبّله وأقول: أمانتى أدّيتها وميثاقى تعاهدته لتشهد لى بالموافاة، فأرى مولانا القائم صاحب الزمان عليه السلام واقفاً بباب الكعبة فأدنو منه على شغل قلب وتقسّم فكر، فعلم عليه السلام ما فى نفسى بتفرّسه فى وجهى، فسلّمت عليه، فردّ على السلام ثم قال لى:

«لم لا تصنّف كتاباً فى الغيبة حتى تكفى ما قد همّك؟ فقلت له: يا ابن رسول الله قد صنّفت فى الغيبة أشياء. فقال عليه السلام: ليس على ذلك السبيل آمرك أن تصنّف ولكن صنّف الآن كتاباً فى الغيبة واذكر فيه غيبات الأنبياء عليهم السلام»

ثم مضى عليه السلام، فانتبهت فزعاً إلى الدعاء والبكاء والبثّ والشكوى إلى وقت طلوع الفجر، فلما أصبحت ابتدأت فى تأليف هذا الكتاب ممتثلاً لأمر وليّ الله وحجّته مستعيناً بالله ومتوكّلاً عليه ومستغفراً من التقصير، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وأسمى كتابه: كمال الدين وتمام النعمة.

●السيد محمد تقى الإصفهانى رأى فى عالم الرؤيا الإمام المهدى عليه السلام يقول له:

«اكتب عنى كتاباً باللغة العربية وسمّه «مكيال المكارم فى فوائد الدعاء للقائم».

●نقل أحد العلماء الكبار عن السيد الوالد رحمة الله عليه أنه تشرّف بلقاء الإمام الحجة عليه السلام فى (مسجد السهلة) فقال له «اكتب» وعندما عاد الوالد تفرّغ للتأليف وترك كلّ البحوث التى كان يلقيها على طلّابه، رغم الضغوط الشديدة عليه للعودة إلى التدريس.

هذه أمثلة على التوجيه والرعاية الأبوية من لدن الإمام عليه السلام تجاه شيعته. فحرىّ بنا أن نعمل ما من شأنه أن يجعلنا مشمولين بها وبالرحمة الإلهية الخاصة الجارية على يديه وأن ندعو الله تعالى قائلين ...: (وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره)، نسأل الله سبحانه أن لا يحرمنا ذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

دور الإمام المهدى عليه السلام فى حياتنا

دور الإمام المهدى عليه السلام فى حياتنا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

مقدّمة

إحدى البحوث المهمة التى وقعت محلاً للتساؤل منذ العهود الماضية إلى يومنا هذا، هى مسألة دور الإمام المهدى المنتظر عليه السلام فى عصر الغيبة، وهذه المسألة بالإضافة إلى طابعها العقائدى تحمل طابعاً عملياً وترتبط بسلوكنا اليومى منذ أن نفتح أعيننا فى الصباح وإلى أن نغمضها عند النوم. نتناول فيما يلى بعض أبعاد هذا الموضوع ضمن فصلين:

الفصل الأول: دور الإمام المهدى عليه السلام فى عهد الغيبة، وهذا بحث نظرى.

الفصل الثانى: كيف نستفيد من وجود الإمام المنتظر المهدى عليه السلام فى زمان غيبته؟ وهذا بحث عملى.

الفصل الأول: دور الإمام المهدى عليه السلام

الفصل الأول: دور الإمام المهدى عليه السلام

إن دور الإمام المهدى عليه السلام فى عهد الغيبة هو أنه يمثل ضمن ما يمثّل الحلقة الأخيرة المهيمنة والفاعلة والمؤثرة فى عالم الإمكان.

لبيان هذا الدور نقدّم ثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى: إن القرآن الكريم يثبت أدواراً فى إطار عالم الطبيعة للأشياء، كما يثبت أدواراً ضمن إطار هذا العالم للأشخاص.

هنالك أشياء فى هذا العام لها دور، وهناك أشخاص فى هذا العالم لهم دور؛ نمثل لذلك بمثالين:

المثال الأول: من هو الشافى؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو الشافى?؛ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ?و.

ولكننا نلاحظ أن القرآن الكريم يثبت من جهة أخرى دور الشفاء لأشياء فى هذا العالم، يقول الله تعالى عن العسل?: فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ?

هذا مع أن العسل ما هو إلا جماد يخرج من بطن حيوان، ولكن الله تعالى شاء أن يجعل فيه شفاءً للناس.

المثال الثانى: من هو المتوفى؟

ويأتينا الجواب من القرآن الكريم أن الله تعالى هو المتوفى؛ يقول تعالى?: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا.?

ولكننا نلاحظ من جهة أخرى أن القرآن الكريم يثبت التوفى لغير الله تعالى حيث يقول?: قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ،?

فهو تعالى ينسبه لملك الموت أيضاً.

المقدمة الثانية: إن وجود الدور للأشياء والأشخاص فى هذا العالم لا ينافى ما هو المعروف من القول بالتوحيد الأفعالى (وأن الله وحده هو الفاعل الحقيقى فى هذا الكون).

وذلك لأن فاعلية غير الله تعالى فاعلية مكتسبة وغيرية، بينما فاعلية الله تعالى فاعلية ذاتية، ولا منافاة بين فاعليتين إحداهما ذاتية والأخرى غيرية.

المقدمة الثالثة: لا تنافى فى عالم الطبيعة بين الفواعل الطولية.

فكما أنه لا تنافى بين فاعلية الله تعالى وفاعلية الفواعل الطبيعية (الغيرية) فكذلك لا منافاة بين فاعلية طبيعية وفاعلية أخرى إذا كانتا طوليتين أى تقعان فى طول بعضهما، أجل إذا كانت الفاعليتان عرضيتين ومستقلتين فهنا توجد منافاة لأن ذلك يعنى اجتماع علتين مستقلتين عرضيتين على معلول واحد، وهذا محال.

أما إذا فرضنا أن هاتين الفاعليتين أو الفاعليات كانت طولية أى أن بعضها يقع فى طول بعضها الآخر، فلا منافاة بينها.

ويمكن توضيح ذلك بمثال معروف عند أهل العلم: تقول: كتب قلمى وكتبت أناملى وكتبت يدى، قال تعالى?: فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ، ?وتقول: كتبت، فهل ترى منافاة بين هذه الجمل؟ كلا بالطبع؛ وذلك لأن الروح الحقيقية التى كتبت هى روحك أنت، أما الفواعل الدنيا فإنما هى مؤثرة فى طول فاعلية الروح التى تمثل الفاعلية الحقيقية والأخيرة فى سلسلة الفواعل الطولية التى تندرج تحتها، ومن ثم فالفاعلية الأخيرة هى المؤثرة الحقيقية والمهيمنة على ما سواها من الفواعل الطبيعية والظاهرية.

دور الإمام المهدى عليه السلام

وإذا اتضحت هذه المقدمات الثلاث، نقول: إن الإمام المهدى عليه السلام هو آخر فاعل فى سلسلة الفواعل الطولية المؤثرة فى عالم الإمكان، أو بتعبير آخر: إنه عليه السلام يمثل الحلقة الأخيرة فى سلسلة الفاعليات الطولية فى إطار عالم الإمكان. توضيحه: أن هناك فاعلية فى عالم الإمكان جعلها الله فى طول فاعليته تعالى وأمرنا أن نلجأ إليها.

من الممكن أن تأتى بعده علل وفاعليات أخرى فى طوله تكون مؤثرة بإذن الله تعالى، ولكن الفاعلية العليا بعد الله تعالى فى عالم الإمكان هى إرادة المهدى المنتظر عليه السلام.

ماذا نقرأ فى الزيارة التى رواها المحمدون الثلاثة وهم محمد بن يعقوب الكلينى (فى الكافى) ومحمد بن الحسن الطوسى (فى التهذيب) والشيخ الصدوق (فى من لا يحضره الفقيه)؟

نقرأ فى هذه الزيارة: «إرادة الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم».

وهذا هو جزء من دور الإمام المهدى عليه السلام فى زمن حضوره وغيبته.

الفصل الثانى: كيف نستفيد من وجود الإمام المهدى عليه السلام؟

الفصل الثانى: كيف نستفيد من وجود الإمام المهدى عليه السلام؟

بعد أن عرفنا دور الإمام المهدى عليه السلام فى الفصل الأول يتبين الآن أهمية هذا الفصل؛ أى الاستفادة من وجود الإمام المهدى عليه السلام لأنه هو الرجل الذى أعطاه الله تعالى مقاليد الكون.

ولكى يمكننا الاستفادة من وجود الإمام المهدى عليه السلام أكثر فأكثر، لابد من توفر أربع مقدمات نذكرها تباعاً.

المقدمة الأولى: الالتفات إلى النقص والفاقة والحاجة عندنا

ونوضح هذه المقدمة وهى مهمة جداً بمثال: لو تصورنا أن شخصاً ما يعانى من داء عضال فى بدنه ولكنه غير ملتفت إلى ذلك، فهل سيبحث عن العلاج؟ وهل سيتجه إلى الطبيب؟ كلا وذلك لأن الداء وإن كان له (وجود واقعى) فى بدنه، ولكنه ليس له (وجود شعورى) فى ذهنه لكى يدفعه نحو التحرك للتخلص منه بأى سبيل!

يقول علماء الأخلاق: إن من أعدى أعداء الفرد الشعور بالاكتفاء، لأن الذى يشعر أنه مكتف من الناحية العلمية أو الأخلاقية لا يرى مبرّراً للتحرك نحو التكامل الخلقى أو العلمى.

وهكذا الشخص الذى يعتقد أنه لا يعانى شيئاً، ولا توجد عنده مشكلة ولا فاقة، لا يمكنه الاستفادة الكاملة من الوجود المبارك للإمام المهدى عليه السلام، لأنه لا يتحرك حينئذ بل يبقى ساكناً فى مكانه، لعدم شعوره بالحاجة إلى الإمام عليه السلام لحل مشكلاته، لأنه يعتقد أنه لا مشكلة عنده فى الأساس!

أما نحن فيرادونا الشعور بالحاجة فى بعض الأحيان كما لو تهنا فى صحراء أو انكسرت بنا السفينة فى البحر أو ابتلينا أو أحد أعزائنا بمشكلة أو بمرض مستعصى العلاج لا سمح الله أما أولياء الله سبحانه وتعالى فإنهم يشعرون دائماً بأنهم فى حالة اضطرار وأنهم فى حالة حاجة وفاقة.

ولذلك ترانا ننام طوال الليل لأنه لا يوجد شىء يؤرقنا، أما هم ف?قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ.?

أرأيت من عنده مشكلة أو يهدده خطر، كيف لا يستطيع أن يخلد إلى النوم، فكذلك حال أولياء الله تعالى، لأنهم يشعرون بالخطر.

إننا نفهم أن الاضطرار فى قول الله تعالى? أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ?عبارة عن أن يكون الشخص مريضاً أو عنده مريض مثلاً أما أولياء الله تعالى فيشعرون دائماً أنهم فى حالة اضطرار، وهذا الشعور كامن فى أعماقهم ولذلك يصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى? تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ ?لأن حالة الاضطرار الباطنية لا تدعهم يستقرون.

روى أحد العلماء أن شخصين تصاحبا، وعندما حلّ الليل نام الأول ولم ينم الثانى، وبعد مدة استيقظ الأول فرأى صاحبه لم ينم بعد، فعاد للنوم مرة أخرى وعندما استيقظ أيضاً رأى صاحبه لم ينم بعد، وعندما سأله: لماذا لا تنام؟ قال فى جوابه:

«كيف أنام ومن حولى كلهم يقظون يسبّحون الله تعالى»

ثم كشف له الغطاء فرأى جميع الأشياء تسبح بحمد الله!

وعلى أساس ما تقدم، ينبغى لنا أن نحاول أن نُشعر أنفسنا بنقصها وحاجتها وفاقتها واضطرارها، وهذه هى المقدمة الأولى للاستفادة الكاملة من وجود الإمام المهدى عليه السلام.

المقدمة الثانية: التوجه إلى مصدر القوة والغنى والقدرة وهو الإمام المهدى عليه السلام

فليس الإمام عليه السلام بالفرد العادى بل هو الذى يمكن لنظرة واحدة منه أن تغيّر حالنا، فكما قلنا إن الله تعالى جعله وآباءه الطاهرين عليهم السلام مظاهر مشيئته.

المقدمة الثالثة: محاولة إيجاد القابلية

فإن القلب الملوث ليس له قابليـة، وهكـذا العين الملوّثـة والأذن الملوّثة واليد الملوّثة و ... وأولى المراحل فى هذا الطريق وهى صـعبة جـداً ولكنها ممكنـة أن نتجنب ارتكاب الـذنوب؛ ذنوب القلب والعين والأذن واللسان واليد و ... فكما أن جهاز الراديو إذا حصل فيه أى عطب أو خلل أو قطع فى أى سـلك من أسـلاكه يفقد القابلية على تلقى الأمواج الموجودة فى الفضاء، فكذلك القلب إذا حصـل فيه خلل فقدَ القابلية على تلقى الفيض الإلهى، فلابد أولاً من إصلاحه لإيجاد القابلية فيه.

وعنـدما يراجع المرء تاريـخ العلماء الماضـين السائرين على نهج أهل البيت عليهم السـلام يجد دقة عجيبة فى أحوالهم وورعاً واحتياطاً كبيرين.

فمما ينقل عن المرجع الكبير الحاج آقا حسين القمى ?أنه كان يحتاط حتى فى تهديد طفله إذا صدر منه ما يستحق التهديد، فلم يكن يقول للطفل سأضربك أو سأؤدبك مثلاً إذا صدر منك العمل الفلانى، بل كان يستخدم عبارات من قبيل «من المحتمل أن أضربك» أو «هب أننى سأضـربك» ولعله كـان يخـاف أن تكون هنالك شـبهة الكـذب إن لم يصـدر منه ما أوعـده عليه، مع أنه يُقال إن الوفاء بالوعيـد ليس واجبـاً، فكان يحتاط للأمر ويتجنب حتى الشـبهة فيقول لطفله: «احتمل أننى سأضـربك أو سأؤدبك» وما أشـبه. وهكـذا كانوا يحتاطون لئلا تصدر منهم غيبة ولا نميمة ولا نظرة محرمة.

المقدمة الرابعة: الإلحاح والتوسل

ينبغى لنا أن نتوسل ونلحّ حتى تشملنا العناية الإلهية، ونستفيد من وجود الإمام المهدى عليه السلام بشكل أتمّ.

ينبغى لنا أن نلجأ إلى الإمام عليه السـلام فى حل كل قضايانا الدنيويـة والأخرويـة والفرديـة والاجتماعية فهو الملاذ لنا فى كل الشؤون والقضايا، وكما أن الله تعالى جعل الشـمس مصـدر الـدفء والنور للإنسان فى حياته الماديـة، ومن ابتعد عنها حرم من الدفء والنور، فكذلك هو الإمام عليه السلام جعله الله لنا مصدراً للدفء والنور فى حياتنا المعنوية، وأوكل سبحانه إليه كل أمورنا وقضايانا، فمن لم يتوجه إليه فسوف يكون نصيبه الخسارة والحرمان.

فلنستحضر هذه المقدمات الأربع ولنحاول ونلحّ حتى نستفيد من وجود الإمام المهدى عليه السلام أكثر فأكثر.

نموذجان للاستفادة من وجود الحجة عليه السلام

١. قضية السيد محمد باقر الدامغانى

ابتلى السـيد محمـد باقر الـدامغانى وهو من العلماء فى مدينـة مشـهد المقدسـة بـداء السل، واسـتمر يعانى منه أعواماً، ولم تؤدّ مراجعته للأطباء إلى نتيجة، بل استمرت حالته تزداد سوءاً، وبدأ يضعف ويذوى حتى فقد الأمل بالشفاء.

وفى يوم من الأيام قذف دماً كثيراً من صدره، فجاء عند أستاذه الميرزا الإصفهانى وشكا له حالته وضعفه.

يقول: فجثا الميرزا على ركبتيه وقال له معاتباً:

«ألست سـيداً (هاشـمياً)، فلماذا لا تلجأ إلى أجدادك الطاهرين؟ ألست من شـيعة الإمام المنتظر، فلماذا لا تسـتنجد ببقية الله فى الأرض حتى ينجيـك ممـا أنت فيه؟ ألاـ تعلم أن أئمـة أهـل البيت هم أسـماء الله الحسـنى؟ ألم تقرأ فى دعاء كميل: يا من اسـمه دواء وذكره شفاء؟ قم واذهب إلى بقية الله (الإمام المهدى عليه السلام) واطلب منه حل مشكلتك».

يقول: فأخذتنى العبرة وقمت متجهاً إلى حرم الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام.

وبعـد أن دخلت الصـحن العتيق رأيت فجـأة أنى أعيش فى وضع آخر، فليس الوضع هو الوضع المعتـاد، وبـدا لى أنى أعيش فى عالم المكاشـفة، إذ لم يكن الناس الذين يعتاد تواجدهم فى الصحن الشريف موجودين وكانت هناك جماعة قليلة العدد يمشون ويتقدمهم رجل ألقى فى روعى أنه هو الإمام المهـدى عليه السـلام. وخفت أنهم قد يغادرون قبل أن التقى الإمام وأنال بغيتى، ففكرت أن أنادى

الإمام عليه السلام.

وبينما أنا كذلك فى هذا الخاطر وإذا بذلك الرجل يلتفت إلىّ وينظر إلىّ نظرة واحدة بطرف عينه فقط ومن دون أن يكلمنى، وبدأ العرق يتصبب من بدنى، وإذا بالصحن يعود بعد ذلك إلى حالته الطبيعية فلم أر الرجل ولا الجماعة التى كانت خلفه، ورأيت جموع الناس المعتادة، فرجعت إلى نفسى فإذا بى صحيح البدن معافى.

وعاش الدامغانى بعد ذلك أعواماً فى صحة كاملة.

۲. وهناك قضية أخرى حدثت للحاج آقا حسين القمى ?الذى ذكرنا جانباً من ورعه ودقته واحتياطه آنفاً.

وكان من شدة احتياطه أيضاً أنه إذا سئل عن الوقت يقول فى الجواب: افرض أنها كذا (التاسعة مثلاً) خشية أن لا يكون قوله مطابقاً للواقع!

نُقل فى أحواله أنه كان يعتقد أن أقوى دعامة له فى حياته هو وجود الإمام المهدى عليه السلام وعنايته وكان راسخ الاعتقاد أن هذه الدعامة هى التى تسنده وتنقذه وتنجيه.

وهذا هو الاعتقاد الذى يجب أن يكون ثابتاً عندنا كما كان عند السيد القمى، ?لا أن يكون موجوداً حيناً ومفقوداً فى أحيان أخرى كما هو حال أغلب الناس.

أما قضية هذا العالم ورعاية الحجة عليه السلام له فهى كالتالى:

كان (الحاج آقا حسين القمى) قد جاء إلى طهران فى قضية جهاده مع العلماء ضد البهلوى الأول، فحوصر فيها فلم يستطع الرجوع وانقطع به الطريق، ولم يكن لديه مال، فبعث له البهلوى بشيك أبيض يكتب هو فيه ما يعجبه، ولكنه ?رفض استلام الشيك من الرسول لأنها أموال الدولة وهو لا يريد أن يتصرف لنفسه من أموالها، رغم احتياجه الشديد والمبرم للمال. فقيل له: فكيف ستعيش؟

فقال: «أنا أعتقد أن الإمام الحجة عليه السلام لا ينسى رعيته».

(انظروا إلى التعبير، فهو لم يقل إن الإمام عليه السلام لا ينسى جنوده أو وكلاءه، مع أنه كان مرجعاً للتقليد، ولكنه قال: إن الإمام عليه السلام لا ينسى رعيته)!

فضحك بعض ضعاف الإيمان ممن كانوا حوله عند سماعهم هذه العبارة، ولكن تلك الإرادة التى تقف وراء كل شىء وتهيئ الأسباب الظاهرية، هيأت له الأسباب ولم تتخلّ عنه! إذ إن رئيس شرطة مدينة شهر رى تأثر بالسيد القمى وانشدّ إليه، فقام بمفاتحة بعض التجار فى طهران رغم ما يحمل ذلك من خطر عليه ليكون وسيطاً لإيصال المال منهم إليه، ونجح فى المهمة ووقاه الله من خطر عظيم، لأن السلطة لو اكتشفت أمره لربما كانت تصدر الأمر بإعدامه، ولكنه استطاع أن يدخل على السيد القمى وكان يخفى المال فى جورابه، وقال السيد القمى عندما قدم له الرجل المال:

«كنت أعلم أن الإمام عليه السلام لا ينسى رعاياه».

وأخيراً

ينبغى أن نذكر الإمام عليه السلام ولا ننساه، كى يشملنا لطفه ورأفته بشكل أكبر، كما قال الله تعالى?: فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ.?

كم مرة فى اليوم نذكر الإمام المهدى عليه السلام؟ هل نذكره فى قنوت صلواتنا؟ هل نقرأ كل يوم: (اللهم كن لوليك الحجة بن الحسن)؟ ... وهل نبدأ باسمه عندما نبدأ ببحوثنا العلمية ونقول يا حجة الله أدركنى؟

هنالك بعض الطلبة يبدأون بحوثهم العلمية بقولهم: ياحجة بن الحسن أدركنى، وهذه حالة مهمة جداً ينبغى أن ننميها فى أنفسنا.

وهناك كتاب لطيف فى مجلدين أدعو الإخوة المؤمنين لمطالعته وهو «مكيال المكارم فى فوائد الدعاء للقائم».

فحرى بنا أن لا نغفل عن الإمام عليه السلام، وأن ندعو له.

نسأل الله سبحانه أن يشملنا بألطافه وعناياته وأن لا يحرمنا لطفه وفضله ورحمته.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

الإهتمام بالقضية المهدوية

الإهتمام بالقضية المهدوية

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

يدور حديثنا عن القضية المهدوية فى محورين:

المحور الأول: عوامل الإهتمام بالقضية المهدوية.

المحور الثانى: كيفية الإهتمام بالقضية المهدوية.

أما المحور الأول: فإن هناك مجموعة من العوامل تفرض الاهتمام بالقضية المهدوية، نذكر منها فى المقام ثلاثة:

العامل الأول: الاهتمام بالقضية المهدوية ضرورة إيمانية

إن قضية الإمام المهدى عليه السلام تمثّل الحلقة الأخيرة من سلسلة حلقات الإيمان، والحلقة الأخيرة فى أية سلسلة؛ تارة تكون فى (واجب غير ارتباطى) وفى هذه الحالة تكون قيمة الحلقة الأخيرة مساوية لقيم سائر الحلقات ولا يكون ثمة فرق بين الحلقة الأولى والوسطى والأخيرة، وتارة تكون فى واجب ارتباطى؛ وهنا تتوقف الحلقات كلها على الحلقة الأخيرة، وقضية الإيمان بالإمام المهدى عليه السلام هى من النوع الأخير، أى إنها كالجزء الأخير فى الواجب الارتباطى.

ولكى يتبيّن الفرق بين الواجب الارتباطى والواجب غير الارتباطى نضرب لكل منهما مثلاً، فمثال الواجب غير الارتباطى هو الدَّين، فانك لو كنت مديناً لشخص بعشرة دنانير مثلاً، فوجوب أداء الدين ينحلّ فى واقع الأمر إلى عشرة وجوبات ويمكن تصورها أكثر وكل وجوب من هذه الوجوبات له طاعة مستقلة بأدائه أو عصيان مستقلّ بالامتناع عن الأداء فإذا أديّت تسعة دنانير تكون قد امتثلت تسعة وجوبات ويبقى عليك الدينار الأخير ولنقل الواجب الأخير، ولايؤثر امتناعك عن أدائه فى الامتثالات المتقدمة.

أما فى الواجب الارتباطى فإن الامتثال يبقى غير محرز ما لم تؤد الجزء الأخير، فتكون الأجزاء كلها متوقّفة عليه، ومن أمثلة ذلك الصلاة، فلو افترضنا أن الصلاة مركّبة من عشرين جزءاً فإنه تتوقف صحة جميع الأجزاء على الجزء الأخير من الصلاة وهو التسليم، فإن كان صحيحاً صحّت سائر أجزاء الصلاة وإلّا فلا؛ وذلك لأن الصلاة واجب ارتباطى، فإن صحة جميع الأجزاء المتقدمة لكل واجب ارتباطى تتوقف على صحة الجزء الأخير من المركّب.

وهكذا هى قضية الإيمان بالإمام المهدى عليه السلام بالنسبة لقضية الإيمان كلها.

ولا عجب فى ذلك فإن الإنسان إذا آمن مثلاً بجميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام ولم يؤمن بخاتمهم عليه السلام فإن إيمانه لا ينفعه، وهذه المعادلة كما تصحّ فى النبى الخاتم عليه السلام تصحّ فى الوصى الخاتم عليه السلام، فمن آمن بسائر الأنبياء ولم يؤمن بالنبى الأكرم عليه السلام لا يجديه إيمانه شيئاً، كما أن من آمن بالأنبياء والأئمة عليهم السلام واستثنى خاتمهم الإمام المهدى عليه السلام فكأنه لم يؤمن أبداً.

إذن فالإيمان بخاتم الأوصياء يساوى الإيمان بجميع الأنبياء والأئمة والأوصياء عليهم الصلاة السلام، ورفض الإيمان به عليه السلام يساوى رفض الإيمان بهم جميعاً.

وهكذا يتّضح العامل الأول للاهتمام بقضية الإمام المهدى عليه السلام، كونه يمثّل الحلقة الأخيرة فى سلسلة حلقات الإيمان على نحو الجزء الأخير فى الواجب الارتباطى.

العامل الثانى: الإيمان بالإمام المهدى عليه السلام مصداق من مصاديق شكر المنعم

إن الاهتمام بالقضية المهدوية يمثّل شكلاً من أشكال شكر المنعم، وقد ذكر فى علم العقائد أن شكر المنعم إحدى المستقلّات العقلية، والمنعم اثنان: الأول: ما منه الوجود، وهو الله تعالى، والثانى: ما به الوجود، وهو النبى الأعظم وأهل بيته الطاهرون عليهم السلام وخاتمهم الإمام المهدى عجل الله تعالى فرجه الشريف.

[وقد ذكرنا فيما مضى أن القرآن الكريم يؤكد أن هنالك فاعلين: ما منه الوجود وما به الوجود؛ قال الله تعالى?: فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ.]?

ألسنا نخاطب الأئمة عليهم السلام فى زيارة الجامعة بالقول ...: « وأولياء النعم؟» فأهل البيت عليهم السلام أولياء نعمتنا.

أو ليس وردت فى كتاب (الكافى) رواية شريفة تقول: «ولولانا ما عُبد الله»؟

ألا يوجد فى كتاب (الاحتجاج) فى التوقيع الشريف عن صاحب الزمان عليه السلام: «نحن صنائع ربنا والخلق بعد صنائعنا»؟

إننا نجلس فى كل لحظة من لحظات حياتنا على مائدة الإمام المهدى عليه السلام، فبهم أهل البيت عليهم السلام أنبتت الأشجار، وبهم أينعت الثمار، وبهم جرت الأنهار، فقد أفاض الله تعالى بنعمه الظاهرة والباطنة علينا عبرهم.

فالاهتمام بقضية الإمام المهدى المنتظر عليه السلام مظهر من مظاهر «شكر المنعم».

وقد نقل أن مجموعة من العلماء اجتمعوا لبحثِ ما يُفترَض أن يتخذوه من موقف إزاء المخاطر التى كان يتعرض لها الإسلام والمسلمون، وذلك قبل حوالى أربعين عاماً فى العراق، فقال أحدهم إن واجبنا هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والوقوف بوجه القوانين الباطلة، ولكن أحد الحاضرين اعترض عليه بقوله إن ذلك قد يعرّضنا للخطر، وإن من الممكن أن تقوم الحكومة باعتقالنا وإيذائنا.

فردّ العالم الأول بما مضمونه: إن الحكومات تتكفّل أمور جنودها فترة طويلة وذلك ليدافعوا عنها فى ساعات الخطر، وليس من الصحيح أن يفرّ فرد من أفراد الجيش آنئذ، فإن فراره هذا يعدّ خيانة، ونحن قد جلسنا دهراً على مائدة الإمام المهدى عليه السلام؛ مائدة جوده النابعة من وجوده الكريم المبارك، فكيف لا ندافع عنه وعن دين جدّه رسول الله عليه السلام؟ ألا يعتبر التقصير فى ذلك خيانة، والحال أننا قد أُعددنا لمثل هذا اليوم؟!

إذن العامل الثانى الذى يدفعنا للاهتمام بقضية الإمام المهدى عليه السلام كون هذا الاهتمام يمثل مظهراً من مظاهر شكر المنعم.

العامل الثالث: الاهتمام بالقضية المهدوية يوجب البركة والتوفيق

إن الاهتمام بالقضية المهدوية يوجب التوفيق والبركة فى الحياة، وينبغى أن نعلم بأن التوفيق قضية مهمة فى حياة الإنسان، فهناك من الأفراد من يوفّق فى حياته، وهنالك من الأفراد من يُحرم من التوفيق، فالله تبارك اسمه يضع البركة فى بعض الأعمال والوجودات دون بعضها الآخر، فياترى كيف يتسّنى للفرد أن ينال التوفيق والبركة؟

إننا نعتقد وبشكل عام، أن للعوامل الغيبية أثراً كبيراً فى الحصول على التوفيق والبركة، وإننا نجد شواهد لذلك فى حياة كثير من علمائنا الأعلام، فإنهم لم يكونوا ليبلغوا ما بلغوا لولا وجود عامل غيبى فى حياتهم، فمثلاً السيد أبوالحسن الأصفهانى ?توسل فى قصة مفصلة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام فرآه فى عالم الرؤيا يسلّمه مفاتيح النجف الأشرف.

والشيخ عبد الكريم الحائرى ?مؤسس الحوزة العلمية فى قم المقدسة، توسل بالإمام الحسين عليه السلام، وربما كان هذا هو السبب فى بلوغه ما بلغ فى المجالات العلمية والعملية.

والشيخ الصدوق ?الذى قدم خدمات كبيرة للدين يذكر فى أحواله أنه ولد بدعاء الإمام الحجة عليه السلام له.

أما العلامة المجلسى ?الذى له باع طويل فى ترويج الدين وإحياء شريعة سيد المرسلين فقد ذكر أحد العلماء قضية تتعلق بولادته حيث يقول:

«كنت قادماً من كربلاء المقدسة إلى اصفهان فرأيت فى عالم الرؤيا والد العلامة المجلسى وبيده طفل فقدّمه إلى النبى عليه السلام وطلب منه أن يدعو له بأن يكون مروّجاً للدين، فأخذه النبى عليه السلام ودعا له، ثم أعطى الطفل إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فدعا له أيضاً، وهكذا سائر الأئمة حتى الإمام الحجة عليه السلام، ثم إن الإمام الحجة عليه السلام أعطى الطفل لى وقال: أنت ادع له أيضاً، فأخذته ودعوت له، وعندما وصلت إلى اصفهان ذهبت إلى بيت والد العلامة المجلسى فجاءنى وبيده طفل وقال لى لقد ولد هذا الطفل لنا فى هذا اليوم فخذه وادع له بأن يكون مروّجاً للدين، فتذكرت تلك الرؤيا وأخبرت بها الشيخ ففرح بها».

المحور الثانى: كيفية الاهتمام بالقضية المهدوية

ونتطرق فى هذا المجال إلى نقطتين:

١ الاهتمام بالثقافة المهدوية

وفى هذه النقطة مفردات فمن جملة مفردات هذه النقطة الاهتمام بالمطالعة حول شخصية الإمام عليه السلام، انطلاقاً من النص الشرعى القائل: «من مات لا يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية» إذ المعرفة لها قيمة كبيرة عند الله تعالى، حتى لقد فسّر قوله عز اسمه?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ?بمعنى أن الله تعالى خلق الخلق لكى يعرف.

كما أن على المرء أن يدفع أفراد أسرته لكى يكثّفوا من مطالعتهم حول الإمام المهدى عليه السلام، بالإضافة إلى نقل القصص التى تتعلّق بالإمام عليه السلام.

ومن مفردات هذه النقطة تأسيس مكتبات تخصصية حول الإمام المهدى عليه السلام.

يقال أنه سُئل السيد محمد كاظم القزوينى ?مرّة: ما فائدة الموسوعة التى تؤلّفها عن الإمام الصادق عليه السلام؟ فقال:

«يكفينى أن توضع فى المكتبة ليُعرف أن هناك موسوعة عن الإمام الصادق عليه السلام فى ستين مجلداً (مثلاً)».

إن الشاب عندما يدخل المكتبة ويرى ألفاً وخمسمائة كتاب مثلاً عن الإمام المهدى عليه السلام فإن هذا وحده كاف للتأثير فيه.

فلنجعل فى كل مكتبة بل فى كل بيت غرفة أو زاوية للكتب والأشرطة التى تتعلق بالإمام المهدى عليه السلام.

٢ إحياء الشعائر المهدوية

وفى هذه النقطة مفردات، فمن مفردات هذه النقطة الاهتمام بقراءة الأدعية المرتبطة بالإمام عليه السلام مثل دعاء الندبة، وليبدأ الإنسان فى ذلك ببيته، وليرغّب الآخرين فى مثل ذلك، فإن هذه القطرات ستتجمع وتتحول إلى ظاهرة اجتماعية منتشرة بإذن الله تعالى.

ومن جملة مفردات هذه النقطة، إحياء كل ما يرتبط بالإمام المهدى عليه السلام، كتسمية الأبناء بإسم الإمام، لأن فى إحياء اسم الإمام الحجة إحياءً لأسماء جميع الأئمة عليهم السلام، وكذلك تسمية البنات بإسم والدة الإمام (نرجس) أو عمّته (حكيمة)، وكإحياء مدينة سامراء المشرفة كما فعل ذلك المجدد الشيرازى الكبير ?حيث قرر الهجرة إلى سامراء والإقامة فيها وإحياء هذه المدينة المقدسة بعد طول خمود.

وقد ذكر أحد علماء الدين أنه قد انهالت على مؤسسته التى أعلنت جمع التبرعات لإحياء مدينة سامراء ومراقد الأئمة عليهم السلام فيها بعد سقوط حكم البعث الظالم، انهالت عليه فوق ما كان يتوقع، فإن الموالين لأهل البيت عليهم السلاممستعدّون لتقديم أرواحهم لهم فضلاً عن أموالهم.

ومن المشاريع الطيّبة ما قام به بعض الشباب المؤمنين الذين يحملون الروح المهدوية، حيث حرّض أصحاب المحلّات على أن يبيعوا البضائع بنصف القيمة باسم الإمام الحجة المنتظر عليه السلام، وتكفل لهم بدفع التفاوت، فتقاطر الناس للشراء من هذا السوق وهم

يـذكرون الامام المهـدى عليه السلامويصـلون على النبى وآله عليهم السـلام يقول هـذا الشاب إن هذا السوق الخيرى أقيم إحدى أيام الجمعات، ولكنه شاهـد فى الجمعـة الثانية أحد أصـحاب المحلات وقد اسـتمرّ فى بيع البضائع بنصف القيمة باسم الإمام المهدى عليه السلام.

خاتمة: فى بركات الاهتمام بالقضية المهدوية

إن القضـية المهدويـة بالإضافـة إلى موضوعيتهـا الذاتيـة، توجب التوفيق والبركـة فى حيـاة الإنسان المتبنّى لها كما سـبقت الإشارة إلى ذلك .

وفى هـذا المجال ينقل أن المحقق القمى والسـيد بحرالعلوم ?كانا صـديقين حميمين، وكانا يتتلمـذان عنـد الوحيـد البهبهانى، ?وكان السـيد بحرالعلوم يطلب من المحقق القمى أن يقرر له درس الوحيد البهبهانى فى كل مرة لأنه لم يكن يستوعبه بشكل كامل، ثم إنهما افترقا، إذ هاجر المحقق القمى إلى إيران وبقى بحرالعلوم فى العراق، وبعد فترة سمع المحقق القمى عن السيد بحرالعلوم ما أثار تعجبه، حيث بلغه أن صـديقه القـديم قـد ارتقى مقاماً شامخاً من العلم، وحينمـا عاد إلى العراق والتقى بالسـيد بحرالعلوم عرض عليه إحـدى المسائـل، فخـاض فيهـا الأـخير خوضـاً أبهر المحقق القمى، حتى قـال له: أنت بحرالعلوم حقـاً، وطلب المحقق القمى من بحرالعلوم أن يكشف له عن سـرّ بلوغه هذه الدرجة من العلم، فلم يشأ السيد بحرالعلوم فى بادئ الأمر أن يذكر له السرّ، ولكن إلحاح المحقق القمى اضطرّه إلى القول:

«كيف لا أكون كذلك وقد ضمنّى الإمام المهدى عليه السلام إلى صدره الشريف».

والشـيخ الأنصارى ?الـذى له هـذا الموقع المتميز فى الحوزات العلميـة ينقل فى أحواله أنه دخل مع تلميذه الآشتيانى ?حرم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فصادفهما رجل يعرف بعض العلوم الغريبة فقال الرجل للشيخ الأنصارى:

«إنك قد رأيت الإمام المهدى عليه السلام مرتين»،

ولكن الشيخ الأنصارى انصرف بسرعة كى لا يتبين المزيد من أسرار هذا الارتباط الغيبى.

إن مثل هذا النوع من الارتباط والاهتمام بقضايا الأئمة المعصومين عليهم السـلام، لا سـيما الإمام المهدى عليه السلام، وهو إمام زماننا يوجب التوفيق والبركة للإنسان وذريته وعمله فى الدنيا والآخرة.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

وسائط الفيض الإلهى

وسائط الفيض الإلهى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.?

مقدّمة

نتنـاول فى هـذا البحث موضوع وسائط الفيض الإلهى، وهـذا البحث يمكن تناوله من زاويا متعـددة، إلا أن ما نعنى به فعلاً هو ما يتعلّق بنظام السنن.

ذلك أنّ لله تعالى سـنناً فى هـذا الكون وهـذه السـنن ثابتـة لا تتبـدّل ولا تتحوّل؛ قال الله تعالى?: فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ

لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا، ?والتبديل فى الشىء يعنى أن ينقلب وصفه إلى ما يضادّه أو يناقضه، أما التحويل فهو انتقال وصف معيّن من موقعه المعيّن له إلى موقع آخر؛ فيكون معنى الآية الكريمة على ما ذكره بعضهم أنّ السنن الإلهية فى هذا الكون لا تقبل تبدّل الحالات ولا تبدّل المواقع، والمثال الأوّل أنّ النار لا يمكن أن يُسلب منها فى يوم من الأيام وصف الحرارة، والمثال الثانى أنّه لا يمكن أن تنتقل فى يوم من الأيام صفة الإحراق الموجودة فى النار إلى الماء مثلاً؛ وذلك لأنّ السنن الإلهية لا تقبل التبديل ولا التحويل، وذلك كله فى إطار المعادلات الطبيعية، أما المعجزة فلها بحث آخر.

من السنن نظام الوسائط

إذا اتّضحت المقدّمة نقول: إنّ من السنن الإلهية القائمة فى هذا الكون أنّ الله سبحانه وتعالى لاينزل فيضه عادة إلّا عبر وسائط.

ونوضّح المسألة بمثال من الوسائط الطبيعية وهو: أنّ الإنسان إذا مرض يراجع الطبيب ويتناول العقاقير ليحصل على الشفاء، مع أنّ الشافى حقيقة هو الله تعالى.

روى العلامة المجلسى رحمة الله عليه فى البحار: «قال موسى بن عمران: يا ربّ ممّن الداء؟ قال منّى. قال: فممّن الدواء؟ قال: منّى. قال: فما يصنع الناس بالمعالج (يعنى الطبيب)؟ قال: يطيّب بذلك أنفسهم فسمّى الطبيب لذلك».

لقد خلق الله الأعشاب ليلجأ إليها الإنسان إذا مرض، صحيح أنّ الشفاء من الله تعالى ولكنّه يمرّ عبر واسطة طبيعية وهى العقاقير؛ مع أنّ الشافى الحقيقى هو الله تعالى كما قال تعالى?: وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ.?

وقد كان الأطباء القدامى يكتبون على الوصفة الطبية عبارة (هو الشافى) أى أنّ الله تعالى هو الذى يمنح الشفاء أما الطبيب فليس سوى واسطة فى إيصال هذا الفيض الإلهى.

الوسائط الغيبية

وفى عرض هذه الوسائط الطبيعية توجد وسائط غيبية، فكما أنّ الله تعالى يمنح الإنسان الشفاء عبر الأدوية والعقاقير المتّخذة من الأعشاب أو المواد الكيمياوية، وكما جعل فى العسل شفاءً فقال عزّ من قائل?: فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ، ?فكذلك أودع الله تعالى الشفاء فى أسباب غيبية، فمثلاً جعل الشفاء فى تربة الحسين عليه السلام.

لو قمنا بتحليل تربة كربلاء فى المختبر فلربما لا نرى فيه فرقاً من الناحية المادية بينها وبين سائر التراب، ولكن أليس الله تعالى بقادر على أن يجعل الشفاء فى تربة الحسين عليه السلام إكراماً له كما جعله فى العسل أو الأدوية والعقاقير؟!

الاعتقاد بالوسائط الغيبية لا يختصّ بنا نحن الشيعة

الملاحظة الأخرى هى أنّ هذه العقيدة (وهى أنّ هناك أسباباً غير طبيعية جعلها الله تعالى وسائط لفيضه كما جعل الوسائط الطبيعية وسائل لذلك) لا تختصّ بالشيعة وحدهم، بل تعمّ طوائف المسلمين.

إنّ التوسّل إلى الله تعالى عبر أوليائه كالتوسل بالنبى عليه السلام عقيدة يؤمن بها كلّ المسلمين إلّا زمرة شاذّة تعتقد أنّ المسلمين ومنذ أكثر من ألف عام وإلى يومنا هذا، كلّهم على ضلال وانحراف وأنّها هى وحدها التى عرفت معنى التوحيد! فكل المسلمين والصحابة والتابعين وتابعى التابعين برأى هذه الفئة مشركون لأنّهم يأتون إلى قبر رسول الله عليه السلام ويتوسلون به ويطلبون حوائجهم من الله تعالى بواسطته.

أجل هذه كانت سيرة المسلمين كافة إلّا هذه الزمرة، وهذا ما تجدونه فى المصادر المعتمدة لدى غير الشيعة من المسلمين.

انظروا مثلاً صحيح البخارى، وهو من أصح الكتب عندهم، أو أصحها على الإطلاق، فقد ورد فى هذا الكتاب أنّ المسلمين الأوائل

كانوا إذا أصابهم الجدب وقلّ المطر خرجوا إلى الصحراء يتضرّعون إلى الله ويصلّون صلاة الاستسقاء وكان عمر يستسقى بالعباس عم النبى عليه السلام، يقول البخارى فى صحيحه: «إن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللّهم إنا كنّا نتوسل إليك بنبينا عليه السلام فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيُسقَون».

وهنا لابدّ من التنبيه على أمر وهو أنّ الأولى أن يتم التوسل بعد وفاة رسول الله عليه السلام بنفس الرسول، وهو الإمام على عليه السلام كما عبّرت بذلك عنه آية المباهلة?: فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ?بدلاً من التوسل بعمّ النبى عليه السلام.

وعلى كل حال فالمسلمون كانوا يتوسّلون إلى الله بالنبى عليه السلام، كما كان عمر يتوسل بعد وفاته عليه السلام بعمه العباس.

هذا ما ورد فى صحيح البخارى وليس الكافى أو نحوه ليقال إنّه من مصادر الشيعة.

وقد روى أحمد فى مسنده وابن ماجة فى سننه:

«أن رجلا- ضرير البصر أتى النبى عليه السلام فقال: ادع الله أن يعافينى. قال: إن شئت دعوتُ لك وإن شئت أخّرت ذاك فهو خير. فقال: ادعه، فأمره أن يتوضأ فيُحسن وضوءه فيصلّى ركعتين ويدعو بهذا الدعاء: «اللّهم إنى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمد نبىّ الرحمة يا محمد إنى توجّهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه فتقضى لى. اللّهم شفّعه فىَّ ... ففعل الرجل فبرئ».

انظر هذا النص تراه يشبه النص الموجود فى دعاء التوسل الوارد فى كتاب مفاتيح الجنان، وهو: «اللهمّ إنّى أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك نبى الرحمة » ... ولكنّهم مع ذلك يقولون عن دعاء التوسّل الوارد عندنا بأنّه شرك وكفر!

والطريف فى الأمر أنّ ابن تيمية وهو رمز هذه الفئة التى تعيب على المسلمين توسّلهم واستشفاعهم بالنبى وآله عليهم السلام، يعترف فى كتابه بأنّ هذا الحديث صحيح.

وهناك أحاديث كثيرة أخرى فى كتب الفريقين تفيد أنّ النبى عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام هم وسائط للفيض الإلهى.

الواقع خير دليل

وهنالك قضايا كثيرة تسند هذه الحقيقة، وهذه القضايا ليست مجرد قضايا تاريخية عابرة بل إنها تتجدد فى كلّ عصر ومنها عصرنا، ولا شكّ أنّ للكثير منّا تجربته الشخصية فى هذا المجال، بيد أنّ أكثر الناس مبتلون بالنسيان، فما أكثر المشاكل التى تواجه الإنسان فى الحياة، وما أكثر الحالات التى يظلّ عاجزاً عن حلّها إلّا عن طريق التوسل بالله تعالى والاستشفاع بأوليائه، وما أكثر المشاكل التى حُلَّت ببركتهم!

القصص فى هذا المجال كثيرة إلا أننى أذكر لكم واحدة منها على سبيل المثال؛ وهى قصة شاب كويتى مازال هو وأشخاص قصته على قيد الحياة وكلهم معروفون فى الكويت.

ابتُلى هذا الشاب بآلام فى بطنه بدأت تشتدّ وتشتدّ حتى أصبحت لا تُطاق، فراجع طبيباً مشهوراً وأُجريت له عملية جراحية اكتشف الطبيب من خلالها أنّه مصاب بالسرطان! وأنّ حالته ميؤوس منها، وقال الطبيب: هناك احتمال ضعيف جداً (بنسبة ۵٪) لشفائه فى الخارج، ولكن الاحتمال الأكبر هو الموت.

وتقرّر أن يُنقل إلى الخارج. واتّفق أنّ أحد الخطباء الحسينيين الكبار قام بعيادة المريض قبل نقله إلى الدولة التى كان مقرّراً إجراء العملية فيها، وناوله حبّة قند (سكّر مكعبات) قُرئ عليها حديث الكساء، وشيئاً من تربة الحسين عليه السلام وقال لأهله: صلّوا صلاة فاطمة الزهراء فإنّه يُشفى بإذن الله تعالى.

نُقل المريض مع بعض أهله إلى ذلك البلد الأجنبى، وفى ليلة إجراء العملية وفيما كان الشعور بالغربة والبعد عن الأهل والأطفال

يسيطر على المريض، انقطع انقطاعاً حقيقياً إلى الله تعالى وصلّى صلاة الزهراء، ?ولم تكن صلاته مجرد ألفاظ بل كانت عباراته تخرج من القلب ودموعه تجرى، واستمرّ يدعو الله تعالى حتى أخذته إغفاءة، فرأى الصدّيقة الزهراء ?تدخل غرفته وهى محجّبة ومعها شابّان، فدنوا نحوه، ومسح أحد الشابّين بيده على موضع الداء، فنهض الشخص من إغفاءته وتلمّس موضع المسح وإذا بالألم قد زال ولم يبق أىّ أثر للمرض!

حضر الأطباء لإجراء العملية فقال لهم: لا أشعر بالألم وأحسّ أنّى شُفيت. استغربوا قوله وعندما أصرّ أُجريت له الفحوصات، فذُهلوا لما رأوا وقالوا:

«لا شكّ أنّ معجزة حصلت وأنّ القضية ليست طبيعية أبداً بل لابدّ من تدخّل غيبى فى الأمر!».

وهكذا شُفى هذا الشاب ببركة أهل البيت عليهم السلام، وما أكثر الحالات المشابهة، ولا شكّ أنّ كلاًّ منّا لو راجع ذاكرته لوجد المزيد.

صلاة فاطمة ?وقضاء الحوائج

وبمناسبة ذكر صلاة فاطمة الزهراء ?فى القضية المذكورة آنفاً، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هذه الصلاة مذكورة فى أوائل كتاب مفاتيح الجنان، وأنّ كلّ واحد من الإخوة المؤمنين يمكنه أن يصلّى هذه الصلاة، ليس من أجل حاجاته الدنيوية أو الشخصية فحسب، فثمة حاجات نوعية أيضاً، فهناك مثلاً الآلاف بل الملايين من المساكين والفقراء الذين يتهددهم الجوع فى العالَم! أليست هذه مشكلة حقيقية؟ أم يكون منطقنا: إذا مِتّ ظمآناً فلا نزل القطر؟! كلا، فليس هذا منطق الإنسان المؤمن.

روى عن الإمام الحسن عليه السلام أنه قال: «رأيت أمّى فاطمة ?قامت فى محرابها ليلة جمعتها فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتسمّيهم، وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشىء، فقلت لها: يا أمّاه، لِم لا تدعون لنفسكِ كما تدعون لغيرك؟ فقالت: يا بنى، الجار ثم الدار».

فهذا هو منطق أهل البيت عليهم السلام، فهل نكون كذلك أم نقول: الدار ثم الدار؟!

كتب لى شخص قبل عدة أيام يقول: إنى رجل متزوج وعندى ثلاثة أولاد، ولكنا نعيش فى ضائقة اقتصادية خانقة، لدرجة أنّ زوجتى لم تعد تحتمل الوضع، فطلبتْ منّى الطلاق، فماذا ترى؟!

فكم مثل هذا الشخص موجودون اليوم بين ظهرانينا ولا نعلم بهم؟

وِرد آخر للزهراء?

وبمناسبة ذكر صلاة الزهراء ?فى القصة، لا بأس بالإشارة إلى أنّ هناك ورداً آخر مجرّباً وذلك بأن تتوضّأ وتجلس فى مكان مستقبل القبلة ولا تكلّم أحداً وتقول خمسمئة وثلاثين مرة «اللّهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها بعدد ما أحاط به علمك».

الأيام الفاطمية

ملاحظة أخيرة تتعلّق بالأيام الفاطمية أودّ التذكير بها وهى أنّ المؤمنين فى قم المقدسة يتّخذون مناسبتين للفاطمية، الفاطمية الأولى فى جمادى الأولى، والفاطمية الثانية فى جمادى الثانية. الجدير بالمؤمنين أعزّهم الله تعالى أن يحيوا الفاطمية الثانية كما يحيون الفاطمية الأولى وجزاهم الله خير الجزاء.

نسأله سبحانه أن يوفّقنا للاقتداء بأهل البيت عليهم السلام فى الدنيا، وأن يرزقنا شفاعتهم فى الآخرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

التبرى من أعداء الله تعالى

التبرى من أعداء الله تعالى

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الموقف من أعداء الله تعالى

يمكن تقسيم المواقف المتخذة من أعداء الله تعالى إلى ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: هو الموقف الذى يحاول تمييع الحدود بين الحق والباطل، أصحاب هذا الموقف يرفضون فكرة أنه لا يوجد إلّا صراط مستقيم واحد، بل يعتقدون أن هناك صرطاً مستقيمة كلّها توصل سالكيها إلى الله سبحانه بنحو من أنحاء الإيصال، ومن ثم لا يوجد فرق عندهم بين النبى موسى (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) وبين من عبد العجل، لأن لكل منهما صراطه المستقيم، ويقولون إن موسى عليه السلام عندما أخذ بلحية أخيه يجرّه إليه إنما عاتبه على نهيه قومه عن عبادة العجل! لأن الله بزعمهم يحبّ أن يعبد فى أيّة صورة كان المعبود.

وهذه العقيدة ليست فلسفة تعود للماضى، ولا نظرية جديدة تستوطن أقاصى بلاد الشرق والغرب، بل هى موجودة فى قلب البلاد الإسلامية أيضاً.

فى هذه النظرية لا معنى للتبرى، لأنه يتساوى فيها نبى الله موسى عليه السلام وفرعون الطاغية؛ يقول شيخهم الأكبر فى كتابه حول فرعون: «فقبضه الله طاهراً مطهّراً لم يشبْهُ دنس» ويقول: «إن قوم نوح إنما أغرقوا فى بحار رحمة الله». ويقول شاعرهم:

لقد صار قلبى قابلاً كلّ صورة

فمرعى لغزلان ودير لرهبان

إلى أن يقول:

أدين بدين الحب أنى توجهتْ

ركائبه فالحب دينى وإيمانى

فالدين فى هذا المنطق هو الحبّ بشكل مطلق؛ حب القاتل والمقتول، حب الجلّاد والضحية، حب قابيل وهابيل، حب فرعون وموسى، حب نمرود وإبراهيم، حب أبى سفيان وخاتم الأنبياء عليه السلام، ومن ثم لا معنى للتبرى، لأنه لا يوجد شخص ينبغى أن يُتبرّأ منه ما دام الكلّ فى طريق الله سبحانه وتعالى.

وقد روى أن رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين إنى أحبّك وأحبّ فلاناً فقال عليه السلام: «أمّا الآن فأنت أعور، فإما أن تعمى وإما أن تبصر».

الموقف الثانى: هو الموقف الذى يتبنّى التولى لأولياء الله تعالى ولكنه لا يتبنّى التبرى من أعدائه.

هذا الموقف يرى فضائل ومناقب من يتوّلاه فيتوّلاه، ولكنه لا يرى مثالب عدوّه لأن له عيناً واحدة فقط.

وهذا الموقف يختلف عن الموقف الأول، لأن صاحب الموقف الأول يبرّئ الجميع، أما صاحب الموقف الثانى فيقول إنى أتولى فلاناً ولا شأن لى بغيره.

الموقف الثالث: هو الموقف الذى يرتكز على قاعدة التولّى والتبرّى معاً، وكلامنا فى هذا البحث هو حول هذا الموقف، ونسعى أولاً لتقصّيه فى القرآن الكريم.

التبرى من أعداء الله تعالى فى القرآن الكريم

يتناول القرآن الكريم قضية التبرّى بصيغتين؛ الأولى: ما يحتوى على عنوان التبرى بنفسه، والثانية: ما يتناول بعض مظاهر التبرى.

أما الصيغة الأولى فلعلّ أبرز موقف يمثّلها هو موقف نبىّ الله إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) فى قوله تعالى?: فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ.?

توضيح ذلك: إن من المحرمات التى ذكرها الفقهاء فى كتبهم: الاستغفار للمشرك حتى لو كان أباً أو قريباً؛ قال الله تعالى?: مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِى قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ؛ ?وهذه الشدة فى الموقف تعنى أنه حتى هذا المقدار من الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى غير مسموح به شرعاً.

لا شك أن التعامل الإنسانى لا إشكال فيه؛ يقول تعالى?: لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.?

ولقد سقى الإمام الحسين عليه السلام أعداءه الماء، كما سقى النبى الأكرم عليه السلام أعداءه، فالقضية الإنسانية لا تعرف التأطير العقائدى (على التفصيل المقرّر فى الفقه)، أمّا إنشاء الرابطة العاطفية مع أعداء الله تعالى فغير مسموح حتى على مستوى الاستغفار لهم.

(عن أبى إسحاق الهمذانى عن رجل قال: صلّى رجل إلى جنبى فاستغفر لأبويه وكانا ماتا فى الجاهلية. فقلت: تستغفر لأبويك وقد ماتا فى الجاهلية؟ فقال: قد استغفر إبراهيم لأبيه. فلم أدر ما أردّ عليه، فذكرت ذلك للنبى عليه السلام فأنزل الله?: وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ. ?ولم يكن آزر أباه الحقيقى بل كان عمه، وفى اللغة العربية يطلق على العم لفظة الأب وعلى الخالة لفظة الأم.

وعلى أىّ حال، يظهر من الآية الكريمة أن آزر وعد إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآله السلام) أن يؤمن، ولذلك استغفر له إبراهيم عليه السلام استغفاراً فعلياً أو تعليقياً، ولكنه عندما تبيّن له أنه عدو لله، تبرّأ منه؛ لأن الدين لا يقيم قاعدته على أساس العلاقات العائلية بل يقيمها على أساس العلاقات العقائدية، فالعقيدة هى الملاك وليس الروابط.

وفى الآية نكتة جديرة بالالتفات تكمن فى كلمة «تبرأ منه» فهى تعنى التبرى من الفاعل وليس التبرى من الفعل فقط، فهناك منطق يقول: نتبرأ من الفعل لا من الفاعل، ولكن منطق القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة هو التبرؤ من الفاعل، كما أن هناك آيات فيها تبرّؤ من الفعل مثل قوله تعالى?: وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ?وقوله سبحانه?: وَأَنَاْ بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ.?

ومن الموارد التى وردت فيها البراءة بعنوانها سورة كاملة تحمل اسم البراءة وتبدأ به دون البسملة (شعار الرحمة).

أما الصيغة الأخرى من التبرى فى القرآن الكريم فهى الآيات التى تتناول مظاهر التبرى، ومن هذه المظاهر الاستعاذة؛ قال الله تعالى: ?فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ.?

ومنها الآيات التى وردت فيها كلمة اللعن.

كثيراً ما يقال: لماذا تلعنون الظالمين؟

والجواب: إن الله تعالى هو الذى شرع لنا اللعن، والآيات القرآنية التى فيها اللعن أكثر من ثلاثين آية، ونحن نلعن من لعنه الله تعالى.

نظرة إلى مقولة التوفيق العقائدى

مع كل ما تقدّم، نسمع اليوم من يذهب إلى فكرة التوفيق العقائدى (أو العقدى). نحن لا نتحدث عن التوفيق العملى الذى قد تفرضه بعض الظروف، بل فى التوافق العقائدى والقول إن على كل طرف أن يتنازل عن بعض ثوابته من أجل الوحدة مع الآخر، إن هذا النوع من التوافق غير صحيح وغير ممكن.

قال أحد الأشخاص لصاحبه: يجب أن نلغى المذاهب فلا سنّة ولا شيعة، فقال صاحبه: إذا أذّن المؤذن كيف نصلّى؟ هل نسبل اليدين أم نتكتف؟ هل نسجد على التراب أم السجّاد ؟ ... ويقول أحد العلماء ما مضمونه: جمعنى مع رجل من المذاهب الأخرى لقاء فحلّ موعد الصلاة فقال: أيّنا يؤمّ الآخر؟ فقلت: فى مذهبنا هنالك شروط لإمام الجماعة، وأنا لا أصلّى خلف من يفتقد هذه الشروط ولو كان شيعياً، أما أنتم فى مذهبكم فتجوّزون الصلاة خلف كل برّ وفاجر، فلأكن أنا الإمام.

لماذا التبرى؟

هناك شبهة يثيرها البعض فيقولون: ولماذا التبرى من أشخاص وأقوام ماتوا ولم يعودوا بين ظهرانينا؟ ويقولون: أولئك قوم عصمنا الله تعالى من دمائهم فلنعصم أنفسنا من أعراضهم، فنحن لم نشترك فى قتلهم، فلنجنّب أنفسنا الخوض فى كرامتهم.

إن الإجابة عن هذه التساؤلات بحاجة إلى بحث مستقلّ، لكننا نكتفى هنا بالإشارة إلى نقطتين على نحو الإجمال والاختصار؛ وهما:

النقطة الأولى: إن التبرى يعنى صنع الحاجز النفسى والاجتماعى مع من تتبرّأ منه، وقضية الحاجز النفسى والاجتماعى قضية مهمة، فمن الناحية الفقهية يحرم على الإنسان أن يجلس على مائدة يُشرب فيها الخمر، إننا الآن نتنفر من الخمرة ويكون تصوّر شربها مقزّزاً لنا، لكن إذا جلس الإنسان على مائدة يُشرب فيها الخمر فإن هذا الحاجز النفسى يقلّ تدريجياً.

وهؤلاء الأفراد الذين نتبرّأ منهم لا يمثلون أفراداً فقط بل يمثّلون مناهج أيضاً، فالحجاج يمثّل منهجاً وهذا المنهج قابل للتكرار فى كل مكان وزمان، ألم يتكرر نموذج الحجاج فى العراق؟

إذن ينبغى وضع حاجز نفسى واجتماعى تجاه النماذج السيئة لئلا تتكرر، فلو اتخذ أحد أبنائنا شخصاً منحرفاً صديقاً له، ألا نسعى لخلق حاجز فى نفسه للابتعاد عنه؟

ولعل هذا يفسّر كثرة النماذج المشابهة للحجّاج فى الخطوط الأخرى؛ ولِم لا يفرز أصحاب المنهج المخالف أشخاصاً كالحجاج ماداموا معجبين به غير متبرّين منه؟!

إن التبرى هو الذى يصنع الحاجز النفسى للابتعاد عن النموذج المتبرّى منه.

النقطة الثانية: وهى نقطة مهمة جداً وإن كان يغفل أو يتغافل عنها الداعون للوحدة العقائدية والفكرية والفقهية؛ وهى: إن موقفنا إزاء هذه النماذج المنحرفة دائر بين أمرين، فإما أن ندين أفراداً أو ندين الإسلام، فنحن مضطرون لأحد هذين الأمرين، إن من العوامل المهمة التى تحول دون إسلام كثير من الغربيين هى هذه النماذج السيّئة، وهى نماذج ثابتة تاريخياً ولا يمكن إنكارها أو التستر عليها! هل يستعدّ فرد عاقل اليوم لأن يخضع لحكم البعثيين مع هذا النموذج الذى قدّموه؟! هكذا حال هذه النماذج التاريخية، فهؤلاء الأفراد يشكّلون دعاية سلبية للإسلام، فإذا كان الإسلام هو الدين الذى يفرز أمثال الحجاج وهارون فإنه ليس ديناً جديراً بالقبول.

إن أمرنا دائر بين أن ندين هؤلاء الأفراد ونطهّر ساحة الإسلام منهم فنقول: إن هؤلاء لا يمثّلون الدين وإننا نعلن براءتنا منهم، وإما أن نسكت عن هؤلاء وجرائمهم، وهذا معناه إدانة الإسلام.

فأيهما أفضل: إدانة الإسلام أم القول إن هؤلاء يمثّلون شذوذاً عنه وعن تعاليمه؟

إننا لو فكّرنا فى قضية التبرّى من الناحية العقلية لرأينا أن التبرى من هذه النماذج ضرورة إسلامية يحكم بها العقل قبل الشرع.

أليس التبرّى من تجربة طالبان فى أفغانستان ضرورة؟! ولو قلنا للعالم: إن الطالبان يمثّلون الإسلام حقيقة فهل يفكر عاقل فى اعتناقه حينئذ؟!

وإذا كنا نتبرّأ اليوم من طالبان وأمثالهم، فمن الاولى أن نتبرأ من أولئك الذين جلس الطالبان على موائدهم أعنى من تقدمهم وخطّ لهم هذا الخطّ، ومن أسس أساس الظلم والجور فأولئك أولى بالإدانة والتبرّى، ولذلك نحن نتبرأ منهم.

الصديقة الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى

يبدو أن التخطيط الإلهى كان يقتضى أن تكون الزهراء ?أعظم رمز للتبرى من أعداء الله تعالى، إنها الرمز الذى لا يمكن إنكاره، والمخالفون متحيّرون ماذا يفعلون وماذا يقولون تجاه هذا الرمز.

فمثلاً نرى البخارى الذى يأنف عن ذكر حتى رواية واحدة عن الإمام الصادق عليه السلام [مع أن المذاهب الأربعة كلّها عيال على المدرسة الفقهية للإمام الصادق عليه السلام]، ويروى عن الخوارج وعن عمران بن حطّان الذى يقول فى ابن ملجم:

يا ضربة من تقىّ ما أراد بها

إنى لأذكره حيناً فأحسبه

إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا

أوفى البرية عند الله ميزانا

ولا يروى عن الإمام الصادق عليه السلام! أجل حتى البخارى هذا لم يستطع الهروب من هذه القضية، ونقل ما يكشف أن خطّ فاطمة الزهراء ?هو خطّ التبرّى، فهو يروى فى كتابه الذى يعدّه قومه أصحّ الكتب بعد كتاب الله تعالى: أن رسول الله عليه السلام قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها أغضبنى» ثم يذكر فى مكان آخر من كتابه عن فلان: «فهجرته فاطمة فلم تكلّمه حتى ماتت».

راجعوا كتاب «الإمام الصادق والمذاهب الأربعة» لتعرفوا منهج هذا الرجل فى تدوين الحديث، ولكنه ذكر هذه الرواية، وهذا جزء من الهداية الإلهية التشريعية للبشر، لكى تكون معالم الحق واضحة جليّة لا تخفى على أحد.

وقد روى أنّ أحد علماء العامة أراد اللقاء بالعلامة الحلّى ليبحث معه فى أمر الإمامة، فأوفد العلاّمة ولده فخر المحققين لاستقباله خارج البلدة، وبينما هما فى الطريق التفت فخر المحققين وسأل ذلك العالم:

«هل حديث: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» صحيح عندكم؟ فقال: نعم، قال فخر المحققين: فهل كان لفاطمة بعد وفاة أبيها عليه السلام إمام أو لا؟ فحار العالم ماذا يجيب، فإن قال: لا، فهل يعقل أن تكون الزهراء قد ماتت والعياذ بالله ميتة جاهلية، وهى التى يرضى الله لرضاها ويغضب لغضبها؟! وإن قال: نعم، فمن كان إمام زمانها؟ لا شك أنه لم يكن أبا بكر لأنها كانت مقاطعة له واجدة عليه رافضة لحكمه مُدينة له، وما رضيت حتى أن يشترك فى تشييعها، وإن قال إن إمامها كان على بن أبى طالب، فقد خصم، وهكذا حار العالم وعاد من حيث أتى دون أن يلتقى بالعلامة الحلى».

فعند الزهراء ?ينتهى كل احتجاج، وهى الرمز الذى لا يقبل التأويل وتنقطع عنده كلّ حجة.

ومما ينقل فى هذا الصدد أيضاً أنه أتت عائشة وحفصة إلى عثمان تطلبان ميراثهما من ضياع أموال رسول الله عليه السلام التى فى يديه، فقال: ولا كرامة، لكن أجيز شهادتكما على أنفسكما، فإنّكما شهدتما عند أبويكما أنّكما سمعتما من رسول الله عليه السلام يقول: إنّ النبىّ لا يورث، ما ترك فهو صدقة، ثم لقّنتما أعرابيّا جلفاً ... فشهد معكما، لا من أصحاب رسول الله عليه السلام ولا من الأنصار أحد شهد بذلك غير أعرابىّ، أما والله ما أشكّ فى أنّه قد كذب على رسول الله عليه السلام، وكذبتما عليه معه، فانصرفتا من عنده تبكيان وتشتمانه، فقال ارجعا، ثم قال: أشهدتما بذلك عند أبى بكر؟ قالتا: نعم. قال: فإن شهدتما بحقّ فلا حقّ لكما، وإن كنتما شهدتما بباطل فعليكما وعلى من أجاز شهادتكما على أهل هذا البيت لَعْنَةُ الله والمَلائكَة وَالنَّاسِ أَجْمَعين.

وقال صاحب «كشف الغمّة»: «لما ولى عثمان قالت له عائشة: أعطنى ما كان يعطينى أبى وعمر. فقال: لا أجد له موضعاً فى الكتاب ولا فى السنة ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل. قالت: فأعطنى ميراثى من رسول الله. فقال: أليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضرى أن رسول الله عليه السلام قال: لا نورث، فأبطلتِ حقّ فاطمة، وجئتِ تطلبينه، لا أفعل. فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول: إنه قد خالف صاحب هذا القميص، فلما آذته صعد المنبر فقال: إن هذه الزعراء عدوة الله ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة فى الكتاب? اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ?إلى

قوله? وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ. ?فقالت له: يا نعثل يا عدو الله إنما سمّاك رسول الله عليه السلام باسم نعثل اليهودى الذى باليمن، فلاعنته ولاعنها وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً وخرجت إلى مكة».

واجبنا تجاه قضية الزهراء

أما بعض واجبنا تجاه الزهراء ?فهو تركيز قضيتها فى النفس والبيت والمجتمع والعالم.

فمن طرق التركيز فى البيت والعائلة مثلاً تخصيص جائزة لكلّ من يحفظ الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء، ?كما يمكن للمشرفين على الدورات الصيفية القيام بذلك أيضاً.

ومن طرق التركيز فى المجتمع والعالم تأليف الكتب والموسوعات عن الصديقة الزهراء ?وقضيتها ومظلوميتها.

ومن كان يستطيع إقامة مجالس العزاء فى بيته فليفعل، ولنواصل ولا نتوقف، لأن كثيرين وُفّقوا فى البداية ولكن التوفيق لم يحالفهم حتى النهاية، فلنطلب من الله تعالى أن لا يسلبنا هذا التوفيق.

لک سدارتک وأعطنى عمامتى

كان نظام الحكم فى العراق قبل حوالى أربعين عاماً يحاول استقطاب رجال الدين ثم تذويبهم ومن هنا أعلنت الدولة عن توظيف رجال الدين كمعلمين براتب جيد، بعد إجراء امتحان لهم.

وقد نقل عن أحد رجال الدين آنذاك أنه قال: كانت أوضاعى المادية ضاغطة ففكرت أن أوفّق بين الأمرين فأذهب صباحاً للوظيفة الرسمية، ثم أعود عصراً إلى مهمّتى كرجل دين، دون أن أخبر أحداً بذلك.

قال: وبينما كنت ذاهباً لأداء الامتحان لقينى شخص من عامّة الناس فى الطريق وطلب منى أن أفسّر له رؤيا رآها البارحة، وقال: لقد رأيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يخاطبك بالقول: «لک سدارتک وأعطنى عمامتى» وكان المعلّمون آنذاک يلبسون سدارة فما تفسير ذلک؟

يقول: فقلت له: هذه رسالة لى من أمير المؤمنين عليه السلام وقد وصلت الرسالة، ثم رجعتُ إلى بيتى ولم أنخرط فى سلک الدولة، وتركتُ الحلول التوفيقية، وواصلت سيرى فى طلب العلوم الدينية والخطابة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الموفَّقين لخدمة دينه وأوليائه وأن لا يسلبنا هذا التوفيق، إنه سميع مجيب.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تأثير الذكر

تأثير الذكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لُّأُوْلِى الأَلْبَابِ ?الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ.?

مقدّمة

لكل حقيقة من الحقائق أربعة وجودات عادة؛ الأول: الوجود العينى وهو عبارة عن تحقق الشىء فى الخارج. الثانى: الوجود الذهنى وهو عبارة عن انطباع صورة الشىء الموجود خارجاً فى الذهن. الثالث: الوجود اللفظى، والرابع: الوجود الكتبى.

ما يهمنا فعلا فى هذه الوجودات الأربعة بحثان:

البحث الأول: أن هذه الوجودات الأربعة متفاعلة؛ تؤثر حالات بعضها فى حالات بعض.

البحث الثانى: أن هذه الوجودات الأربعة مترابطة.

البحث الأول: التفاعل بين أنحاء الوجود

لو فرضنا أن للوجود الخارجى لشىء ما صفة معينة، فهذه الصفة لاتمثل صفة خارجية لموجود خارجى فحسب بل تؤثر فى الوجود الذهنى واللفظى والكتبى له أيضاً ولو فى الجملة أوصى الإخوة المؤمنين بقراءة أحكام الأولاد فى كتاب النكاح، فهذا الباب مشحون بالقيم الدينية التى يحتاج إليها كل واحد منا نحن المسلمين، وفيه يذكر الفقهاء أن الأب ينبغى ان لا يسمى ابنه أو بنته باسم عدو من أعداء الله تعالى؛ لأن لذلك تأثيرات سلبية فى روحية الطفل .

فى كتاب الكافى للكلينى: ?يَعْقُوب السَّرَّاج قالَ: «دَخَلْتُ عَلى أَبى عَبْد اللَّه عليه السلام وهُوَ وَاقفٌ عَلى رَأس أَبى الْحَسَن مُوسَى وهُوَ فى الْمَهْد فَجَعَلَ يُسَارُّهُ طَوِيلًا. فَجَلَسْتُ حَتَّى فَرَغ، فَقُمْتُ إليه فَقَالَ لى: ادْنُ منْ مَوْلاكَ فَسَلِّمْ. فَدَنَوْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَىَّ السَّلامَ بلسَان فَصِيح ثُمَّ قَالَ لى: اذْهَبْ فَغَيِّرِ اسْمَ ابْنَتكَ الَّتى سَمَّيْتَهَا أَمْس فَإِنَّهُ اسْمٌ يُبْغِضُهُ اللَّهُ. وكَانَ وُلِدَتْ لِى ابْنَةٌ سَمَّيْتُهَا بِالْحُمَيْرَاء. فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّه عليه السلام: انْتَهِ إلى أَمْره تُرْشَدْ. فَغَيَّرْتُ اسْمَهَا».

بل ذكر بعض الفقهاء أنه ينبغى تغيير حتى الأسماء المحايدة إلى الأسماء النورية أى محمد وفاطمة وعلى والحسن والحسين عليهم السلام وامثالها كما كان رسول الله عليه السلام يصنع ذلك مع بعض الصحابة.

البحث الثانى: الترابط بين أنحاء الوجود

البحث الثانى: الترابط بين أنحاء الوجود

ومعناه أن وجود بعضها يستتبع وجود بعضها الآخر ولو فى الجملة. مثلا: الوجود اللفظى (وهو وجود فى عالم اللفظ والعبارة) يستتبع الوجود الذهنى، فالكلمات والعبارات التى تطلقها ليست أمواجاً تتحرك فى الفضاء فقط بل تؤثر فى ذهنك أيضاً، وقد تستتبع وجوداً عملياً لأن الصورة التى تنطبع فى الذهن قد تنتهى إلى الوجود العملى.

تأثير ذكر الله على حياة الإنسان

بعد هذه المقدمة نعود إلى الآية الكريمة?: الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ.?

فما قيمة قولنا: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)، وما دور ذلك؟

يتصور بعض الناس أن هذه الألفاظ لا قيمة لها، مع أن لها قيمة كبرى، لأنها تعنى حضور الله سبحانه وتعالى فى لفظك، وهذا الحضور اللفظى يؤثر فى ذهنك بالتبع إن لم يكن فى المرة الأولى ففى المرات اللاحقة، وبمرور الأيام وبالمداومة على الذكر تخلق هذه الألفاظ حالة ذهنية معيّنة عند الذاكر حيث تنطبع المفاهيم التى تحملها الألفاظ فى الذهن، وهذه الحالة الذهنية ستؤثر فى العمل أيضاً؛ أى يتحقق فى البداية الوجود اللفظى، ثم تتحقق الصورة الذهنية والوجود الذهنى، ويأتى التطبيق العملى أخيراً وفق تلك الصورة الذهنية (أى الوجود الذهنى) والصورة اللفظية (أى الوجود اللفظى).

قصة فيها عبرة

نقل أحد العلماء القدامى فى إيران أنه كان مسافراً إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام فى العراق فوقع هو والقافلة فى كمين لبعض قطاع الطرق فى مدينة كرمانشاه الإيرانية، فاستولوا على كل أموال القافلة ولم يجدِ معهم النصح والكلام. يقول العالم:

«ولكن ما لفت انتباهى أنه عندما حان موعد الصلاة انعزل أحدهم جانباً ويبدو أنه كان رئيسهم وتوضأ ثم صلى الفريضة. وعندما أتمّ صلاته توجّهتُ إليه وسألته: هل أنت رئيس هذه العصابة؟ قال: نعم. قلت: وماذا تنفعك هذه الصلاة وأنت لا تراعى لله حرمة حيث تسرق أموال الناس؟!

فقال: صحيح أننى مذنب وعاص، ولكن يجب على الفرد أن لا يقطع جميع الخيوط التى تربطه بالله تعالى.

يقول العالم: بعد بضع سنين، كنت جالساً فى إحدى العتبات المقدسة، عندما أقبل علىّ شخص ظاهر الصلاح فسلّم علىّ وقال: هل تعرفنى؟

وعندما أجبته بالنفى قال: أنا صاحبك الذى قطعت عليك الطريق فى سنة كذا وسألتنى آنذاك عن الفائدة التى أجنيها من صلاتى.. أرأيت كيف أفادتنى تلك الصلاة وقادتنى إلى ما ترى، حيث إنى تبت إلى الله توبة نصوحاً، وتخلصت من التبعات وأرجعت كل الأموال إلى أصحابها، ومن لم أعرفه تصدقت بأمواله نيابة عنه».

•وقد روى أن فتى من الأنصار كان يصلّى مع رسول الله عليه السلام إلا أنه كان يرتكب الفواحش فوُصف ذلك لرسول الله عليه السلام فقال: «إنّ صلاته تنهاه يوماً ما». فلم يلبث أن تاب.

وهذا ما يفسر جانباً من جوانب كثرة الأدعية وتنوعها، فانكم إذا راجعتم كتب الأدعية لاحظتم أنه يوجد دعاء أو ذكر لكثير من الحالات، فهناك ذكر لمن يريد السفر؛ يقول?: سُبْحانَ الَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ?وذكر عند إرادة البدء بالطعام?: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ?وذكر عند الانتهاء من الطعام?: الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِين، ?وذكر قبل النوم: (تسبيحة الزهراء) ?كما وردت (تسبيحة الزهراء) عقيب كل صلاة، وهناك ذكر مشحون بالمعارف الإلهية عند كل فعل من أفعال الوضوء، فتقول عند غسل الوجه: «اللهم بيّض وجهى يوم تسودّ فيه الوجوه» وهكذا...

إن الذكر يؤثر فى حياة الإنسان ويقوّم سلوكه إن لم يكن اليوم فغداً أو بعد غد؛ ولقد تغيّرت حالة الجيل الجديد مع الأسف وابتعد كثير من الشباب عن الذكر، خلافاً لمن سبقنا من الأبرار فقد كانوا يلهجون بذكر الله فى كل وقت، فكانت المرأة مثلاً تسبّح الله وتذكره وهى مشتغلة بأعمال المطبخ وهكذا الرجل وهو فى طريقه إلى البيت، أو وهو مشتغل بعمله.

إن من يعرف قيمة الذكر لا يدَعْ وقته يذهب سدىً دون أن يستثمره بالذكر. ولقد جاء فى صحيفة سليمان بن داوود: لتسبيحة فى صحيفة مؤمن خير مما أعطى ابن داوود، إن ما أعطى ابن داوود يذهب وإن التسبيحة تبقى. أى إن تسبيحه واحدة مثل قول «سبحان الله» أعظم عند الله وأبقى أثراً من كل ذلك الملك العريض الذى أُعطى سليمان عليه السلام.

فإذا كان هذا قيمة الذكر أفليس من الخسارة أن يقضى المرء أوقاته عبثاً دون أن يذكر الله؟!

عَنْ أَبى بَصير قَالَ: قَالَ الصَّادقُ عليه السلام: مَنْ صَلَّى عَلَى النَّبىِّ وآله مئَةَ مَرَّة فِى كُلِّ يَوْم ابْتَدَرَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَك أَيُّهُمْ يُبْلغُهَا إلى رَسُولِ اللَّه عليه السلام قَبْلَ صَاحبه.

وعن الْقُطْبُ الرَّاوَنْدىُّ فى لُبِّ اللُّبَاب عَنْ النَّبىِّ عليه السلام قَال: مَنْ صَلَّى عَلَىَّ وعَلَى آلى صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ، ومَنْ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلائكَةُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه، ومَنْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه لَمْ يَبْقَ فى السَّمَاوَات والأرض مَلَكٌ إلا ويُصلُّونَ عَلَيه...

حقاً ما أعظم قيمة الذكر! فقول «اللهم صل على محمد وآل محمد» قد لا يستغرق خمس ثوان من الإنسان ولكنه يساوى صلاة الله ودعوة الملائكة بالرحمة لقائله!

ألا يأسى الإنسان على الأوقات التى لم يذكر الله سبحانه وتعالى فيها؟! أوَلا يجدر بنا خلق الحالة التى كان عليها آباؤنا الأخيار من دوام الذكر فى كل حال؟

الذكر العملى والقلبى

كان الحديث فيما مضى عن الذكر اللفظى، ونتحدث الآن عن الذكر العملى والقلبى وهو أن نستحضر الله تعالى ونذكره فى أذهاننا وقلوبنا قبل أن ننطق بأية كلمة وقبل أن نتخذ أى موقف، فمثلاً عندما يدخل الزوج البيت وهو مرهق ومتعب وتستفزه الزوجة وتثير أعصابه سواء كانت محقة أو غير محقة، عليه أن يذكر الله تعالى قبل القيام بأى ردّ فعل، وهكذا على الزوجة أن تذكر الله قبل اتخاذها أى موقف تجاه زوجها.

فهذه الحالة من الرقابة الدائمة على النفس والحذر من أن يصدر عنها ما يسخط الرب، هى الذكر العملى والقلبى.

وقد روى أن الإمام السجاد عليه السلام الْتَاثَتْ عَلَيْهِ نَاقَتُهُ فَرَفَعَ الْقَضِيبَ وأَشَارَ إِلَيْهَا وقَال: لولا خَوْفُ الْقِصَاصِ لَفَعَلْتُ. وفى رِوايةٍ: آهِ مِنَ الْقِصَاصِ. ورَدَّ يَدَهُ عَنْها.

نماذج من الذكر العملى

•النموذج الأول: حكاه السيد الجد ?وأنقلها لكم عبر واسطة واحدة يقول:

«كان احد التجّار جالساً مع جماعة من زملائه إذ حضر شخص وقال: لقد توفى التاجر الفلانى. قيل له: كيف، ولم يكن به شىء؟ قال: نام ولم يستيقظ!

وما كان من صاحبنا (التاجر الحاضر فى الجلسة) بعد أن سمع النبأ إلا أن أطرق برأسه قليلاً ثم توجّه إلى الحاضرين من زملائه وقال: أيها التجار اشهدوا أنى مدين لهذا التاجر بمبلغ كذا.

وعندما سأله زملاؤه: وما أعجلك على إعلان هذا الأمر؟ قال: لم يكن يعلم بهذا الدَّين إلا الله وهو وأنا، وخفت إن فات الوقت ولم أعلن عنه أن يغرّنى الشيطان بأكل المال، فأردت أن أقطع عليه الطريق».

•النموذج الثانى: يُنقل فى أحوال أحد المراجع أن تاجراً قال له:

«سيدنا أنا مدين بديون كثيرة ولكن الشيطان لا يدعنى أن أؤديها وإنى فى صراع مع الشيطان ولا أستطيع التغلب عليه».

وكلما نصحه العالم لم تُجد النصيحة معه وقال:

«أنا لا أتمكن ونفسى لا تطاوعنى، ولكن هناك حل واحد وهو أن تقول لهؤلاء الخدم الموجودين فى بيتك لكى يقيدونى ويُخرجوا المفتاح من جيبى ثم يتوجهوا إلى قاصتى وهى فى محل كذا، ويخرجوا المال كى يصرف فى موارده.

وأضاف: مهما قلت لكم أثناء تقييدى فلا تعتنوا بكلامى.

وقام الخدم بالمهمة وكلما صرخ التاجر بهم لم يعتنوا بكلامه وأسرعوا إلى قاصته وأخرجوا المال الذى كان قد حدده لهم ثم عادوا وفكّوا التاجر ليذهب إلى سبيله.

وكان هذا التاجر كلما التقى المرجع بعد ذلك قال له: جزاك الله عنى خير الجزاء، فلقد أرحتنى من همّ ثقيل».

إذن المقصود من الذكر العملى أن يتذكر الإنسان الله تعالى فى كل خطوة يريد أن يخطوها، كمن يمشى فى أرض ذات شوك فانه يلاحظ بدقّة كلّ خطوة من خطواته، فإذا فعل الإنسان ذلك فسوف يكون من المفلحين بإذن الله تعالى.

نسأله سبحانه أن يجعلنا من الذين يذكرون الله بلسانهم وقلوبهم وأعمالهم وأن نكون من الذاكرين الله كثيراً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

صلاة الليل.. فلسفتها ومعطياتها

صلاة الليل.. فلسفتها ومعطياتها

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ?فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ?صدق الله العلى العظيم.

حديثنا عن صلاة الليل يدور حول محورين:

المحور الأول: الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل.

المحور الثانى: معطيات صلاة الليل.

فلسفة صلاة الليل

أما بالنسبة للمحور الأول؛ فربما يبدو لنا والله أعلم بحقائق الأمور أن الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل ترتبط بنوع من الارتباط بالفلسفة الرئيسية لخلقة الإنسان.

فياترى لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟ ثمة آية قرآنية كريمة تجيب على هذا السؤال بوضوح، وهى قوله تعالى?: وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ.?

إن هذه الجملة القرآنية؛ ووفقاً للاصطلاح الأدبى يقال لها: جملة حصر، وجملة الحصر فى اللغة تنحلّ إلى عقدين: عقد إيجابى، وعقد سلبى، فالعقد الإيجابى لهذه الجملة أن الله خلق الجن والإنس للعبادة، أما العقد السلبى فهو أن خلق الجن والإنس لم يكن لأى هدف آخر غير العبادة.

وبناء على ذلك؛ فإن أى تصرّف يصدر عنا نحن البشر خارج إطار العبادة، فهو خارج عن إطار الهدف من خلقتنا، تماماً كذاك الطالب الذى يدخل قاعة الامتحان ليمتحن، فما يصدر عنه من التصرفات لايمكن عدّها جزءاً من فلسفة وجوده فى القاعة، إلّا أن تكون متعلّقة بشكل من الأشكال بالهدف من دخوله القاعة، وهو الامتحان.

فتناولنا الطعام نحن البشر لا يصحّ عدّه هدفاً لوجودنا فى الحياة، إلا إذا ربطناه بحقيقة الهدف من خلقتنا، وهى العبادة، وإن لم نجعله كذلك فهو لا يعدو كونه تضييعاً للحكمة من وجودنا، تماماً كمن يهاجر إلى بلاد الغربة للدراسة فيضيع وقته فى الاكل والشرب والنوم واللعب، وحينما يعود إلى وطنه يعتريه الندم على ما فرّط فى تلك البلاد ... وهكذا بالنسبة الى سائر الأمور

إذن؛ فالهدف من الخلقة هو العبادة، وليس الهدف أى شى آخر.

وهنالك من يقول إن العبادة ممارسة تختصّ بالشيوخ والعجائز، ولكن: اذا كان الأمر كذلك فلماذا وقف رسول الله عليه السلام على أطراف أصابعه يعبد ربه حتى تورّمت قدماه؟

ولماذا اقتدت الصديقة فاطمة الزهراء ?بأبيها فى ذلك؟

ولماذا حجّ الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ماشياً خمساً وعشرين مرة؟

وما هو السر وراء قول الإمام الحسين عليه السلام لأخيه أبى الفضل العباس عليه السلام فى ليلة عاشوراء: اذهب إلى هؤلاء القوم الجيش الأموى واستمهلهم؛ لعلنا نصلّى لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنى أحبّ الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار، وقد بات أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فى ليلة عاشوراء ولهم دوىّ كدوىّ النحل ما بين قائم وقاعد وراكع وساجد؟

أما الإمام موسى الكاظم عليه السلام فقد كان يقول فى سجن هارون العباسى: «اللهم إنك تعلم أنى كنت أسألك أن تفرّغنى لعبادتك اللهم وقد فعلتَ، فلك الحمد» وكانت له عليه السلام سجدة من بعد طلوع الشمس حتى الظهر، الى غير ذلك مما نقلته

النصوص التاريخية عن عبادة الأنبياء والأئمة والصالحين عليهم السلام.

نعم! هناك عبادة بالمعنى الأعم، فكل شيء ينتهى إلى الله تعالى، فهو عبادة، ولكن ما سردناه من عبادة الأئمة عليهم السلام وجدّهم رسول الله عليه السلام يدلّ على أن هناك أيضاً عبادة بالمعنى الأخص، وقد كان لها موقع مهمّ فى حياتهم عليهم السلام.

فلا يصحّ؛ والحال هذه أن يفكّر أحدٌ منا أن العبادة بالمعنى الأعمّ تغنى عن العبادة بالمعنى الأخصّ، فإن ذلك يتناقض وسيرة أهل البيت عليهم السلام، كما تقدم.

صلاة الليل عبادة متميّزة

لا شك أن صلاة الليل تمثّل مظهراً متميزاً من مظاهر العبادة بالمعنى الأخص وهذا فيما يبدو هو الفلسفة الرئيسية لصلاة الليل؛ ولذلك نجد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عندما يُسأل عن العبودية يقول: العبودية خمسة أشياء؛ وعدّ منها قيام الليل.

معطيات صلاة الليل

قبل أن نبيّن بعض معطيات صلاة الليل نشير إلى قضية الارتباط والعلاقة بين الأشياء، إذ قد ذكرت فى الروايات الشريفة، ارتباطات بين الاشياء ربما تبدو غير مفهومة للكثيرين فكيف نوجّه هذه الارتباطات؟

يمكن ذكر توجيهين فى هذا الصدد:

التوجيه الأول: أن هذه الروايات تعبّر عن وجود علاقات حقيقية تكوينية عقلية بين الأشياء، ولكنها علاقات خفيّة لم يكشف الغطاء عنها حتى الآن، ولعل العلم سيتوصّل إليها بعد حين، لاسيما وأننا نعرف بأن آفاق العلم فى توسّع مستمر، وقد ورد فى الأثر أن عهد الإمام الحجة عليه السلام سيشهد تكاملاً علمياً هو الأسمى على مرّ التاريخ.

التوجيه الثانى: أننا كبشر مقيّدون بنظام الارتباطات، فإذا أردنا تدفئة الغرفة مثلاً، لزمنا إشعال الموقد، تبعاً لنظام العلية والمعلولية، غير أن خالق هذا النظام ليس مقيّداً أو محكوماً به؛ فهو فوق هذا النظام، وإرادته هى الحاكمة عليه، ويشهد لما ذكرناه ما يصدر من بعض الأشخاص من الخوارق كما عرف عن الشيخ النخودكى فى مدينة مشهد فى قضايا كثيرة ومضمون أحدها: أن أحدهم قصده ليسأله علاجاً لزوجته المريضة فى طهران، فأعطاه شيئاً من الطعام وأمره بتناوله، مما أثار تعجبه لكونه زوج المريضة وليس هو المريض، فأمره الشيخ بتناوله، وحينما عاد إلى زوجته وجدها قد شفيت.

من هذه القضية وأمثالها قد نفهم عدم لزوم وجود ارتباط تكوينى بين الأشياء، اذ من الممكن أن يخلق الله تعالى النتائج بعد حصول بعض المقدمات وإن لم يكن بينها علاقة تكوينية أصلاً، وهذا بحث طويل نتركه الى محلّه.

وعلى كل حال فليس من الصحيح إنكار الارتباطات المذكورة فى الروايات الشريفة بين بعض الأمور وبعضها الآخر لمجرد الجهل بحقيقة الارتباط القائم فيما بينها.

أما معطيات صلاة الليل؛ فهى:

أولاً: إن صلاة الليل تثبت النور فى قلب العبد، وقد ورد عن النبى الأكرم عليه السلام أنه قال: «إن العبد إذا تخلّى بسيّده فى جوف الليل المظلم وناجاه، أثبت الله النور فى قلبه».

ثانياً: إن صلاة الليل تورث الشرف. ففى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «شرف المؤمن صلاته بالليل».

ثالثاً: إن صلاة الليل تستوجب رضوان الله سبحانه وتعالى، وهو أكبر ما يمكن أن يناله المؤمن، وقد قرن الإمام الرضا عليه السلام بين صلاة الليل ورضا الله تعالى، فقال: «قيام الليل رضا الرب».

رابعاً: إن صلاة الليل تورث صحة البدن، ففى الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنه قال: «قيام الليل مصحّة للبدن».

خامساً: حسن الوجه، فقد ورد عن النبى عليه السلام أنه قال: «من كثرت صلاته فى الليل، حسُن وجهه بالنهار».

وقال عليه السلام: «ألا ترون أن المصلّين بالليل هم أحسن الناس وجوهاً؟ لأنهم خَلَوا بالليل لله فكساهم الله من نوره».

سادساً: إن من يصلى صلاة الليل يُكتب من الذاكرين، فقد قال رسول الله عليه السلام: «إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وتوضآ وصلّيا، كُتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات».

سابعاً: غفران الذنوب، حيث جاء فى الحديث النبوى الشريف: «يقول الله لملائكته: انظروا إلى عبدى قد تخلّى بى فى جوف الليل المظلم والباطلون لاهون والغافلون نيام، اشهدوا أنى غفرت له».

ثامناً: مباهاة الله، وبهذا الصدد قال رسول الله عليه السلام: «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنعاس فى عينيه ليرضى ربّه جلّ وعزّ بصلاة ليله، باهى الله تعالى به ملائكته فقال: أما ترون عبدى هذا قد قام من لذيذ مضجعه إلى صلاة لم أفرضها عليه، اشهدوا أنى قد غفرت له».

تاسعاً: أنها تورث بياض الوجه، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «صلاة الليل تبيّض الوجه».

عاشراً: إن صلاة الليل تطيّب الريح، فقد قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «صلاة الليل تطيب الريح»، والظاهر أن المقصود الرائحة المادية، أما العلاقة فيما بين الأمرين فقد يكشفها التطوّر العلمى بعد حين.

الحادى عشر: أنها تجلب الرزق، فقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «إن الرجل ليكذب الكذب فيحرم بها رزقه، قيل: وكيف يحرم رزقه؟ قال: يحرم بها صلاة الليل فإذا حرم صلاة الليل حرم الرزق».

وعنه عليه السلام أيضاً أنه قال فى ضمن حديث ...: « ووُسّع عليه فى معيشته».

كما روى عن النبى الأكرم عليه السلام أنه قال إنها «بركة فى الرزق».

الثانى عشر: حسن الخلق، وهذا ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام، فقال: «صلاة الليل تحسن الوجه وتحسن الخلق »....

ولعل من أسباب ذلك أن صلاة الليل تدفع المصلى إلى الخروج من العالم الضيق الذى نعيش فيه لينطلق ويعيش معادلات أخرى واسعة، فيكون كذاك الشاب الذى نقل عنه أنه خطب إبنة الملك، فاشترطت عليه أن يصلّى صلاة الليل أربعين ليلة، وبعد تمام الأربعين بعثت إليه تسأله عن السرّ وراء عدم تقدّمه لخطبتها، فأجاب أنه عشق ابنة الملك حينما كان قلبه فارغاً، ولكنه الآن بعد صلاة الليل قد امتلأ قلبه بحبّ آخر.

فحينما يحلّق الإنسان فى تلك العوالم، فإن نمط تفكيره وأسلوب كلامه وطريقة عيشه وتعامله مع الآخرين تتغير دون شك.

إن من يفكّر فى رضوان الله تعالى وفى الآخرة وفى الجنة والنار سوف لا يظلم أحداً ولا يتكبر على أحد، بل قد يتحوّل إلى ولىّ من أولياء الله الذين هم أكثر الناس تواضعاً، وسوف يترفع على المعادلات المادية الحقيرة.

الثالث عشر: قضاء الدين، فعن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال عن صلاة الليل بأنها تقضى الدين.

الرابع عشر: إزالة الهم، فعن الصادق عليه السلام: «وتذهب بالهم».

فإذا تعالى المرء عن تفاهات الدنيا وعاش ضمن معادلات الآخرة، زالت همومه الدنيوية.

الخامس عشر: جلاء البصر، كما ذكر ذلك الإمام الصادق عليه السلام حيث قال: «تجلو البصر».

السادس عشر: إن صلاة الليل تجعل البيت بيتاً نورانياً، فقد روى عن الصادق عليه السلام: «أن البيوت التى يصلّى فيها بالليل بتلاوة القرآن ولعل الباء (فى قوله عليه السلام بتلاوة القرآن) هى باء المعية تضىء لأهل السماء كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض».

السابع عشر: أنها سبب حبّ الملائكة، كما قال رسول الله عليه السلام: «صلاة الليل مرضاة الرب وحب الملائكة».

الثامن عشر: أنها سبب «نور المعرفة».

التاسع عشر: أنها سبب «راحة الأبدان».

العشرون: انها عبادة يكرهها الشيطان ففى الحديث الشريف «.. وكراهية الشيطان».

الحادى والعشرون: أنها «سلاح على الأعداء».

الثانى والعشرون: أنها سبب «إجابة الدعاء».

الثالث والعشرون: أنها سبب «قبول الأعمال».

الرابع والعشرون: انها سبب إطالة العمر، إذ قال الإمام الرضا عليه السلام فى حديث ذى تفاصيل: «ومدّ له فى عمره».

الخامس والعشرون: أنها تعطى الهيبة لمن يؤدّيها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وضع الله تعالى خمسة أشياء فى خمسة مواضع... والهيبة فى قيام الليل».

وهناك حوالى خمس وعشرين فائدة أخرى لصلاة الليل مذكورة فى الكتب المفصلة.

(كلمة أخيرة)

تارة يضع الانسان خارطة مادية متقنة للوصول الى أهدافه، إلا أن الذى ينبغى أن نعلمه أن هناك أشياء أخرى وراء الخرائط المادية، وهى ما يمكن تسميته بالتوفيق الالهى، ولعل صلاة الليل من أقوى العوامل التى تمهّد للوصول إلى ذلك التوفيق.

لقد شهد التاريخ نماذج من الشخصيات ارتقوا مقاماً سامياً بسبب التوفيق الالهى، منهم المقدس الأردبيلى، ?كما شهد نماذج مقابلة كأحد أصدقائه الذى كان ينشغل حتى الصباح بالكتابة والمطالعة دون أن يهتمّ بما كان يقوم به المقدّس الأردبيلى من الصلاة والعبادة، إلّا أنه لم يبلغ ما بلغه المقدس الأردبيلى من المقام والفهم والمنزلة الرفيعة.

وكذلك الأمر بالنسبة لصاحب (حاشية المنطق) الملا- عبد الله الذى ذكروا عنه كرامات وقد احتلّ كتابه هذا الموقع المتميز فى الحوزات العلمية بينما هناك شخص آخر كتب كتاباً فى المنطق وكانت الحسابات المادية قد استولت على فكره، وقد نقل أنه كان يغمض عينيه لدى الأذان ويذكر الله تعالى ويقول:

«ان الله تعالى يقول?: وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِى ?وقد ذكرت الله»

ثم كان يعود إلى التأليف دون أن يؤدى الصلاة المفروضة، ولكن لم يبق أثر لكتابه، بينما حاشية الملا عبد الله جُعلت فيها البركة ونال صاحبها التوفيق.

وقد نقل أحد رجال الدين أنه قرّر ختم القرآن الكريم وإهداء ثواب ذلك للإمام الرضا عليه السلام، فى شهر رمضان المبارك، ولكنه ما ان قرأ خمسة عشر جزءاً فى النصف الأول من الشهر حتى توالت عليه المشاغل، فأعاقته عن إتمام القراءة، وحينما أنجز مشاغله وجد نفسه فى أخريات شهر رمضان المبارك، فعزم على الذهاب إلى مرقد الإمام الرضا عليه السلام ليقدّم اعتذاره عن إتمام الختمة.

ولكنه فى طريقه إلى الحرم الطاهر مرّ على أحد العلماء، فقصّ عليه قصة مجيء العلامة الأمينى إلى مدينة مشهد ليبقى عند مرقد الإمام الرضا عليه السلام وليصلّى كل ليلة من ليالى شهر رمضان ألف ركعة، وبتمام شهر رمضان كان قد أتمّ ثلاثين ألف ركعة أهداها للإمام الرضا عليه السلام، فخرج رجل الدين وقد اعتراه الخجل لموقفه فأكمل ما فاته من ختم القرآن الكريم فى الليالى الأربع الأخيرة من شهر رمضان.

وعلى كل حال: فلعلّ هذا التوجه والانقطاع كانا من اسباب توفيق العلامة الامينى ?لكتابة موسوعة «الغدير».

والخلاصة: أنه ينبغى لنا أن نعلم بأن وراء المعادلات المادية معادلات معنوية، وأن صلاة الليل إحدى العوامل المهمة فى صناعة المعادلات المعنوية.

وقد كان بعض العلماء يحرّض الإخوة المؤمنين أن يصلّوا على الأقلّ الركعات الثلاث الأخيرة أو الركعة الاخيرة منها (الوتر) من صلاة الليل، ومن المعلوم أن ذلك لا يكلّف سوى دقائق معدودة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن لايحرمنا من التوفيق لقيام الليل ونيل البركات التى تحصل من أداء هذه العبادة العظيمة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المراتب المعنوية

المراتب المعنوية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين
ينقسم بحثنا الذى سنتعرض له بعون الله تعالى إلى قسمين، يدور الأوّل منهما حول المعنوية والتوجّه المعنوى، بينما نتناول فى القسم الثانى من البحث قضية تحويل القوة المعنوية إلى قوة مادية.

المراتب المعنوية

أمّا البحث الأوّل، فالمعنوية حقيقة مشككة حسب اصطلاح العلماء أى ذات مراتب، وينبغى علينا السعى لبلوغ هذه المراتب بقدر الإمكان.
المرتبة الأولى من المراتب المعنوية هى فعل الواجبات وترك المحرمات، وهى مرتبة مهمة جداً، وإن كان بلوغها أمراً صعباً.
لقد توجّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالسؤال إلى رسول الله عليه السلام عن أفضل الأعمال فى شهر رمضان، فأجاب عليه السلام: «الورع عن محارم الله».
وتنبع صعوبة الورع من أنّ كثيراً من المحرمات متشابكة مع حياة الإنسان، كالغيبة مثلاً، فإنّ احتمال سماعها يواجه المرء أينما ذهب.
فعدم الاغتياب وعدم الاستماع إلى الغيبة طيلة عمر بأكمله ليس بالأمر الهيّن بل يتطلّب عزيمة قوية، وهكذا الحال مع كثير من المحرّمات.
وعلى كلّ فترك المحرمات ومثله الإتيان بالواجبات أمر عظيم، وهو يمثّل المرتبة الأولى من المراتب المعنوية.
أمّا المرتبة الثانية فهى فعل المستحبات والفضائل، وترك المكروهات والرذائل إضافة إلى فعل الواجبات وترك المحرمات .
يُنقل أنّ المحدّث القمى ?مؤلف كتاب «مفاتيح الجنان» قد عمل بكل ما ورد فى كتابه.
كما يُنقل أن السيد عبد الهادى الشيرازى رحمة الله عليه سئل عن الميرزا مهدى الشيرازى رحمة الله عليه فقال: «عشت معه خمساً وعشرين سنة أو نحو ذلك فلم أرَ منه مكروهاً قط».
وعندما سُئل الميرزا مهدى عن السيد عبد الهادى أجاب بمثل ذلك.
وهذا يدلّ على الروح المعنوية العالية التى كان هذان المرجعان الكبيران يتمتعان بها.
إن أحدنا قد يرتكب فى اليوم الواحد عشرين ذنباً أو أكثر، فالغيبة ذنب، والاستماع إليها ذنب، والتهمة ذنب، والنظر إلى الأجنبية ذنب، وسوء الخُلق ببعض مراتبه ذنب، والتعامل مع الزوجة بغير المعروف ذنب، قال الله تعالى?: وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.?
فلو أن أحداً استطاع أن يتجنب المحرمات ويأتى بالواجبات، وأن يتجنب مع ذلك ما أمكنه من المكروهات ويأتى بما وسعه من المستحبات، فقد بلغ مرتبة رفيعة وفاز فوزاً عظيماً.
لقد سخّر الله تعالى الجن والإنس والطير لسليمان (على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام) واستجاب دعاءه إذ قال?: رَبِّ اغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنبَغِى لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِى ?فقال بعض رعيّته: «هل رأيتم ملكاً أعظم من هذا؟ فنادى ملك من السماء: لثواب تسبيحة واحدة أعظم مما رأيتم».
ولا عجب فى ذلك فإن ملك سليمان عليه السلام زال ولم يبق منه شىء، أما قول: «سبحان الله» فباق على مرّ الدهور والأيام.

وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك فإن تسبيحة واحدة أعظم من ملك سليمان حقاً. فلنستفد من أعمارنا الغالية إذاً، ولا نبيعها بالتافه، ولنستثمر كل فرصة من أجل كسب المزيد.

عندما كان السيد الوالد رحمة الله عليه يدخل المطبخ ويرى أشخاصاً مشغولين بالطبخ أو إعداد الطعام يبادرهم بالقول:

«لماذا تتركون أوقاتكم تذهب هدراً؟ استفيدوا من أوقاتكم واذكروا الله تعالى وصلوا على محمد وآل محمد، وأنتم مشغولون بعملكم؟»

وهذه هى المرتبة الثانية من المراتب المعنوية.

أما المرتبة الثالثة فصعبة جداً وبعيدة المنال، ولكن لا بأس بالتعرّف عليها لنعرف جانباً من مراتب أولياء الله تعالى.

تتمثّل المرتبة الثالثة من المراتب المعنوية فى ترك المباحات؛ فكيف يُتصور ذلك؟ وهل يمكن للمرء أن يترك المباح كالنوم والأكل والشرب والمشى مثلاً؟

نعم، هكذا كان أولياء الله تعالى الكبار، فإنهم كانوا يفعلون كل شىء من أجل الله سبحانه، وكما قال النبى الأكرم عليه السلام لأبى ذر رحمة الله عليه: «يا أبا ذر ليكن لك فى كل شىء نية حتى فى النوم والأكل».

فلو نويت أن تفعل مباحاً من المباحات لئلاّ تقع فى الحرام، فإن عملك هذا يعدّ عبادة وتؤجر عليه، وإذا أردت أن تنام ليلاً وكانت نيّتك أنك تنام لكى تتقوى على العبادة، فإن نومك هذا سيحسب لك عبادة تثاب عليها.

يقول الله تعالى مخاطباً أنبياءه عليهم السلام?: يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، ?وكأنه تعالى جعل أكل الطيبات مقدّمة للقيام بالأعمال الصالحة.

ونقرأ فى دعاء كميل: «حتى تكون أعمالى وأورادى كلها ورداً واحداً وحالى فى خدمتك سرمداً».

اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل

إن لدينا اليوم الطاقة والعمر، ولكنهما سينفدان يوماً ما، ولا نستطيع حينئذ أن نضيف حتى حسنة واحدة؛ «فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل»، فلنستثمر أعمارنا إذاً بكسب المزيد ولنحاول بلوغ المراتب المعنوية العالية بفعل المستحبات والمندوبات والتوجه إلى الله تعالى.

وهذه الحالة المعنوية كانت فيما مضى أقوى وأوسع نطاقاً، لكنها ضعفت اليوم، ولم نعُد نسمع تلك التضرّعات والأدعية المنطلقة فى جوف الليل بذلك المقدار!

لم يكن آباؤنا الأبرار يتركون صلاة الليل حتى فى الليالى الباردة، وقد كان بعض أهالى كربلاء المقدسة مثلاً يخرجون قبل أذان الفجر لأداء صلاة الليل فى جوار سيد الشهداء عليه السلام وعند باب صحنه المبارك قبل أن تُفتح الأبواب، لا تثنيهم حرارة ولا برودة ولا فراش وثير.

آثار الحالة المعنوية

وكان لتلك الحالات الروحية والمعنوية آثار كبيرة، فللمعنويات آثار دنيوية وأخروية وروحية ونفسية وبدنية ومادية، ومن تلك الآثار أنّ الله تعالى قد يجعل مقاليد الكون بيد المتحلى بها، ففى الرواية: «يابن آدم أنا أقول للشىء كن فيكون أطعنى فيما أمرتك أجعلك تقول للشىء كن فيكون».

ينقل آية الله الكوكبى وهو من كبار علماء الحوزة العلمية بقم المقدسة بعض الحالات المعنوية التى امتاز بها والده، ?وكذلك بعض الآثارلاحظها نتيجة لذلك؛ يقول:

«لم يكن والـدى يأكل من أىّ طعام فيه شـبهة، ولو دُعى لضـيافة ولم تحصل له الطمأنينـة بحلية الطعام المقدم يأخذ معه قليلًا من الخبز يلفّه فى قطعة قماش نظيفة يكتفى به أو مع قليل من الإدام، ولا يتذوق من ذلك الطعام المشبوه».

أما عن آثار ذلك فيقول السيد الكوكبى أيضاً:

«كنت أيام طفولتى أفكر فى أمر والـدى ولِم لا يتناول من كل طعام يُقـدم له حتى كنت معه فى سـفر، وعنـدما حان وقت الأذان طلب والدى من سائق السـيارة أن يتوقف لأداء الصـلاة المفروضة لكن السائق لم يعتنِ وواصل سـيره، ثم بلغنا موضع ماء آخر، وكرر والدى الطلب ولم يلتفت السائق أيضاً، حتى بلغنا موضـعاً لم يكن بعـده ماء إذا تجاوزناه، وهنا أصـرّ والـدى على السائق، ولم ينفع الكلام معه أيضاً، واستمر فى سيره ولكن لاحظنا فجأة أن السيارة توقفت عن المسير، فنزل والدى ونزلنا وصلّينا ولم تتحرك السيارة إلا بعد أن أتم والدى صلاته وعاد وركبها».

وهكذا كان أولياء الله تعالى الكبار حيث إنه سبحانه كان يُسخِّر لهم الكون.

ونقل السيد الكوكبى قضية أخرى عن والده تبيّن آثار الحالة المعنوية التى كان عليها؛ ?يقول:

«بعـد بضع سـنوات من وفاة والـدى قمنا بنقل جثمانه إلى العراق ليُدفن عند العتبات الطاهرات، وعندما كُشف عن الجنازة على الحدود كـان المرحوم وكـأنه نـائم وليس ميتـاً إذ لم يظهر عليه أىّ تغيير، فقـد كـان جسـده غضـاً طرياً، وتعجب مأمور الجمارك وقال لنا: إن جوازه يقول إنه متوفى منذ أربع سنين ولكن يبدو أنه قد مات منذ قليل».

فهذا جانب من الحالات المعنوية وآثارها فى الحياة الدنيا.

تحويل الحالة المعنوية إلى قوة مادية

أمـا الموضوع الثـانى أى تحويـل القوة المعنويـة الموجودة فى مجتمعنـا إلى قوة ماديـة؛ فلنقـدم له بمثـال يـذكره علماء الاقتصاد فإنهم يقولون: إن البناء الذى نراه اليوم قائماً على قواعده كان فى يوم من الأيام قوة معنوية فى عضـلات العمّال الذين قاموا بتحويلها إلى هذا البناء المشيد.

فهـذا البناء هو نفسه تلك الطاقـة، لكنها أصـبحت اليوم متجسـدة، ولو أن العمال لم يعملوا لبقيت الطاقـة فى حالـة القوة ولم تصل إلى مرحلة الفعلية.

وكذلك الحال مع المجتمع، ففى مجتمعنا الإسلامى طاقات معنوية هائلة مع اختلاف فى المراتب طبعاً.

هـل سـمعت قصـة عمرو بن الجموح الصـحابى الأـعرج الـذى كـان عازمـاً على الجهاد رغم أنه مرفوع عنه كما هو واضـح فى الكتب الفقهية ومع ذلك روى أنه:

«لمـا كان يوم أحـد وكان له بنون أربعـة يشـهدون مع النبى عليه السـلام المشاهـد أمثال الأسـد أراد قومه أن يحبسوه وقالوا أنت رجل أعرج ولا حرج عليك وقد ذهب بنوك مع النبى عليه السـلام. قال: «بخ يذهبون إلى الجنة وأجلس أنا عندكم؟ فقالت هند بنت عمرو بن حرام امرأته: كأنى أنظر إليه مولّياً قـد أخذ درقته وهو يقول: اللهم لا تردنى إلى أهلى، فخرج ولحقه بعض قومه يكلّمونه فى القعود فأبى، وجاء إلى رسول الله عليه السـلام فقال: يا رسول الله إن قومى يريـدون أن يحبسونى هـذا الوجه والخروج معك، والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه الجنة، فقال له: أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك فأبى، فقال النبى عليه السلام لقومه وبنيه: لا عليكم أن لا تمنعوه لعل الله يرزقه الشهادة فخلّوا عنه فقُتل يومئذ شهيداً».

فأية طاقة معنوية هذه التى تدفع بصاحبها إلى الشهادة؟! إن هذه الطاقة موجودة فينا ولكن بدرجات متفاوتة، ولو استطعنا أن نحوّل هذه القوة المعنوية إلى قوة مادية لاستطعنا أن نحقق الكثير.

نقل السيد العم حفظه الله تعالى أن رجلًا لا يملك شيئاً من متاع الدنيا يُعتدّ به، وفّق لبناء ثمانين مسجداً؛ كيف؟

كان هـذا الرجل أينما يذهب يلاحظ هل تحتاج المنطقة إلى مسـجد أو لا، فإذا تبيّن له الاحتياج يبدأ بذكر ذلك لكل مَن يقابله سواء كان يعرفه أم لا،وسواء كان فى السيارة أو الطائرة، أو العرس أو المأتم، أو ضيافة يُدعى إليها، أو مجلس عام أو خاص، لا فرق...

كان يقول لجليسه إن المنطقـة الفلانية ليس فيها مسـجد، فهلّا شاركت فى بنائه؟ فكان يتّفق أن يكون من بين مَن يذكر لهم ذلك مَن لـديه القـدرة الماديـة والـدافع الـدينى فكان يصـغى إليه ويسـتجيب له، وربما أصـغى له واحـد من بين العشـرات وربما المئات الـذين يفاتحهم بالأمر، ولبى طلبه، فتبرع ببناء المسجد فى المنطقة التى أخبر بافتقارها له، أو شارك فى ذلك.

ولقد نجح هذا الشـخص فى بناء ثمانين مسـجداً بهذه الطريقة، وكثير من المساجد التى تقع فى طريق طهران مشهد، وطهران خوزستان بُنيت بجهود هذا الرجل!

أفلا يكون هذا الرجل حجة علينا يوم القيامة؟

بمـاذا نعتـذر إلى الله تعـالى؟ هـل نقول إننـا لم نملك المال الكافى لكى نبنى مسـجداً؟ ألا يقال فى جوابنا إن هـذا الرجل بنى ثمانين مسـجداً مع أنه كان رجلاً عادياً ولم يكن شخصـية اجتماعيـة بارزة ولم يكن يملك أية قوة، سوى همّه وهمّته فى هذا الطريق؟ أفتبقى لنا حجة بعد ذلك؟

إذن كل منا يستطيع بإذن الله تعالى أن يقدم خدمةً حتى الشاب ذى الخمسة عشر ربيعاً لكن الأمر بحاجة إلى همة وعزيمة وتوكل على الله سبحانه، والناس مستعدون، لأن مَن هم على استعداد لتقديم دمائهم فى سبيل الله تعالى أيبخلون ويقصّرون فى دعمك لبناء مسجد مثلاً؟!

إن اسـتطعت أن تبنى مسـجدا فافعل، وإن اسـتطعت أن تنشـر كتاباً فبادر أيضاً فهو عمل عظيم وهو من الباقيات الصالحات، وكم له من الأثر.

ينقل أحد الإخوة المؤمنين أن رجلاً سورياً كانت له امرأة فلسـطينية تكره الشيعة وترفض أن يحدثها زوجها عنهم وتأبى أن تقرأ كتبهم أو الكتب الـتى تتحـدث عنهم، حـتى كـانت إحـدى الليـالى حين أتى الزوج بكـتيّب ليصفّ حروفه على الكومـبيوتر ولكنه لم يسـتطع لعارض ألمّ به، فطلب من زوجته أن تصفّه بدلاً عنه إن استطاعت ثم أخلد إلى النوم.

وكان الكتيّب يدور حول عاشوراء وما جرى فيها، وقد شرعت المرأة بإنجاز العمل باعتباره شغلاً يتقاضون عليه أجراً.

وفى الصـباح فوجئ الزوج عنـدما رأى عينى زوجته محمرتين، وعنـدما سألهـا عن ذلـك تبين له أن زوجته كانت منـذ أول الليل حتى الصباح تطالع قضايا عاشوراء وهى تطبعها وتبكى.

حقاً إن قضايا عاشوراء مشجية جداً، إنها مشجية لنا نحن الذين سمعناها منذ الصغر فكيف بالنسبة للآخرين؟! قالت الزوجة:

«لم أكن أعلم بكلّ هذا الظلم الذى لَحِق بأهل البيت عليهم السلام، وإننى قد تشيعت على أثر قراءتى لهذا الكتيّب».

هكذا يفعل كتيب صغير إذا وجد الأرضية المناسبة.

فلنشـمّر عن سواعـد الجـد ولنسعَ فى تأليف الكتب وطبعها ونشـرها، ولنسعَ فى سائر الأعمال الخيرية فإنها ذخيرة لآخرتنا ووسـيلتنا التى نرجو بها شفاعة نبينا وأئمتنا وسيدتنا الصديقة الكبرى سلام الله عليهم أجمعين.

ولنصـمم على تحويـل القوة المعنويـة العظمى التى تتوفر فى أمّتنا إلى قوة ماديـة فى طريق خدمـة الإسـلام والتشـيع وأهل البيت عليهم السلام.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الآخرة خير وأبقى

الآخرة خير وأبقى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

قال الله تعالى فى كتابه الحكيم?: وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى.?

مقدمة

ثراء النص القرآنى

ثراء النص القرآنى

هناك ظاهرة فى كتاب الله التدوينى (القرآن الكريم) جديرة بالبحث والتأمّل، كما هى كذلك فى كتابه التكوينى جلّ وعلا، ألا وهى ظاهرة اختزال معان كثيرة فى كلمات قليلة.

هل اتفق لك أن بلغت ينبوع ماء صغير فى صحراء واسعة، تراه صغيراً فى ظاهره، ولكن عندما تبحث وتنقّب قد تجد تحته بحراً عظيماً من الماء؟!

هكذا هى كلمات الله فى القرآن الكريم، تنطوى على بحور من المعارف والحقائق.

وهذه الآية الكريمة التى تصدرت البحث لا تزيد على بضع كلمات ولكنها تبيّن طبيعة هذه الدنيا كلها وطبيعة النشأة الآخرة، وتُجرى مقارنة دقيقة بينهما.

۱. الآخرة أبقى من الدنيا

من الفروق الرئيسية التى ذكرتها الآية الكريمة بين الدنيا والآخرة أن الآخرة أبقى من الدنيا، وهنا لابد من بيان أن الحقائق على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: الحقائق المحدودة: ككل الأمور المادية، فالدار محدودة بجدرانها، والبلدان محدودة بجيرانها، وهكذا.

النوع الثانى: الحقائق اللامتناهية بقول مطلق، ومثالها معلومات الله تعالى.

لقد خمّن العلماء أن معلوماتنا نحن البشر لو جُمعت من بداية حياتنا إلى نهايتها فإنها تبلغ تسعين مليون مجلداً لكل فرد منا، أما الله تعالى فليس لعلمه حد؛ لأنه تعالى غير محدود، وعلمه عين ذاته، فعلمه غير محدود أيضاً.

النوع الثالث: الحقائق اللامتناهية على نحو اللاتناهى اللايقفى، ومثالها الدار الآخرة.

الفرق بين النوعين الأخيرين أن النوع الثالث محدود بالفعل ولكنه غير محدود بالقوة كالأعداد؛ فإنها وإن كانت بالفعل محدودة بالمعدودات الموجودة، ولكنها لا تقف عند حد معيّن فى التصوّر أما النوع الثانى فهو لامتناه بالفعل.

والآخرة من النوع الثالث، فهى باقية ما شاء الله سبحانه.

لقد روى عن النبى عليه السلام أنه قال: «وإنا خلقنا وإياكم للبقاء لا للفناء».

إن عدد السنين التى سنبقى فيها فى الآخرة غير متناه كما أن العدد نفسه غير متناه أيضاً، فإذا استطعت أن تقف بالعدد عند حد، فقف عند ذلك على سنى الآخرة، إذن نحن باقون فى الآخرة بإبقاء الله سبحانه لنا، أما الله سبحانه فهو باق بذاته.

مهما ذهب بك الخيال ومهما استطعت أن تضع أصفاراً فى يمين عدد ما، فإن الأمر لا يتوقف عند حد، بل يمكن أن تضيف أيضاً، وكذلك حال البقاء فى الآخرة. أما الدنيا فمحدودة ولابد من يوم نرحل منها جميعاً، بل ما أسرع أن يرحل أحدنا منها!

كان السيد الوالد ?إذا شاهد إعلاناً بوفاة أحد، يقول: «سيأتى يوم يرى الآخرون صورنا فى إعلان كهذا».

وهكذا ينتهى كل شىء، لتبدأ مسيرة الآخرة.

۲. الآخرة خير من الدنيا

الميزة الأخرى للآخرة أنها خير من الدنيا. ولكى تتضح الفكرة نأتى بمثال:

إن من الشهوات القوية عند الإنسان فى هذه الحياة شهوة الملك والحكم، حتى لقد عُدّت إحدى العوامل المهمة فى حركة التاريخ البشرى؛ فهى التى كانت وراء كثير من الحروب التى ربما غيّرت وجه التاريخ. هاهنا نسأل: ما هو أقصى ما يمكن لشخص أن يحققه فى هذا المجال؟ إنه بلا شك لا يتعدى حكم الكرة الأرضية، وهل هى بالقياس إلى هذا الكون المترامى إلا كذرة أو دونها؟!

هذا عن مساحة الحكم، فما هى أقصى المدة الزمنية التى يمكن لإنسان أن يحكم فيها إن استطاع؟ لا شك أن ذلك أيضاً لا يتجاوز بضعة عقود، لا تشكل شيئاً من عمر الدنيا فكيف بالآخرة! ناهيك عما سيتخلل هذا الحكم من منغصات ومكدرات ومحن وهزائم وقلق دائم خوف الزوال والانتقال إلى الغير! ولذلك ورد فى المأثور أن الرئاسة أولها ملامة، وأوسطها ندامة، وآخرها عذاب يوم القيامة.

هذا حال ملك الدنيا، فتعال الآن لنسمع عن ملك الآخرة، يقول الله تعالى?: وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا.?

ولكى يتضح لنا الفرق أكثر يكفى أن نعرف أن الله تعالى عبّر عن الدنيا ونعيمها بقوله سبحانه?: قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ.?

ولقد روى ما مضمونه أن جبرئيل عليه السلام طلب من الله تعالى أن يريه أبعاد الجنة، فقال الله له: طر، فطار جبرئيل فوق الجنة واستمر يطير ثلاثين ألف عام، فضعف عن الطيران، وطلب من الله المدد، وأتاه المدد الإلهى فطار ثلاثين ألف أخرى، وتعب فطلب المدد وأتاه، وهكذا حتى ثلاثين ألف مرة، فى كل منها يطير ثلاثين ألف عام (أى ما مجموعه تسعمئة مليون عام)، وبعد كل هذه المدة الطويلة إذا بحورية تخاطبه: إنك منذ بدأت بالطيران وحتى الآن لازلت تطير فوق جنتى! فعجب جبرئيل منها وسألها: ومن تكونين؟ فأجابت: حورية أعدّنى الله تعالى لمؤمن واحد من المؤمنين!

فهل يعد ملك الدنيا بعد هذا شيئاً إذا ما قيس إلى هذا الملك وما فيه من الخدم والحشم والحوريات التى لو أشرفت إحداهن على أهل الدنيا لماتوا بأجمعهم من رؤية جمالها! فكيف إذن بالمؤمنات ومقامهن أعلى من الحور العين؟! وهن المقصودات من قوله تعالى: ?فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ.?

كما أنه ليس فى ملك الجنة كدر ولا قلق ولا خوف من زوال النعمة.

أفلا تكون نعم الدنيا بالنسبة إلى نعم الآخرة بعد هذا كقطرة بالنسبة إلى بحر أو أقلّ؟!

وإذا كان الأمر كذلك، أفليس الخاسر الحقيقى من يخسر الآخرة؟

قال الله تعالى فى كتابه الكريم?: إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ.?

أرأيتم ماذا فعل صدام من أجل حوالى ثلاثة عقود من الحكم والرئاسة؟ وكم سيأخذ معه من أهليه ومن تبعه إلى نار جهنم؟!

أجل هذه هى الخسارة التى ما بعدها خسارة.

وأعظم من كل النعم فى الآخرة شعور المؤمن برضا الله تعالى عنه، ترى كم سيسرّ أحدنا إذا علم أن أباه راض عنه، فكيف سيكون الإحساس برضا الله تعالى؟!

وفى قضية معروفة لا مجال لذكرها الآن، قال الإمام الحجة عليه السلام لأحد علمائنا وهو طه نجف: ?أنت مرضىّ عندنا.

ففى يوم القيامة يشعر المؤمنون بلذة رضوان الله وهى لذة تفوق كل لذة وكل ما سواها من نعم الجنة؛ يقول الله تعالى?: وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وقد روى عن الإمام على بن الحسين عليه السلام قال: «إذا صار أهل الجنة فى الجنة ودخل ولىّ الله إلى جنانه ومساكنه واتكأ كل مؤمن منهم على أريكته وحفّته خدامه وتهدّلت عليه الثمار وتفجّرت حوله العيون وجرت من تحته الأنهار وبسطت له الزرابى وصففت له النمارق وأتته الخدام بما شاءت شهوته من قبل أن يسألهم ذلك.. وخرج عليهم الحور العين من الجنان فيمكثون بذلك ما شاء الله

...ثم إن الجبار يشرف عليهم فيقول لهم: أوليائى وأهل طاعتى وسكان جنتى فى جوارى! ألا هل أنبئكم بخير مما أنتم فيه؟ فيقولون: ربنا وأى شىء خير مما نحن فيه؟ نحن فيما اشتهت أنفسنا ولذت أعيننا من النعم فى جوار الكريم. قال: فيعود عليهم بالقول. فيقولون: ربنا نعم فأتنا بخير مما نحن فيه. فيقول لهم تبارك وتعالى: رضاى عنكم ومحبتى لكم خير وأعظم مما أنتم فيه، قال: فيقولون: نعم يا ربنا رضاك عنا ومحبتك لنا خير لنا وأطيب لأنفسنا».

وقد نقل السيد الوالد عن السيد الميلانى أنه نقل عن أستاذه الشيخ مرتضى الطالقانى أنه فتح عينيه وهو فى حالة الاحتضار (وهذه من نعم الله حيث يعود المحتضر إلى وعيه قبل أن يفارق الحياة، لعله يوصى بوصية أو يستغفر الله تعالى فى اللحظات الأخيرة من عمره) وقال لمن حوله:

«لو علم المؤمن ما أعدّه الله تعالى له فى الآخرة لما عوّض نصف ساعة من الآخرة بكل الدنيا».

ثم أغمض عينيه وتوفى.?

تركيز القرآن على موضوع الآخرة والعيش فى أجوائها

من الأمور المثيرة للعجب أنّا عندما نطالع التوراة المتداولة اليوم نرى غلبة الطابع المادى عليها ولا نرى ذكراً للآخرة على ما نقل إلا فى آية واحدة تشير إلى الموت والحياة وأن الرب يحيى ويميت!

وفى الإنجيل المتداول فعلياً هنالك ذكر للآخرة إلا أنه قليل.

أما القرآن الكريم فإن الطابع العام فيه هو تذكير المؤمنين بالآخرة، ونقلهم للعيش فى أجوائها، حتى نقل عن بعض الأعلام أن ثلثى آيات القرآن تدور حول الآخرة، أى أكثر من ألفى آية.

أما كيف نعيش أجواء الآخرة، فإن ذلك يتحقق من خلال أمور، منها:

المواظبة على قراءة القرآن الكريم ولو بمعدل صفحة فى اليوم الواحد.

وكذلك مطالعة نهج البلاغة وأحاديث أهل البيت عليهم السلام، فهى الأخرى تنقل الفرد إلى عوالم الآخرة، قال ابن أبى الحديد المعتزلى عن إحدى خطب الإمام فى نهج البلاغة حول الآخرة:

«وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من ألف مرة ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندى روعة وخوفاً وعظة وأثّرت فى قلبى وجيباً وفى أعضائى رعدة ولا تأمّلتها إلا وذكرت الموتى من أهلى وأقاربى وأرباب ودى وخيلت فى نفسى أنى أنا ذلك الشخص الذى وصف عليه السلام حاله».

ومن الأمور الأخرى التى تزيد من ارتباط الإنسان بالآخرة وتقلل من اهتمامه وتعلقه بالدنيا، تشييع الجنائز وزيارة القبور؛ فإن الإنسان عندما يذهب إلى المقابر ينتقل من عالم الجلبة والضوضاء إلى عالم السكون والهدوء ويبدأ يفكّر فى حال من سبقوه وكان فيهم من هو أعقل منه وأكبر وأعظم وأكثر دهاءً وحيلة، ومع ذلك لم تنفعه إمكاناته وصار رهين القبر!

ومما ينقل عن أحوال الجد ?أنه كان يذهب إلى المقابر ويدخل قبراً مفتوحاً ثم يضطجع ويتصور نفسه ميتاً، فيبدأ الطلب من الله ويقول?: رَبِّ ارْجِعُونِ ?لَعَلِّى أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ، ?ثم يجيب نفسه بالقول: كلا لقد أعطيناك الفرص فضيعتها! ويظل يلحّ حتى يأتيه الخطاب: قد أرجعناك يا مهدى، قم واستأنف العمل.

ومن الأمور الأخرى النافعة فى مجال تذكّر الآخرة النظر إلى الدنيا على حقيقتها وأنها جسر وقنطرة للآخرة فقط، فإذا كنت تنوى الوصول إلى مكان ما وكان فى طريقك قنطرة لابد من عبورها، فهل ستفكّر فى لون القنطرة مثلاً، أم لا تفكر سوى فى اجتيازها بلوغاً للهدف المنشود؟ هكذا هو حال الدنيا بالنسبة للآخرة.

ومما يذكّر الإنسان بالآخرة مطالعة أحوال الصالحين والتائبين وكيف أعرضوا عن هذه الدنيا الفانية واتجهوا نحو الآخرة الباقية.

فإبراهيم بن أدهم مثلاً ترك الملك دفعة وهام بوجهه فى الصحراء، ولم يكن ذلك باستطاعته لولا أنه حقّر الدنيا وملكها فى نظره!

ويروى فى أحوال السيد المسيح (على نبينا وآله وعليه السلام) أنه التقى حطاباً فقيراً، فحوّله فى قصة طويلة ملكاً، فقال الحطّاب: لم لا تصنع لنفسك مثل هذا؟ فأجابه السيد المسيح عليه السلام: شُغلنا عن ذلك بما هو أغلى!

عندما أثار موقف الحر بن يزيد الرياحى الشجاع والفريد من نوعه، عجب من شاهده، قال فى جوابه: إنى أخيّر نفسى بين الجنة والنار، ووالله ما كنت لأختار على الجنة شيئاً!

تخلى أحد ولاة بنى أمية عن الولاية وزهد فى الدنيا وتاب إلى الله تعالى، حتى أنه تخلى عن ثيابه، ليتطهّر من المال الحرام، وعندما دخل عليه أحد أصحابه حدّثه من وراء الباب، ولم يلبث قليلاً حتى مات!

عندما يعيش الإنسان أجواء الآخرة يتحوّل تحوّلاً عجيباً، ويترفّع عن سفاسف الدنيا ويسمو نحو آفاق الآخرة الرحيبة.

مسؤوليتنا ثقيلة فى هذا المجال

كان السيد الوالد ?يؤكّد على الخطباء الكرام أن لا ينسوا هذا الموضوع المهم أبداً، وأن يكون التذكير بالآخرة أحد خمس خطب يخطبونها، لأن التذكير بالآخرة هو الطريق الوحيد لتحريك الإنسان وتخليصه من الانشداد إلى الأرض.

إن الموعظة والتذكير بالآخرة كانا جزءاً ثابتاً من مادة المنبر فى السابق، وينبغى لهذه الحالة أن تعود، ليس من على المنابر المتعارفة وحدها، بل من خلال كل منبر إعلامى ممكن، وهذه الحاجة غدت اليوم أكثر ضرورة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار حالة الشباب المسلم المتأثر بالغرب لاسيما الذين يعيشون منهم فى بلاد الغرب، فكيف سيقاومون كل تلك الإغراءات؟ لا شك أنهم لا يستطيعون المقاومة إلا إذا كان عندهم إيمان حقيقى بالآخرة.

وعلى كل حال يجب أن نستثمر هذه الأعوام القليلة المتبقية من أعمارنا فى هذه الدنيا، والتى لا تشكل إلا جزءاً صغيراً ضئيلاً من أعمارنا الحقيقية، فما أقصر الفترة القصيرة التى نقضيها فى هذه الحياة، إذا ما قارناها بما لا نتذكره من الأعوام السابقة (فى عالم الذر)، وبالسنوات التى لا نهاية لها فى عالم الآخرة!

وما أقلّ ما نعمله من أجل حياتنا الحقيقية والخالدة!

لو أن شخصاً بنى ألف مسجد وحسينية مثلاً فسيكتشف يوم القيامة أن عمله كان قليلاً؛ لما سيرى من عظمة الدار الآخرة وأن الزاد المطلوب لها كثير كثير.

ومن هنا يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «آه آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق».

إذن علينا أن لا نقنع بالقليل من أعمالنا، بل لابد من الاستزادة قبل أن يدركنا الأجل.

نقل أن الشيخ الكعبى ?جاء إلى المرحوم الجد وقال له:

«أحمل إليك رسالة وأعتذر إليك من نقلها. فقال له الجد: قل ما هى؟ قال: رأيت الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فى عالم الرؤيا فقال لى: قل لمهدى فليستعد لسفر الآخرة».

فأخذ الجد يبكى ويقلب كفيه وهو يقول: كيف أقدم على الله ويداى خاليتان؟

لا مجاملة فى هذا الكلام، بل هو واقع يدركه أولياء الله تعالى. ألم يكتب الإمام امير المؤمنين عليه السلام على كفن سلمان - ?فيما روى عنه -: «وفدتُ على الكريم بغير زاد؟».

إننا مهما نفعل فهو قليل، وهناك سنفهم حقيقة هذا الأمر ونندم حيث لا ينفع الندم.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينبهنا من نومة الغافلين.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التوبة، القرار الشجاع

التوبة، القرار الشجاع

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

الحديث عن التوبة حديث ذو موقع متميز فى علوم عديدة، فعلى الصعيد الفقهى، يذكر صاحب (العروة الوثقى ?)هذا الموضوع فى باب أحكام الأموات باعتبار أن التوبة من الواجبات الفورية، أما فى علم الكلام؛ فيشار إلى التوبة نظراً لارتباطها بنحو من الارتباط بالمعاد، كما تُبحث التوبة فى علم الأخلاق باعتباره علماً يتناول تعديل القوى؛ القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة العقلية، ولا شك أن مبحث التوبة يرتبط عادةً بقوتين من هذه القوى، هما القوة الغضبية والقوة الشهوية، كما أن لمبحث التوبة موقعاً فى علم النفس؛ إذ يبحث علماء النفس عن التأثيرات العظيمة للتوبة فى باطن النفس الإنسانية.

نعم! إن لمبحث التوبة موقعاً مميزاً فى علوم عديدة، كما إن فيه مباحث كثيرة، غير أننا نغض الطرف عن كل ذلك، ونكتفى بالتعرض إلى مبحثين مهمين:

المبحث الأول: مفهوم التوبة.

المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها.

المبحث الأول: مفهوم التوبة

أما بالنسبة إلى المبحث الأول، وهو مفهوم التوبة؛ فيمكن القول بأن التوبة تعنى العودة إلى الله تعالى بعد الابتعاد عنه سبحانه.

وهذا الابتعاد له أنواع وصور وأشكال.. منها: الابتعاد بمخالفة أوامر الوجوب، ومنها: الابتعاد بمخالفة نواهى التحريم، ومنها الابتعاد عن الله تعالى بفعل المكروهات وترك المستحبات، وغير ذلك من أنواع الابتعاد والانحراف.

ومنذ بدء خلقة الإنسان، كان هنالك موقفان بعد الابتعاد عن الله تبارك وتعالى.

الموقف الأول: اتخذه الشيطان الأكبر إبليس الرجيم، وهو موقف الإصرار على ممارسة الذنب.. إذ الله عزّ اسمه أمره بالسجود لآدم عليه السلام، فلم يسجد ولم يمتثل الأمر الربانى، ولازال إلى هذه اللحظة مصرّاً على معصيته وسيظل كذلك حتى يوم القيامة.

وقد نقل أن إبليس رجا أحد الأنبياء ذات مرّة أن يتوسط له عند الله ليتوب عليه فنقل النبى رجاء ابليس لله تعالى، فأوحى الله اليه بأن لا مانع لديه من قبول توبة إبليس بشرط أن يؤدى السجدة التى أمر بها من قبل، ولكن هذه المرّة على قبر آدم عليه السلام، لتكون السجدة تصديقاً لتوبته، ولكن الشيطان المصرّ على ارتكاب المعصية قال لهذا النبى:

«إننى لم أسجد لآدم حينما كان على قيد الحياة، فكيف أسجد له ميتاً؟! كلا، لن أسجد له».

أما الموقف الثانى؛ فهو موقف العودة إلى الله تعالى.

وهذا الموقف مثّله القطب الثانى فى القصة، وهو أبونا آدم على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام، فهو كان قد عصى الله تعالى وغوى: ?وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى.?

أما نوع هذه المعصية، وهل أنها كانت معصية مطلقة، كما يقول بعض علماء العامة ومفسّريهم، أو كانت تركاً للاولى كما يقول آخرون، أو كانت مخالفةً لأمر إرشادى تترتب عليها آثار وضعية كما يقول فريق آخر، أو لم تكن اياً من هذه الانواع بل كانت امراً رابعاً كما ذهب اليه السيد الوالد ?فى كتاب العقائد وكتاب البيع وفى بعض الكتب الأخرى فذلك موكول الى محلّه.

وعلى أية حال؛ فإن أبانا آدم عليه السلام عاد إلى الله سبحانه وتعالى?: فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.?

فهذان موقفان كانا منذ بداية خلقة الإنسان، موقف إبليس وهو موقف الإصرار والعناد واللجاج، وموقف أبينا آدم عليه السلام وهو موقف العودة والإنابةوالاعتراف.

المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها

المبحث الثانى: تحمل متاعب التوبة ومصاعبها

ان التوبة تتضمن قدراً من التضحية، ولا ريب أن التضحية أمر صعب، لاسيما إذا كانت تمسّ مصالح الإنسان الرئيسية، فالتجار لهم مصالح رئيسية، وكذلك العلماء والحكام ولعلّ أشقّ الأعمال على الإنسان هو التضحية بهذه المصالح الرئيسية.

ولكن المؤمن الحقيقى هو الذى يتحمّل المشقّة ويقبل بالخسارة العاجلة، ليتفادى التورّط فى الخسارة الآجلة الدائمة؛ فالتوبة فى هذه الحالة تعنى اتخاذ قرار شجاع يتضمن التضحية بمصالح الانسان.

ونمثل فى هذه العجالة لكيفية افتقار عملية التوبة للقرار الشجاع؛ قرار التضحية بالمصالح الرئيسية، ببعض الامثلة، ونبدأ بالتضحية بالمال التى هى عملية صعبة جداً بالنسبة الى الأثرياء والتجار، بل بالنسبة الى غالب البشر، ونذكر نموذجين متقابلين.

النموذج الأول: قال أحد الأصدقاء: قلت لتاجر أعرفه: لماذا لا تؤدى الحقوق الشرعية المتعلقة فى ذمّتك؟

فقال التاجر: إنك لا تفهم ماتقول!

قلت: بلى، أفهم وأعى ما أقول، إذ ان الله تعالى تفضل عليك وأنعم، وعليك أن تشكره على تفضله، فتدفع عشرين بالمائة منه لمستحقّيه!

قال: ألم أقل بأنك لاتفهم ما تقول! إننى إذا أردت دفع الحقوق الشرعية، وجب علىّ أن أدفع ملياراً كاملاً دفعة واحدة، وهذه الاموال خلاصة جهود عمرى وثمرة ما قمت به طيلة سنوات وسنوات!!

قلت: وأى ضرر فى ذلك؟ تدفع ملياراً، وتبقى لديك أربعة مليارات.

فعاد قائلاً: الم اقل لك انك لا تفهم ما تقول؟ انك لا تملك ما أملك ولذا لا تفهم معنى ان يدفع الانسان ملياراً من امواله دفعةً واحدة!!

النموذج الثانى: ينقل أن أحدهم كان له من الأراضى الكثير جداً، ولم يكن يبالى بماهو حلال أو حرام، ومضت على هذه الحالة سنوات، حتى أدركته رحمة من ربّه، فأخذ يفكّر بما سيكون جوابه فى القبر ويوم القيامة، فاتخذ فى لحظة واحدة القرار الشجاع، وتخلّى عن أملاكه وأراضيه، ولجأ إلى فلّاح متواضع مقترحاً عليه بأن يقبله عاملاً بسيطاً لديه مقابل أجر محدود، فقبل الفلّاح هذا الاقتراح بعد أن أصيب بالدهشة والذهول، وهكذا تحوّل الملّاك الكبير إلى عامل بسيط يعمل بين يدى الفلّاح، وقد قيل إن أحد أحفاد الملّاك التائب أصبح من كبار العلماء.

والحقيقة انه غالباً ما تمرّ الأفكار، أفكار مراجعة الذات فى خواطرنا وضمائرنا?: وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ?ولكن بعض الأفراد يعيرونها الأهمية المطلوبة ويرتبون الاثر عليها، فيما البعض الآخر على العكس من ذلك، وقد ورد فى الحديث ما مضمونه أن الذنب يمر على المؤمن كصخرة على صدره تثقله؛ يريد التخلص منه، ولكن الكافر أو المنافق يمر عليه كما تمر الذبابة، فلعله ينزعج به بشكل موقت ثم ينتهى الأمر، وهذه طبيعة كل من المؤمن والكافر والمنافق، والفرق بينهم أن المؤمن يتخذ القرار الشجاع بالتوبة والعودة إلى ربّه، بينما الكافر والمنافق لا توجد عنه شجاعة اتخاذ القرار.

التضحية بالجاه فى سبيل التوبة

هناك نموذج آخر من نماذج المصلحة الحيوية، وهو المقام الاجتماعى، وقد روى أن «آخر مايخرج من قلوب الصديقين؛ حبّ الرئاسة» وقد تقتضى التوبة تنازل الفرد عن موقعه ومنزلته الاجتماعية فى بعض الاحيان.

قصة لا أعلم!!

ينقل عن الشيخ محمد حسين الإصفهانى، صاحب كتاب (نهاية الدراية) أنه قال:

كنا نتتلمذ على أحد الأساتذة، وكان معنا تلميذ قروى، وذات يوم أخبر هذا التلميذ بخبر غيبى يتعلق بالأستاذ الذى بلغه الخبر، ولما التقيا طلب الاستاذ من التلميذ أن يكشف له عن مصدر علمه بالخبر، وبعد تمنّع وإصرار، قال التلميذ القروى: ان لى قصة وهى ان أبى كان عالماً فى قريتنا، وكان يقوم بشؤون القرية الدينية، وحينما توفاه الله تعالى، جاءنى أهل القرية يطلبون منى أن أخلف أبى فى مقامه، فى حين كنت لا أفقه شيئاً من الأحكام الشرعية، ولكنهم ألحّوا علىّ حتى أجبرونى على القبول، فكنت أتولى شؤونهم الدينية بلا علم.

وبعد فترة أدركتنى يقظة الضمير، فجمعت أهل القرية وخطبت فيهم، وأعلمتهم بأننى كنت أفتيهم وأقوم بشؤونهم الدينية خطأً، لأننى لم أكن أعرف شيئاً، وعندما سمع أهالى القرية هذا الاعتراف وهم الذين كانوا يظنون بى التواضع بإعلانى عدم استحقاقى لخلافة أبى فى أول الأمر- انهالوا علىّ بالإهانة والضرب، ولا أعلم كيف استطعت إنقاذ نفسى من بين أيديهم، ووجدتنى أسير فى الصحراء على غير هدىً، وبعد ذلك أدركنى التعب، فجلست لأستريح، وأخذت أفكر بأن النجف الأشرف هى المكان الأفضل الذى ينبغى لى أن أتوجه إليها لدراسة العلوم الدينية.

فأخذت أسير باتجاه النجف، وفجأة رأيت رجلاً يتجه نحوى، وحينما وصلنى قال لى: إلى أين تذهب؟

قلت: إلى النجف!

قال: هل تحب أن أرافقك؟

قلت: نعم.. وترافقنا!

وبعد برهة رأيت نفسى فى مدينة النجف، وكأن الأرض طويت تحتى، إذ لم أشعر ببعد المسافة ولا التعب، وهذا الرجل يأتينى بين الفترة والأخرى ليخبرنى عن بعض الأمور والأخبار، ومنها هذا الخبر الغيبى الذى أخبرتك عنه بواسطة رفيق دربى.

ففكر الاستاذ أن هذا الرجل إما أن يكون ولياً من أولياء الله تعالى، وأما أنه هو الإمام الحجة عليه السلام.

فقال لتلميذه: هل يمكننى أن أزور رفيقك؟

فقال الطالب القروى فى نفسه: يبدو أن استاذى قد بلغ من التواضع درجة كبيرة، فتوجه إليه قائلاً- بكل براءة: لعله هو الذى يأتى لزيارتك.

ثم إن التلميذ ذهب وسأل رفيق دربه عن إمكانية اللقاء وزيارة الأستاذ له؟!

فقال له: ليس من حاجة فى أن يزورنا، فنحن نزوره اذا عرفنا فيه أهلية ذلك.

فنقل التلميذ هذه الكلمة لأستاذه، فوقعت منه موقعاً عظيماً اهتز لها وجوده ... إذ أدرك أنه غير مؤهل لرؤية الإمام عليه السلام...

نعم! إن ما بلغ بالتلميذ القروى الى ما بلغ هو صحوة ضميره واعترافه بواقعه وإعلان ذلك أمام مرأى ومسمع من الناس، فلم يخجل من قول كلمة «لا أعلم» كما ان كبار العلماء الابرار لم يكونوا يخجلون من قول هذه الكلمة حينما كانت تطرح عليهم مسألة لا يعلمونها، وكما لم تخجل الملائكة من قول «لا- نعلم» حيث قالوا لربهم العليم?: قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا ?فلماذا نخجل نحن من قول كلمة قالتها الملائكة فى السموات العلى! فأن يبتلى الفرد بالإحراج أو حتى الطرد الاجتماعى، خير له من أن يبتلى بعذاب الله العزيز الجبار ... وأن يخسر الإنسان دنياه، فذلك أفضل من خسرانه لآخرته.

وقد ندد الإمام المعصوم عليه السلام بمن يفتى الناس بغير علم، فقال: «لمثل هذا تمنع السماء قطرها!!».

شهر رجب، شهر الرحمة والتوبة

روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله عليه السلام أنه قال: «شهر رجب؛ شهر الاستغفار لأمتى» فهذا الشهر فرصة سانحة لكل إنسان يريد، التوبة والعودة الى الله سبحانه وانتشال نفسه من حضيض الذنوب والعروج الى آفاق المعنويات الرحيبة.

وقد نقل فى احوال جدنا الامى أنه كان يعطّل كل أعماله الاعتيادية مدة ثلاثة اشهر وكان يقول: تسعة أشهر نجعلها للكسب والتجارة، وثلاثة أشهر نجعلها للآخرة، وكان له دكان قرب الحرم الحسينى فى كربلاء المقدسة، فكان يعطّله أو يوكّل نائباً عنه، ليقصد النجف الأشرف والكاظمية وسامراء المشرّفتين ليقضى الأشهر الثلاثة فى العبادة بمعناها الأخص ... وهى غير العبادة بالمعنى الأعم الذى يشمل جميع الأعمال الصالحة التى ينوى فيها الإنسان التقرب بها إلى الله سبحانه وتعالى، فالعبادة بالمعنى الأخص هى الصلاة والصيام والدعاء والتضرع والزيارة وماأشبه ذلك.

فالمؤمن مدعوّ فى هذا الشهر الكريم، كما هو مدعوّ فى شهر شعبان المعظم وشهر رمضان المبارك إلى جعلها أشهراً للعبادة بمعناها الأخص، ومن أفضل العبادة الخاصة فى هذه الأشهر هى التوبة والإكثار من الاستغفار ومحاولة التخلص من الذنوب نهائياً.

ومن جملة الأمور المؤكد استحبابها فى شهر رجب الذى تصبّ فيه الرحمة صبّاً على أمة رسول الله عليه السلام، هو الإتيان بالعمرة الرجبية ذات الفضل الكبير والأجر الجزيل، وقد ذُكر فى كتب الفقه أنها تلى الحج فى الثواب.

كما أن لزيارة الإمام على بن موسى الرضا ?موقعاً مميزاً أيضاً.

أما الأدعية الخاصة بشهر رجب؛ فهى الغاية فى الروعة، حيث تحمل الداعى بها إلى أسمى الآفاق الإيمانية والمعنوية.

وقد ورد أن أحد الرواة، وهو محمد بن ذكوان الملقّب بالسجاد لكثرة سجوده الذى فقد فيه بصره، جاء إلى الإمام الصادق عليه السلام قائلاً: هذا رجب ... فعلمّنى دعاءً ينفعنى الله فيه، فقال له الإمام عليه السلام: اكتب:

«بسم الله الرحمن الرحيم، يامن أرجوه لكل خير، وآمن سخطه عند كل شر » ... الى آخر الدعاء.

وهناك دعاء آخر جاء فيه:

«خاب الوافدون على غيرك، وخسر المتعرضون إلّا لك، وضاع الملمّون إلّا بك »....

وجاء فى دعاء آخر:

«يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين »....

إذن؛ فشهر رجب الأصبّ شهر ينبغى أن نجعله شهر التوبة والاستغفار والانابة الى الله سبحانه ما وسعنا.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا للتوبة ويكرمنا بالمغفرة.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التفكير العالمى

التفكير العالمى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

يدور موضوعنا حول التفكير العالمى، ونتناول هذا الموضوع فى فصلين:

الفصل الأوّل: اختلاف الأمم والأفراد فى مدى التفكير.

الفصل الثانى: فى مظاهر التفكير العالمى.

نمهّد لهما بمقدمة وهى:

تأثير الفكر فى حياة الإنسان

إنّ لمنحى التفكير تأثيراً كبيراً فى حياة البشر؛ وذلك لأنّ دور الفكر هو القيادة، وهذه القيادة لا ينحصر تأثيرها فى الاتّجاه العام لحياة الإنسان فحسب، بل تتدخّل فى كل مفردة من مفردات حياته، فإنّ كل جزئية من جزئيات حياة الفرد خاضعة لنمط تفكيره، منذ أن يفتح عينيه فى الصباح إلى أن يغمضهما فى الليل. كان الوالد ?يقول:

«كان فى كربلاء رجلان كلاهما عربيان وينحدران معاً من قبيلة واحدة (وهما على ما أتذكر حرملة بن كاهل الأسدى وحبيب بن مظاهر الأسدى) اختار الأوّل طريق النار وظلت تلاحقه اللعنات على مدى التاريخ، فيما اختار الآخر طريق الجنّة وظلّ ملهماً للأجيال.

لو سألنا: لماذا أصبح حرملة هكذا؟ ولماذا صار حبيب حبيباً مع أنّ كليهما عربيان ومن قبيلة واحدة؟ لكان الجواب: إنّ نمط التفكير عند كل منهما يختلف عن الآخر».

والأمثلة على ذلك كثيرة، فأبو ذر وأبو لهب كلاهما عاصر النبى عليه السلام ورآه، ولكن أبا لهب نزلت سورة من القرآن الكريم فى ذمّه وذم زوجته ولا تحضرنى سورة فى القرآن الكريم نزلت بكاملها فى ذم شخص آخر سواه أما أبو ذر فهو الذى قال عنه رسول الله عليه السلام: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذر»، فذاك قاده تفكيره إلى تلك النهاية الشقية، وهذا ساقه تفكيره إلى هذه العاقبة السعيدة.

إذن للفكر أهمية كبرى فى حياة البشر، وهناك روايات كثيرة فى هذا المجال ذكر بعضها العلامة السيد عبد الله شبّر فى كتابه «مصابيح الأنوار فى حل مشكلات الأخبار» وهو كتاب جيّد حرى بالمطالعة.

المهم فى المقام هو أنّ الأفراد يختلفون فى أفكارهم وفى مدى التفكير وحدوده، وهذا الاختلاف يؤثّر تأثيراً بيّناً فى كل خطوة من خطوات حياة الفرد، وهو ما نتناوله فى الفصل الأوّل من هذا البحث.

الفصل الأوّل: الاختلاف فى مديات التفكير

يختلف الأفراد فى مدى تفكيرهم إلى أنواع؛ نذكر بعضها:

النوع الأوّل: ذوو التفكير الشخصى أو الشخصانى إذا جاز التعبير وهؤلاء تكون الذات هى المحور وهى المنطلق والغاية وهى الإطار والهدف فى تفكيرهم، ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إنّ هذا حال أغلب الناس مع الأسف.

هناك كلمة لأحد العلماء جديرة بالتأمّل، يقول فيها:

«نحن البشر فى الغالب نتألم لوجع سن واحدة من أسناننا أكثر مما نتألم لموت مليون فرد من أفراد البشر جوعاً مثلاً، مع أنّ الله سبحانه وتعالى قد كرّم بنى آدم»

فإنّ كثيراً من الناس لا يهدأ له بال إذا أصابه أدنى أذى فى بدنه، ولكنه لا يكترث ولا يحرّك ساكناً بل لا يشغل فكره الأمر فيما لو أُخبر أنّ فى أثيوبيا مثلاً عشرة ملايين إنسان مهدّدون بالموت جوعاً!

هذا النمط من التفكير هو تفكير أنانى، فصاحبه يحب للأنا ويبغض للأنا ويعمل للأنا، ولو بحثتم عن السبب والجوهر الحقيقى وراء كلّ ما يعمل لوجدتم أنّ الأمر لا يعدو تجارة مادّية فقط. وهذا النوع كما قلنا يمثّل مع الأسف حال كثير من البشر إن لم يكن حال أكثر البشر.

النوع الثانى: أصحاب التفكير العائلى، فهؤلاء يترقّون درجة فيفكّرون فى حدود عائلاتهم، فكل ما يشغل فكر الفرد هنا زوجته وأولاده

وأحفاده، فتفكيره عائلى فقط.

النوع الثالث: التفكير العشائرى وهو أرقى من النوع الأوّل بدرجة، لأنّ الفرد يفكّر فى عشيرته وأقاربه، ولكنه لا يفكّر أبعد من ذلك.

النوع الرابع: التفكير القومى، وهـذا النوع من التفكير ينطلق من المصالـح القوميـة، أى أنّ المصالح القوميـة هى التى تقود تفكير الإنسان وتشغل باله ويعمل من أجلها ويضرب ما يتعارض معها. وهذا أرقى من مسابقه لا شكّ.

النوع الخامس: التفكير الإقليمى أو القطرى، حيث يكون ملاك التفكير عند صاحبه هو البلد الذى يعيش فيه.

وهناك أنواع أخرى كالتفكير اللونى أو اللغوى وغيرهما.

النوع الأخير والأعلى: التفكير العالمى، وهو أن يكون تفكير الفرد على مستوى العالَم.

تأثير الفكر فى حركة الإنسان

لا شكّ أنّ كل نمط من هـذه الأنماط كما نوّهنا إلى ذلك فى المقدمـة يؤثّر فى كل جزئيـة من جزئيات حركة الإنسان وقراراته، حتى أنه يؤثر فى اختيار المسكن والمدفن والزواج والتجارة.

أى أنّ قضيـة نوع التفكير الـذى يتبنّاه الإنسان ليست قضيـة تجريديـة لا ربط لها بالواقع، بل هى مرتبطـة به ارتباطاً وثيقاً وتفصـيلياً، فإنّ الفرديفكّرحـدود الإقليم يرى أنّه لابـدّ أن يسـكن ذلك الإقليم، يعيش فيه ويموت فيه حتى لو تعرّضت حياته وكرامته للخطر والزوال، وكأنّ الله سـبحانه وتعالى لم يخلق إلّا تلك الرقعة الجغرافية الضـيقة، وكأنّه لم يسمع قول الله عزّ وجلّ?: وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ اللّهِ يَجِدْ فِى الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً.?

فمع أنّ الأرض كلها لله، لكنّنا نرى أصـحاب التفكير الإقليمى يحصـرون تفكيرهم ووجودهم فى الأرض التى وُلـدوا فيها ويعتقدون أنّ عليهم البقاء فيها مهما كان الثمن، وقد يتّخذون قرارات خاطئة وفق هذا التفكير الخاطئ، وهذه بعض الأمثلة:

•لقـد بعث السـيد الوالـد ?إلى عـالِم من العلمـاء رسولاً أعرفه ذكر له أنّ بقاءه فى البلـد الكـذائى خطر عليه وأنّ المصـلحة تكمن فى مغادرته لذلك البلد؛ لأنّ الحكّام سيمنعونه من ممارسة دوره ويقضون على حياته.

ولكن ذلك العالِم أصـرّ على البقاء وقال فى جواب الرسول: إنّنى ينبغى أن أبقى فى هـذا المكان مهما كلّف الأمر. وكانت العاقبـة أن قُبض عليه بعد مدة قصيرة وقُتل.

•وأتـذكّر أيضاً أنّ السـيد الوالـد رحمـة الله عليه نصـح عالِماً آخر جاء لزيارته بعـدم العودة إلى البلـد الـذى جاء منه، ولم يقتنع ذلك العالِم وكأن منطقه كان: (لقـد وُلـدتُ فى ذلك البلد ويجب أن أبقى فيه مهما كان) وهذه هى النزعة الاستصـحابية ولم تمضِ إلا فترة قصـيرة على عودته حتى أُلقى القبض عليه واقتيـد إلى غياهب السـجون الخفيـة ولا يُعلم عنه أىّ خبر حتى اليوم حيث يمرّ على القضـية سنوات طويلة.

تبيّن إذاً أنّ نمط التفكير ليس شأناً مجرّداً بل إنّه يؤثّر على كل القرارات التى يتّخذها الفرد من المسكن وحتى المدفن.

•نقل أحد الخطباء أنّه كان حاضراً عند السيد الوالد ?إذ جاءه أحد العلماء المتقين وقال:

«إنّه تعب من الأوضاع وإنّه يشـعر بقرب أجله، فقال له الوالد: هاجر إلى بلاد الغرب، فتعجب الرجل وقال: أأذهب فى نهاية عمرى إلى الغرب فأموت هناك! فقال له الوالد:

موتـك هنـا لاـ يغيّر شـيئاً ولكنـك إذا متّ هناك فربما أصـبح مثواك هناك وأنت العالِم المتّقى مركزاً للإشـعاع الفكرى حيث يؤمّه المتـدينون وربما تقرّب بعضـهم بك إلى الله لقضاء حوائجهم، أو جرت العادة على قراءة القرآن والأدعيـة عند مرقدك وأصـبح محلاًّ عبادياً»!

أرأيت كيف أنّ نوع التفكير ومداه وحدوده وإطاره تؤثّر كلها فى كل جزئية من جزئيات حياة الفرد حتى اختيار محلّ موته؟!

الفصل الثانى: مظاهر التفكير العالمى

للتفكير العالمى مظاهر فى مختلف الحقول، فله مظاهر فى الحقل الاقتصادى، وفى الحقل السياسى، وفى الحقل التبليغى.

وحيث إنّنا فى الغالب حاملون لرايـة التبليغ، فإنّ حـديثنا يـدور فى مظاهر التفكير العالمى فى الحقل التبليغى، ذلك أنّ للتفكير العالمى تأثيراً فى نمط التبليغ وكيفيته وأسلوبه ورقعته وأبعاده.

إنّ الله تعالى لم يجعل الـدين حكراً على بلـد معيّن، لقـد كانت البيئـة التى نشأ الرسول عليه السـلام وترعرع فيها بيئة ضـيّقة ومحدودة، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال مراجعة المعلّقات والقصائد الأخرى للعرب يومذاك، ولكن القرآن الكريم لغته لغة عالمية.

يقول الله تعالى?: لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا.?

ويقول فى آية ثانية?: لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ.?

وفى آية ثالثة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ.?

وفى آية رابعة?: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ?وليس لبقعة خاصة.

ويقول فى آيات أخرى?: يَا أَيُّهَا النَّاسُ.?

هناك كتاب جمع «مكاتيب الرسول عليه السـلام» التى بعثها إلى ملوك العالَم فى وقته، فلقد بعث عليه السـلام كتباً وسـفراء إلى ملك الروم وكسرى فارس وملك الحبشة وعظيم القبط، والحارث بن أبى شـمر ملك تخوم الشام، وهوذة الحنفى ملك اليمامة، وبعث كتباً إلى رؤساء العرب وشيوخ القبائل، وإلى الأساقفة وإلى مختلف الطوائف.

ولقد تأثّر بعض هؤلاء واستجاب، ومن أولئك أسـقف الروم فإنّه بعدما قرأ كتاب النبى عليه السلام خرج إلى الكنيسة فى حشد وقال: «يا معشر الروم إنّه قد جاءنا كتاب أحمد يدعونا إلى الله، وإنّى أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله».

ومنهم فروة عامل قيصر بعمان فإنّه عندما جاءه كتاب النبى عليه السلام آمن وأعلن إيمانه، فطُلب فأُخذ وقُتل.

وكـذلك ملك البحرين المنـذر بن ساوا، فقد قبل دعوة النبى عليه السـلام وأعلن إسـلامه، ولقد أعلنت البحرين إسـلامها منذ بدايات أمرها.

وقصة النجاشى فى هذا المجال معروفة أيضاً.

وهذا يتطلب منّا أن لا نحصر اهتمامنا فى بلد أو إقليم أو قومية بل نكون عالَميين فى تفكيرنا التبليغى.

التشيّع فى الهند وتايلند والفلبين

•لقد انتقل التشيع إلى الهند وأُعلنت فيها الشهادة الثالثة بفضل جهود عالِمَين قدّما حياتهما ثمناً لذلك، هما: الملا عنايت الله الشيرازى والملا فتـح الله الشـيرازى، قتلهما (إبراهيم شاه) الحاكم الناصبى المتعصب فى الهنـد يومـذاك بعد أن علم بخبرهما وأنّهما غرسا بذور التشيع فى قلب ولده المسمى (على).

ولقد نُقل عن العلاّمة الأمينى ?أنّه قال بعد عودته من الهند:

«ليت لى أموالاً عظيمة أنفقها لطلاب العلوم الدينية لكى ينشروا الإسلام فى العالَم».

•أما فى تايلنـد فيعود الفضل فيه إلى رجل اسـمه أحمـد من أهالى مدينـة قم المقدسـة، وتعود قصـته إلى ما قبل حوالى خمسة قرون، حيث إنه سـافر إلى تايلنـد وتزوج فتاة تايلنديـة ثم بـدأ نشاطاً اجتماعياً هناك حتى أصـبح فى فترة من الفترات رئيساً للوزراء بفضل ما تحلّى به من حكمة وعقل ودراية، واسـتطاع أن ينشـر الإسـلام والتشيع فى البلاد، فبنى مساجد وحسـينيات وأسس مشاريع حتى أنّ ما نجد اليوم من انتشار الإسلام والتشيع هناك مدين لجهود الشيخ أحمد القمى هذا، وله اليوم مرقد عظيم وقبة يزوره الناس ويتشفعون به إلى الله تعالى لقضاء حوائجهم، كما رأيت المشهد مصوّراً.

وهكـذا أصـبح الرجـل ملجأ للمسـلمين وربما قصـده غير المسـلمين أيضاً، بينما لو بقى تفكيره محصوراً فى مدينـة «قم» لربما ضاع بين

الآلاف أو الملايين الذين لم يقدّموا شيئاً ذا بال.

لا نقصد من هذا الكلام أن لا يبقى الإنسان فى مدينته أو قم المقدسة مثلاً، بل المقصود أن يكون تفكيره عالمياً.

•لقد نقل السيد الوالد ?أنّ مسلمى الفلبين هم الآخرون مدينون لجهود الشيخ عبد الله المكى الذى ذهب إليهم قبل مئات السنين ونشر بينهم الإسلام.

الخلاصة

يجب علينا أن نأخذ العِبَر والدروس من هؤلاء فى فكرهم الشمولى وأن يكون تفكيرنا كما أراده الله سبحانه وتعالى تفكيراً عالَمياً، ألسنا نقول فى كل يوم عدة مرات: «الحمد لله رب العالمين»، فربوبية الله عالَمية ورحمته للعالمين ورسالته كونية.

وفى الحديث الشريف: «مَن أصبح لا يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم»، ولم يقل لم يهتم بأمور بلد معيّن أو قطر معيّن أو عشيرة معيّنة بل قال عليه السلام بأمور المسلمين كلهم.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتأثير فى مجرى التاريخ فيما بقى من أعمارنا، وهذا ممكن بإذن الله، إن كان تفكيرنا عالمياً، وعملنا عالمياً.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

اليأس من روح الله

اليأس من روح الله

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الحديث عن قضية اليأس من روح الله ينقسم إلى قسمين:

الأول: مفهوم اليأس ومنشؤه.

الثانى: مجالات الأمل وانتظار الرحمة الإلهية.

أما فيما يخصّ المقام الأول؛ فان اليأس ضد الرجاء، إذ هو عبارة عن القنوط وانقطاع الأمل برحمة الله تعالى.

والذى يظهر من بعض الآيات القرآنية الكريمة أن الكفر هو منشأ اليأس من روح الله؛ قال الله تعالى:

?إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.?

والظاهر أن هذه الآية الكريمة تنحلّ إلى جملتين:

الجملة الأولى: كل يائس من روح الله سبحانه فهو كافر بمرتبة من مراتب الكفر .

الجملة الثانية: كل مؤمن فهو لا ييأس من روح الله تعالى.

وعليه فإذا وجد المرء نفسه فى يوم من الأيام يائساً من رحمة الله، فذلك دليل على عدم إيمانه.

العلاقة بين اليأس والكفر

ولكن ترى ماهى العلاقة بين اليأس والكفر بالله تعالى؟ ولماذا أصبح كل يائس كافراً، وكل مؤمن راجياً؟

الشىء الذى يمكن أن يقال والله أعلم إن الكافر يرى فى هذا الكون معادلات طبيعية حاكمة، ولا يرى سواها، فنظام العلية والمعلولية المادية يتحكم بتفكير الفرد الكافر، وهو يشعر بخضوعه المطلق لهذا النظام، دون أن يرى وراءه شيئاً آخر.

بين الإيمان والرجاء

إلا أن المؤمن تملؤه الثقة بأن وراء المعادلات الطبيعية شيئاً آخر، وهذا الشيء هو الإرادة الإلهية الحاكمة على كل شيء، فهو يؤمن بأن الإرادة الإلهية مطلقة لا يقيّدها شيء وهي فوق العلل الطبيعية.

وما دام المؤمن يعلم بأن الإرادة الإلهية فوق كل شيء فلماذا يفقد أمله، ولماذا يصاب باليأس والقنوط؟

يقول بعض الفلاسفة إن الإحراق طبيعة ذاتية للنار، والذاتي لا يختلف ولا يتخلف، ولكن المعادلات الإلهية تؤكد أن الله تعالى قادر على سلب النار طبيعتها المحرقة مع الحفاظ على ماهيتها كنار، فتتبدل حرارتها إلى برودة بالإرادة الإلهية.

ويقولون: إن الإرواء أمر ذاتي للماء في نظام العلل والمعلولات، ولكن بالنسبة للإرادة الربانية المطلقة، يمكن أن لا يشعر شخص ما بالارتواء أبداً وإن شرب الماء، كما حدث ذلك بالنسبة إلى ذلك الشخص الذي دعا عليه الإمام الحسين عليه السلام، فكان يشرب الماء حتى يفيض من فمه ولكنه لم يكن يحس بالارتواء أبداً حتى هلك.

إذن هناك ملازمة طبيعية بين اليأس من رحمة الله تعالى وبين الكفر به، وهناك ملازمة طبيعية بين الإيمان بالله وبين الرجاء والأمل والثقة بهيمنته وقدرته ورحمته الواسعة.

آفاق الأمل والرجاء

أما فيمايخصّ الحديث عن القسم الثاني، وهو مجالات الأمل، فنقول:

إن للأمل مجالات ثلاثة متدرجة يمكن توضيحها كالتالي:

المجال الأول: الأمل في التغيير الفردي

المجال الأول: الأمل في التغيير الفردي

وفي هذا المجال أبعاد متعددة منها: الأمل في النجاة من المشكلات الطبيعية للحياة.

إن طبيعة هذه الحياة هي طبيعة المشاكل، حتى يقول الشاعر:

كل من تلقاه يشكو ألماً

ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

والفرد في خضمّ المشاكل، ولاسيما العنيفة منها يفقد عادةً الأمل ويتحول إلى كائن قنوط ويأس من أي احتمال للتغيير، ولكن الإنسان المؤمن يمتلئ قلبه بالرجاء والأمل حتى لدى تعرضه لأعتى المشاكل، وقد روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «اذا دعوت فظنَّ أنّ حاجتك بالباب» فكما تنتظر زيارة ضيفك وتتوقع قدومه في كل لحظة، كذلك كن مفعماً بالأمل في الرحمة الإلهية وتوقّع الاجابة في كل لحظة.

وفي هذا الإطار ينقل عن والد الشيخ عبدالكريم الحائري ?أنه لم يرزق في بداية حياته بالذرية، وقد طرق أبواباً متعددة إلّا انه لم ينجح في تحقيق مبتغاه ولكنه وعلى أثر حادثة معيّنة، انتبه لنفسه فاعترف لربه سبحانه بأنه قد أخطأ حيث قد طرق منذ البداية غير بابه، ومن ثم أوكل الأمر الى المشيئة الالهية في أن يرزقه الله تبارك وتعالى الذرية، أو لا يرزقه، وإثر هذا التوجه الإيماني رزقه الله بولد، وأي ولد كان إنه الشيخ عبدالكريم الحائري مؤسس الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة.

كما نقل أحد العلماء قصة لعل مضمونها أن شخصاً قصد الأطباء لغرض علاج زوجته من العقم، ولكنهم أعلموه بأنها تفتقد الجهاز الذي يصنّع الجنين ولا قابلية لها على الإنجاب ... فذهب الرجل إلى الشيخ (النخودكي) وكان معروفاً بكراماته، فطلب الشيخ منه أن يشترى مقداراً من التين، وعندما أتى به نظر الشيخ اليه أي الى التين نظرة حادّة ثم أمره بأن يتناول نصفه وتتناول زوجته النصف الآخر،

ليرزقه الله تعالى ولداً. فقال الرجل: إن الاطباء يعتبرون حدوث الحمل أمراً مستحيلاً، فقال له الشيخ النخودكى:

«إنك تريد الذرية من الله سبحانه وتعالى، وفقدان الجهاز ووجوده لا يؤثر فى الإرادة الإلهية الحاكمة والمهيمنة والقاهرة شيئاً».

فامتثل الرجل لكلام الشيخ، فرزقه الله تعالى ولداً.

الاعتبار بما حدث فى العراق!

قبل الأعوام الثلاثة أو الأربعة الماضية لم يكن فى حدوث التغيير فى العراق لدى الكثيرين بصيص أمل، وربما لم يكن يخطر على بالهم أن تتبدل أوضاع العراق فى يوم من الأيام، ولكن الله سبحانه وتعالى القادر شاء أن تتحول الأحوال، وإذا بتلك السلطة الغاشمة قد تهاوت، والأوضاع قد تبدلت، الأمر الذى يؤكد من جديد هيمنة الله عزوجل على الأمور، وقدرته المطلقة التى لا يحدّها شيء.

يقول الفلاسفة: إن هناك سنخية (تجانساً وتوائماً) بين العلة والمعلول، إلا أن هذه السنخية لو فرض التسليم بوجودها هى من صنع الله تعالى، ولو تعلّقت الارادة الإلهية بصدور شيء من شيء من غير مسانخة بينهما أبداً لم يمكن أن يقف أمام تحقق تلك الإرادة أىّ مانع.

وفى دعاء الصباح: «وأنهرت المياه من الصمّ الصياخيد عذباً وأجاجاً» فما هو الرابط بين الماء وبين الصخور الصّماء؟ لا تبدو فى النظر علاقة مطلقاً بين الطرفين، ولكن الله هو المريد، وهو الذى لا تقيّده الارتباطات الطبيعية بين الأشياء، لأنه القوى القاهر فوق كل شيء، وهو الفعال لما يريد.

بعد آخر

وهنالك بعد آخر يرتبط بهذا المجال (المجال الأول) وهو: أن كثيراً من الأفراد يشعرون فى قرارة أنفسهم بالعجز والاستسلام تجاه الظروف القاهرة فلا- تجد لديهم رغبة فى العمل والإنجاز، ذلك لأنهم فقدوا الأمل بالله وبقدرته ورحمته اللتين وسعتا كل شيء، وبذلك افتقدوا المحرّك والباعث على التقدم.

ولنا أن نتساءل عن الفرق بين هؤلاء العاجزين وبين أولئك الذين تقدّموا فى هذه الحياة كالمحقّق الخراسانى، الرجل الأفغانى الذى أصبح كتابه (كفاية الأصول) محوراً فى الحوزات العلمية منذ مائة عام تقريباً. الفارق فيما يبدو هو أن صاحب الكفاية كان يمتاز بالأمل والرجاء برحمة الله، والإيمان بقدرته على أن يعينه فى إنجاز ما يصبو اليه، بخلاف أولئك.

وكذلك الفرق بين العلّامة الأمينى صاحب موسوعة (الغدير)، وبين غيره من الألوف الذين كانوا فى عهده.

والفرق هو كما يبدو بين صاحب الجواهر وبين الآخرين، لقد نجح صاحب الجواهر فى تأليف هذه الموسوعة العظيمة بسبب أمله بالله سبحانه، رغم قساوة ظروفه وموت ولده أثناء تأليفه للكتاب، وهو القائل فى مقدمة كتابه:

«فاستعنت بالله وتوكلت عليه بعزمة دونها العيّوق منزلةً وساعد ليس تثنيه الملمّات».

ورغم مرور حوالى مائتى عام على تأليف هذه الموسوعة، إلّا أنك ربّما لا تجد فقيهاً إلّا و «الجواهر» فى مكتبته، أما الآخرون فانهم استسلموا لظروفهم القاهرة وفقدوا الأمل فى الإنجاز فلم يُحققوا شيئاً.

المجال الثانى: الأمل فى التغيير الاجتماعى

بعض الأفراد يتقوقع على نفسه ولا يفكر فى تغيير المجتمع، ولعل هؤلاء يشكّلون الأكثرية من المجتمع، وهنالك أقلية من الناس تفكّر فى صناعة التغيير الاجتماعى.

ترى هل التغيير الاجتماعى المحدود أمر ممكن وقريب المنال؟

والجواب نعم بإذن الله تعالى وإن أدلّ دليل على إمكان الشيء هو وقوعه فى الخارج، فالمؤمنون الأفذاذ تحرّكوا من أجل التغيير فى

أشدّ الفترات التاريخية حرجاً وأحلكها ظلمة وقد نجحوا فى ذلك مرات كثيرة، مثلاً: الأمويون والعباسيون عرّضوا أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لأشدّ أنواع الأذى والتنكيل والقتل والتشريد، ولكن الشيعة لم يستسلموا ولم يفقدوا الأمل بالله ولم يتنازلوا عن إرادة التغيير، فكان من جملة إنجازاتهم كسب العديد من الشخصيات الأموية والعباسية إلى طريق الحق، مثل المعتضد العباسى الذى أمر بعد وصوله إلى الحكم أن يُكتب على المنابر عبارة: «خير الناس بعد رسول الله على ابن أبى طالب» كما أمر بتدوين رسالة فى معايب معاوية، وأن تتلى فوق المنابر.

وقد كان المتوكل العباسى من زنادقة النواصب، ولكن الشيعة بذلوا وسعاً حتى نجحوا فى جعل إبنه (المنتصر) مؤمناً شيعياً، وعندما وصل إلى الحكم ردّ فدك إلى أهل البيت عليهم السلام وفتح الطريق لزيارة سيّدالشّهداء الإمام الحسين عليه السلام فى كربلاء، بعد أن كان أبوه المتوكل قد منع ذلك سنين طويلة وحاول إغراق قبر الإمام الحسين عليه السلام مرات عديدة.

وكان الخليفة العباسى الناصر لدين الله من الذين اعتنقوا التشيّع بفعل ما بذله الشيعة من جهود، وقد انتشر فى عهده الذى استمر سبعة وأربعين عاماً مذهب أهل البيت عليهم السلام.

إلى غير ذلك من النماذج.

وهناك العديد من الشخصيات بذل علماء الشيعة ورجالهم جهوداً فى سبيل تغييرهم ومنهم ابن (خالد بن الوليد) الشهير بمعاداته لأهل البيت عليهم السلام، وكان هذا الابن يدعى (المهاجر) وقد قاتل فى معركة الجمل إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام وقُتل فى حرب صفين شهيداً بين يدى وصى رسول الله عليه السلام، ومنهم محمد ابن أبى بكر، ومنهم (سعد الخير) الأموى الذى ورد فى الحديث الشريف «إنه رجل منا أهل البيت».

وقد أقام الشيعة دولاً متعددة على مرّ التاريخ على أثر جهود جبارة بذلوها ومن تلكم الدول:

- دولة الأدارسة فى مراكش، أسسها ابن حفيد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام وقد امتدت بين أعوام (۱۷۲ ۳۷۵) ه.
- دولة الشرفاء فى مراكش، امتدت بين أعوام (۹۵۱ ۱۳۱۱).
- الدولة الفاطمية فى مصر، التى حملت اسم الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، ?بين أعوام (۲۹۷ ۵۴۷).
- دولة الحمدانيين فى حلب والموصل وغيرهما بين أعوام (۲۱۷ ۳۹۴).
- دولة المزيديين فى العراق بين أعوام (۴۰۳ ۵۴۵).
- دولة آل حمود فى مالطا بين أعوام (۴۰۷ ۴۹۹).
- دولة آل الأخيضر فى مكة واليمامة بين أعوام (۲۵۱ ۳۰۵).
- دولة آل موسى فى الحجاز بين أعوام (۳۰۵ ۴۵۳).
- الدولة المرعشية فى مازندران.
- الدولة البويهية فى العراق وإيران بين أعوام (۳۲۱ ۴۴۷).
- الدولة الصفوية فى إيران، وفى العراق فى بعض الفترات، وكان عدد من العلماء من الموجّهين لهذه الدولة، منهم العلامة المجلسى والشيخ البهائى.?
- ولقد نجح السيد مهدى القزوينى ?وهو شخص واحد أن يحوّل بفضل الله تعالى مئة ألف شخص فى العراق إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام فى ظلّ الحكومة العثمانية الشديدة العداء لأهل البيت عليهم السلام.

إذن؛ من الممكن أن يقوم كلّ واحد منا بإيجاد تغيير وتحول تاريخى كبير بالتوكل على الله تعالى والأمل برحمته الواسعة والهمّة الرفيعة والجهد الذى لا يعرف الكلل والملل ان شاء الله تعالى .

المجال الثالث: الأمل فى التغيير العالمى الشامل

وهو الأمل بالتغيير الذى سيتمّ على يد الإمام المهدى المنتظر عليه السلام، وهذه الحالة (حالة الأمل بهذا التغيير وانتظار هذا التغيير) ينبغى أن يعيشها الفرد وينمّيها فى داخله.

ونذكر بعض الروايات التى تبيّن أهمية وجود هذه الحالة.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «من مات منكم وهو منتظر لهذا الأمر كان كمن هو مع القائم فى فسطاطه».

ثم مكث الإمام عليه السلام هنيئة وقال: «لا بل كمن قاوم معه بسيفه».

ثم قال: «لا والله إلّا كمن استشهد مع رسول رسول الله عليه السلام».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «المنتظر لأمرنا كالمتشحّط بدمه فى سبيل الله».

وعن الإمام الصادق عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «انتظروا الفرج ولا تيأسوا من روح الله، فإنّ أحبّ الأعمال إلى الله عزوجل انتظار الفرج».

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن الذى يبدو من بعض الروايات أن الانتظار قضية مشتركة، بمعنى أنه فى الوقت الذى ننتظر الفرج الإلهى للإمام المهدى عليه السلام، كذلك هو ينتظر ذلك، وهو يحزن كما تشير الروايات المتحدثة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام عموماً لحزن المؤمنين ويفرح لفرحهم، وقد عبّر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن حزنه فى قضية الأنبار التى أغار عليها جند معاوية وآذوا أهلها بقوله: «فلو أن امرأً مات من بعد هذا أسفاً ما كان ملوماً، بل كان به عندى جديراً» فكيف والإمام المهدى عليه السلام يشاهد هذه المآسى التى جرت وتجرى فى العراق وغيره من بلاد المسلمين؟!

روى العلامة المجلسى ?فى كتاب (بحار الأنوار) دعاءً للامام المهدى عليه السلام يقرأه فى قنوته وهو:

«اللّهم صلِّ على محمد وآل محمد، وأكرم أولياءك بإنجاز وعدك، وبلّغهم درك ما يأملون من نصرك، واكفف عنهم بأس من نصَب الخلاف عليك، وتمرّد بمنعك على ركوب مخالفتك، واستعان برفدك على فلّ حدّك، وقصد لكيدك بأيدك، ووسعته حلماً لتأخذه على جهرة، وتستأصله على غرّة، فإنك قلت وقولك الحق: (حتّى إذا أخذت الأرض زُخرُفها وازّيّنت وظنّ أهلها أنّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغنَ بالأمس كذلك نُفصّل الآيات لقوم يتفكّرون) وقلت: (فلمّا آسَفُونا انتقمنا منهم)وإن الغاية عندنا قد تناهت وإنا لغضبك غاضبون، وإنا على نصر الحقّ متعاصبون، وإلى ورود أمرك مشتاقون، ولإنجاز وعدك مترقّبون، ولحلول وعيدك بأعدائك متوقّعون، اللهم فأذن بذلك، وافتح طرقاته، وسهّل خروجه ووطّئ مسالكه، وأشرع شرائعه، وأيّد جنوده وأعوانه، وبادر بأسك القوم الظالمين، وابسط سيف نقمتك على أعدائك المعاندين، وخذ بالثأر».

وجاء فى كتاب (الصحيفة المهدية) دعاء آخر للإمام المنتظر عليه السلام: «إلهى أين كفايتك التى هى نصرة المستضعفين من الأنام؟ وأين أين عنايتك التى هى جُنّة المستهدفين لجور الأيام؟».

«إليّ إليّ بها يا ربّ، نجنّى من القوم الظالمين، إنى مسّنى الضر وأنت أرحم الراحمين».

لقد شبّهت الروايات الشريفة صبر الإمام المنتظر عليه السلام بصبر أيوب عليه السلام، وعندما تضايقت حلقة البلاء على نبى الله أيوب، دعا بهذا الدعاء: «ربّ إنى مسّنى الضر وأنت أرحم الراحمين» ودعاء الامام المهدى عليه السلام بهذا الدعاء قد يشير إلى شدة ضغط الحوادث على الإمام عليه السلام:

«مولاى! ترى تحيّرى فى أمرى، وتقلّبى فى ضرّى، وانطوائى على حرقة قلبى وحرارة صدرى، فصلِّ يا رب على محمد وآل محمد، وجُد لى يا رب بما أنت أهله فرجاً ومخرجاً».

نسأل الله تعالى أن يعجّل فرجه ويسهّل مخرجه، ويجعلنا من أعوانه وأنصاره.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

التبعية الثقافية

التبعية الثقافية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قبل الحديث عن التبعية الثقافية، لابدّ أوّلاً من الحديث عن مشكلة التبعية بشكل عام، كما أن من الضرورى التحدث عن سبل مكافحتها؛ ومن ثم فإنّ موضوعنا سيدور حول ثلاثة محاور هى:

- مشكلة التبعية بشكل عام.
- التبعية الثقافية وأخطارها.
- كيف نواجه التبعية الثقافية؟

۱. مشكلة التبعية بشكل عام

۱. مشكلة التبعية بشكل عام

إحدى المخاطر الكبيرة التى تواجه المجتمعات والأمم هى مشكلة تبعية الأمم الضعيفة للأمم القوية، وهذه المشكلة لا تتوقف عادة عند حدّ معيّن، فهى تستمر فى كثير من الأحيان حتى تصل إلى مرحلة الذوبان الكلى للأمّة الضعيفة فى الأمّة القوية، حيث تُمحى هوية الأمّة الضعيفة وكيانها بشكل كامل.

قد تبدأ تبعية أمّة ما فى المجال الاقتصادى، ولكن لا تتوقّف عند هذا الحد، يقول الله فى معرض تحذيره للمسلمين من التبعية لليهود والنصارى?: وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ، ?أى إنّ هؤلاء لا يقنعون منكم بأن تكونوا تابعين لهم من الناحية الاقتصادية، ولا أن تدوروا فى فلكهم من الناحية السياسية، ولا أن تكونوا مقلّدين لهم فى الظواهر الاجتماعية فقط، بل لا يكتفون منكم إلّا بالذوبان الكامل والتحوّل التام إلى دينهم وملّتهم.

ولم يقل الله تعالى: «ولا ترضى» بل قال?: وَلَن تَرْضَى ?و «لن» كما هو المعروف فى اللغة العربية تفيد تأبيد النفى، أى أن هذه حالهم أبداً، فلا تتصوروا أنهم ربما يتغيّرون فى المستقبل ويكتفون بالقليل! ومعنى هذا أنّ اليهودى والمسيحى لا يكفيه أن تكون صديقاً له بل لا يقبل منك إلّا أن تتحوّل عن دينك وتكون يهودياً أو نصرانياً مثله، أما العلاقات الظاهرية والمجاملات وما أشبه فلن تقنعهم أبداً.

ويقول تعالى فى آية أخرى?: حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ ?فالهدف النهائى لهم هو أن نتخلى عن ديننا ومبادئنا وقيمنا.

قضية التنباك والعهد البهلوى فى إيران مثالاً

من الأحداث التاريخية المهمة فى إيران القضية المعروفة بقضية التنباك أو التبغ، وقد كان الهدف الظاهرى للمستعمرين الهيمنة على اقتصاد إيران من خلال شركة التبغ، ولكن الهدف الذى كانوا يخططون له كان أبعد من ذلك، وكان موضوع احتكار التبغ الإيرانى مجرد طريق وبداية، ولو أنهم أرادوا احتكار التبغ فقط لكفاهم ألف ممثل لهم على مستوى إيران مثلاً، ولكنهم جاءوا بأربعمئة ألف فرد إلى إيران كما ذكر فى بعض الكتب وهذا فى الواقع جيش احتلال كامل! أما الهدف الحقيقى فقد كان القضاء على الهوية الإسلامية للشعب الإيرانى، والدليل على ذلك أنّهم عندما سيطروا بعد ذلك حاولوا تحطيم الدين فى إيران، ولم يرتضوا حتى بوجود عباءة واحدة على رأس امرأة فى إيران، وحظروا إقامة المآتم الحسينية، وذلك فى عهد البهلوى الأوّل الذى كان عميلاً من عملائهم.

وهذا معنى قوله تعالى?: حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكَمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ، ?فالأمر رهين باستطاعتهم.

وقد نقل بعض من عاصر تلك الحقبة أنّهم كانوا يخافون حتى من إظهار البكاء فى أيام عاشوراء فكانوا يذهبون إلى المقابر ويجتمعون هناك للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام متظاهرين أنهم إنما يبكون موتاهم، كى لا يلحقهم الضرر!

ونقل لى أحد الشيوخ أنّ والدته لم تغادر بيتها طيلة تلك المدة خشية أن يتعرض لها الشرطة الذين يتربصون بالمحجبات لخلع حجابهن.

كما نقل أحد الذين عايشوا تلك الظروف، قال:

«كنّا جماعة مجتمعين فى غرفة فى ظل احتياط أمنى شديد نبكى على مصاب الحسين عليه السلام وإذا بشرطى يداهم المنزل، فلم ندرِ ما نفعل؟ وبماذا نبرّر له وجودنا وجلوسنا هنا؟ فألهمنا الله تعالى فوراً طريقة الخلاص حيث تمدد أحدنا وسط الغرفة وألقينا عليه غطاءً، وعندما سألَنا الشرطى عن سر اجتماعنا وبكائنا، أشرنا إلى الشخص المسجى وسط الغرفة، فاقتنع وعاد».

فانظر إلى أىّ مدى بلغ فرض التبعية على الناس بحيث منعوهم حتى من البكاء على إمامهم عليه السلام فى يوم مصابه.

لماذا لم يفعلوا هذه الفظائع فى ثورة التنباك؟ لأنّهم لم يستطيعوا، وعندما استطاعوا ذلك فى عهد البهلوى الأوّل، لم يترددوا أبداً، وهذه الحقيقة كشف عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (حتّى يردّوكم عن دينِكم إن استطاعوا). فهذه حقيقة من الحقائق التاريخية يدلّ عليها استخدام كلمة (لن) التى تفيد النفى المؤبد كما ذكرنا ذلك سابقاً .

إذن، التبعية تبدأ من نقطة، قد تكون اقتصادية أو سياسية ولكنّها لا تتوقّف عادة حتى مرحلة الذوبان الكلى، كما حصل فى أسبانيا التى ازدهرت فيها الحضارة الإسلامية عدة قرون، ولكن الأعداء دمّروا فيها الإسلام تدميراً كاملاً حتى لم يعد لتلك الحضارة أى أثر، وهذا هو هدفهم، ومَن يتصوّر أنّ الأمر يتوقّف عند حدود التبعية الاقتصادية أو التبعية السياسية فهو واهم.

۲. التبعية الثقافية

التبعية أنواع، فهناك التبعية الاقتصادية، والتبعية السياسية، والتبعية الاجتماعية، وهناك التبعية الثقافية، وهى أخطر أنواع التبعية، لأنّها تنبع من الداخل، فإنّ التبعية المفروضة من الخارج أمدها قصير فى العادة، فى حين أنّ التبعية إذا نبعت من الداخل وتحوّل الفرد إلى مستعبَد بمحض إرادته، فهذه العبودية ستكون طويلة وربما أبدية.

وقد نُقل أنّ مجموعة من العبيد الذين حرّرهم أحد الحكام خرجوا فى تظاهرات رافضين التحرير ومطالبين بإبقائهم عبيداً! حيث أنّهم أُشربوا فى قلوبهم العبودية والتبعية للأسياد، وإذا كان الشىء نابعاً من الداخل صعُب علاجه، وهذه هى التبعية التى يعمل المستعمرون على غرسها فى صفوف المسلمين.

نذكر شاهدين على ذلك:

الشاهد الأوّل من العراق: فلقد واجه البريطانيون فيها مقاومة عنيفة، فواجهوا قوة الدين، وكان ثقيلاً عليهم وهم الإمبراطورية العظمى والوحيدة كما يقولون أن يُهزموا فى العراق أمام مجموعة من الحفاة. وهناك تحليل يقول: إنّ الدول العظمى يهمّها اعتبارها وسمعتها أكثر من أىّ شىء آخر، وكثير من المواقف يتّخذونها من أجل ذلك، وهذا ما خسرته بريطانيا المسمّاة بالعظمى فى العراق!

«تقول الجاسوسة البريطانية فى العراق فى مذكراتها «مذكرات مس بيل»: «ففكرنا بطريقة لمواجهة الحالة، وانتهينا إلى ضرورة فصل المجتمع عن علماء الدين ومراجع التقليد»، ولكن كيف؟ تقول: «عن طريق إنشاء المدارس الحديثة!».

وكانوا يوفدون أولاد رؤساء العشائر والشخصيات المهمة إلى اسطنبول بذريعة الإعداد العسكرى وتلقى التدريبات، ويقومون ثمة بشحن عقولهم بما يشاءون.

وهكذا كانوا يقومون بإعداد أفراد من داخل المجتمع العراقى لا يفكّرون إلّا بالطريقة الغربية وبما يخدم مصالح الحكومات الأجنبية.

وإذا راجعتم تاريخ العراق فى ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين لرأيتم أنّ كثيراً من النوّاب والوزراء المهمّين وقادة الجيش وأغلب الشخصيات السياسية البارزة كانوا خرّيجى هذه المدرسة، فتصوّر كيف سيكون وضع البلد الذى يحكمه أفراد من أبنائه تحكمهم عقلية الحكومات الغربية!

الشاهد الثانى من إيران: لقد كتب أحد السفراء الغربيين تقريراً حول الأوضاع فى إيران يقول فيه:

«إنّ مشكلتنا فى إيران تتلخّص فى الملالى والبازار (أى رجال الدين والسوق)، فأىّ قانون نضعه إذا رآه الملّا مخالفاً للدين يحرّك السوق، والسوق يضغط بدوره على الحكومة، وبالتالى لا نتمكن من تطبيق ذلك القانون».

يقول: «والحل فى ذلك أن نضعف التجار وأن نضعف نفوذ رجال الدين عن طريق إنشاء المدارس الحديثة».

من مظاهر التبعية الثقافية فى بلاد المسلمين: حدّث السيد الوالد ?ما مضمونه :

«أنّه كان وزير للمعارف فى العراق يقال له خليل كنة، وقد تبوّأ هذا المنصب فى خمس دورات متعاقبة».

يقول الوالد: ذهبنا إليه، فرحّب بنا، فبدأنا الكلام بذكر حديث شريف عن النبى عليه السلام يقول فيه: «صنفان من أمّتى إذا صلحا صلحت أمّتى وإذا فسدا فسدت أمّتى: الأمراء والعلماء» وقلنا له: أنت من الأمراء.

فقال: الأمراء وأنا منهم أكثرهم غير صالحين، ثم سألَنا عما أتى بنا وقال: ماذا تريدون؟

قلنا: نريد أن نتحدّث معك حول مناهج التعليم.

قال: تفضلوا.

قلنا: المناهج الموجودة لا تدرّس مادة الدين بشكل كامل، إذ إن الدين لا ينحصر فى العبادات كالصلاة والصيام.

قال: ماذا تريدون مثلاً؟

قلنا: إن الجانب السياسى فى الإسلام مهمل تماماً فى المناهج الدراسية، وهكذا الجانب الاقتصادى والجانب الاجتماعى والجانب العقائدى مثل نظرة الدين إلى الكون والحياة فهذه الأمور كلها يجب أن تدرج ضمن المناهج الدراسية.

يقول الوالد: وهنا ضحك الوزير وقال: إنّنى مع كونى وزيراً للمعارف، لا أعرف عن هذه الجوانب شيئاً»!

وهذه هى المشكلة، فإذا كان وزير المعارف لا يعرف شيئاً عن هذه الأمور، فمن الطبيعى أن يدرّس الاقتصاد الغربى والسياسة الغربية وعلم الاجتماع الغربى وعلم النفس الغربى و ... فى المدارس وعندما يكبر الطالب تكون عقليته غربية ومنطلقاته فى الحياة غربية، ولذلك يقود البلاد نحو الغرب.

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

۳. وسائل مكافحة التبعية الثقافية

وهى متعددة نذكر منها:

أ إنشاء المعاهد التعليمية ابتداءً من الابتدائية وانتهاءً إلى الجامعة.

وهذا الأمر ممكن وعملى ونافع حتى لو فكّرنا فيه بلحاظ معادلات الربح والخسارة.

والذين ذهبوا إلى الغرب واجهوا هذه المشكلة، لكنّا نحن مع الأسف قليلو الانتباه لهذه النقطة المهمة، إننا نحتاج إلى مزيد من المعاهد الإسلامية فى بلاد الغرب، بل فى بلادنا، يحتاج العراق اليوم إلى معاهد تعليمية موجّهة، أفلا نتمكن من القيام بدور ولو محدود فى هذا المجال؟

وقبل ذلك ألا نستطيع إنشاء دورات تعليمية فى العطلة الصيفية؟ وهل نعلم تأثيرها الكبير؟

لقد بدأ الوالد ?أوّل حلوله فى الكويت بإنشاء دورات فى العطل، وكثير من المتديّنين الذين نعرفهم اليوم هم خرّيجو تلك الدورات.

نقل لى أحد الإخوة هذه القضية وهى فى الواقع قضية مؤلمة جداً أنقلها لكم لتعرفوا حجم الخطر، قال:

«إن إحدى العوائل المتديّنة العريقة التى هاجرت إلى الغرب أرسلت ابنتها إلى المدرسة لتكمل دراستها، وماذا يمكن للمرء أن يفعل هناك؟ إما أن يرسل أولاده إلى المعاهد الغربية الكافرة، أو المعاهد الوهابية المنحرفة، أو يتركهم فى البيت ويعنى هو بتعليمهم.

وفى يوم من الأيام طُرق الباب، فخرج الأب يتطلع مَن الطارق؟ وإذا بشخص زنجى ضخم واقف على الباب، سأل من الرجل: ماذا تريد؟ أجابه أنا صديق ابنتك، أريد لقاءها! فارت فى عروق الرجل دماء الحمية والغيرة، وصفع الرجل الزنجى، فذهب إلى سبيله.

وبعد دقائق طُرق الباب ثانية وإذا بالرجل الأسود ومعه شرطى، قال الشرطى لصاحب الدار: إن عقوبتك السجن لصفعك هذا الرجل، ولكنه عفا عنك، وأمامك الآن أحد طريقين، فإما أن نأخذ منك ابنتك وندعها ترافق هذا الرجل، وإما أن تسمح له بأن يدخل بيتك لملاقاة بنتك.

فكّر الرجل قليلاً ورأى أنّ السماح للزنجى بالدخول أهون الشرين، وعندما دخل الزنجى جاء الأب وجلس بين يديه وتوسّل إليه أن يشهد الشهادتين، فتلفّظ بهما الزنجى على مضض، فعقد له الرجل على ابنته لتحلّ له».

وهذا نموذج لما يحدث لبعض العوائل فى بلاد الغرب، ولا نحتاج إلى أن نذهب إلى بلاد الغرب، فإنّهم بدأوا يصدّرون هذه الظواهر إلينا، فمن الظواهر المعقّدة فى هذا البلد مثلاً (يعنى إيران) ظاهرة هروب الصبايا من منازل آبائهن!

نعود إلى موضوع إنشاء المعاهد، وأذكّركم بتجربة مدارس حفاظ وحافظات القرآن الكريم فى كربلاء المقدسة، حيث كان يدرس فيها زهاء ثلاثة آلاف طالب وطالبة يتلقّون فيها العلوم الدينية إلى جانب العلوم الأكاديمية، فكانوا يتلقّون علوم القرآن والفقه والتاريخ إلى جانب علوم الكيمياء والفيزياء واللغة. ولقد ظهرت نتائج تلك التجربة، فقد انتشر هؤلاء فى شرق الدنيا وغربها حاملين لواء الإمام الحسين عليه السلام ومشعله فى ظلام الكفر الدامس.

ب اجعلوا بيوتكم قبلة:

نقل لى أحد الإخوة أن مجموعة من المؤمنين الذين يعيشون فى بلاد الغرب رأوا أولادهم وبناتهم على خطر عظيم، فأينما يذهبون يواجههم خطر الانحراف، لأنّ ثقافة العرى منتشرة فى كل مكان، سواء على البحر أو فى المسابح أو أجهزة المذياع والتلفاز والكمبيوتر والفضائيات والصحف، فالفرد ينظر إلى الانحراف ويسمع الانحراف ويحيط به الانحراف من كل مكان، ففكّر هؤلاء أن يصنعوا مجمّعات ويوفّروا لأبنائهم وبناتهم وسائل الترفيه والراحة فيها، بدلاً من أن يتبعثروا ويذوبوا فى المجتمع الغربى.

يرى البعض أنّ هذا هو المقصود من قوله تعالى?: وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً، ?أى لا تتوزّعوا وتتبعثروا وتتشتّتوا فى المجتمع المنحرف فتذوبوا فيه، بل لتكن بيوتكم بعضها بجوار بعض ومقابل بعض. يقول الناقل:

«وقد فكر هؤلاء أنّهم لا يمكن لهم أن يمنعوا أولادهم من الذهاب إلى المسابح الغربية ففكروا فى إنشاء مسابح خاصة بهم، وبالفعل فقد أنشأوا مسبحاً كلّفهم ثلاثة ملايين ونصف مليون بوند».

إذن الأمر الأوّل الذى نحتاج إليه فى مواجهة التبعية الثقافية والذوبان الثقافى هو بناء المعاهد العلمية الموجّهة، فلنبدأ بذلك، ولو على مستوى الدورات الصيفية، فإنّها مؤثّرة جداً.

ج تقديم البدائل الفكرية:

لا يكفى للمهتم بشؤون المجتمع أن يقول إنّ أمراً ما هو خاطئ، بل عليه تقديم البديل الصحيح أيضاً، ونحن عندما نقول مثلاً إنّ السياسة الموجودة غير صحيحة، فالمطلوب منّا تبيين السياسة الصحيحة، وهكذا فى فروع الحياة الأخرى كالاقتصاد والتربية والعلوم الإنسانية تدرّس فى الجامعات الحديثة، وهذا الأمر بحاجة إلى تخصّص واجتهاد.

لقد ربّى الإمام الصادق عليه السلام مجموعة من التلاميذ، وكان كلّ منهم متخصّصاً فى مجال، فإذا كان السائل يبحث عن مسألة فى

علم الكلام قيل له: عليك بهشام بن الحكم، وهكذا فى سائر الفنون.

إنّ تقديم البدائل يتطلّب منّا تخصّصاً ومعرفة بالمبانى والمناهج ويحتاج إلى اطّلاع على الصغريات الخارجية، لأنّ بيان الحكم كما يحتاج إلى معرفة الكبريات الكلية يحتاج إلى معرفة الصغريات الخارجية أيضاً، كما لابد أن يتفرّغ كلٌّ منّا لأحد الفروع والمجالات، كالسياسة والاقتصاد والاجتماع، فعلم الاجتماع مثلاً مليء بالنظريات الإلحادية، فلابد من أن نعرض إزاءها نظريات إسلامية.

د الاهتمام بالأدب والفن:

كان البعض يُشكل على تسمية نهج البلاغة من قِبل الشريف الرضى ?ويقول كان ينبغى له أن يسمّيه نهج الحياة، ولكن هذا الإشكال غير وارد، وذلك لما للأدب من دور ريادى فى الحياة؛ ولقد اختار الشريف الرضى ?النصوص التى تشكّل القمّة فى البلاغة من كلام الإمام عليه السلام، وكلماته عليه السلام وإن كانت نهج الحياة، ولكن جميعها ليست بالضرورة قمماً فى البلاغة، فإنّ الأئمة عليهم السلام كانوا يكلّمون الناس على قدر عقولهم، فكانوا يضطرّون أحياناً للتكلّم بلغتهم، أما ما جمعه الشريف الرضى ?فى هذا الكتاب فهى القمم من الناحية البلاغية والتعبيرية من كلمات الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ولقد كان ذلك من أسباب نفوذ كتاب نهج البلاغة وانتشاره.

فالأدب مهم والفن مهم، ولقد غفلنا نحن كثيراً عن هذا الجانب، فى حين إنّ له تأثيراً كبيراً فى صياغة عقليات الناس بصورة مباشرة وغير مباشرة.

هل تعلمون على سبيل المثال مدى تأثير أفلام الكارتون فى عقول الأطفال؟ وهل تعلمون أنّ كثيراً من هذه الأفلام تحمل إلى أطفالنا قيم الحضارة الغربية؟ إنّ لكل حضارة قيماً، وإنّ الأفلام المنتجة فى الغرب تعبّر عادة عن تلك القيم، وهى تنتقل إلى أولادنا الصغار حتى ذوى الخمسة أعوام أو أقل، وينشأ أولادنا على تلك القيم من حيث لا نعلم.

وقد صدر قبل فترة كتاب فى الغرب ألّفته امرأة غربية، قالوا إنّه بيع منه فى اليومين الأوّلين من نشره فقط ثمانية ملايين وستمئة ألف نسخة، أى بما معدّله أربعة ملايين وثلاثمئة ألف نسخة فى اليوم، ونُشر تقرير يقول: إنّ المكتبات تعمل ليل نهار بسبب وجود طوابير من الناس منتظرة لاقتناء نسخة من الكتاب!

يقول أحد الإخوة المؤمنين:

«حصلت على فلم معدّ عن الصدّيقة الزهراء ?أنتجه حديثاً بعض الشباب المؤمنين، فرأيت أنه من الأفضل أن أقدّمه لابنى الذى يبلغ من العمر حوالى ستة أعوام. وفى أحد الأيام دخلت غرفته فرأيته يشاهد الفلم ودموعه تنهمر كالمطر».

وهذا يدلّ على تأثير الفن فى النفوس، فهذا الطفل الصغير ذو الستة أعوام تأثّر بالفلم على حدود فهمه وغرق فى البكاء!

تصوّروا إذاً ما عمله الغربيون بالعالَم عن طريق الأفلام والقصص والروايات والكتب!

بالهمة والتوكل على الله يصبح العطاء ثرّاً

لا يقولنّ أحد إنا لا نتمكّن، فإننا قادرون بإذن الله تعالى على التقدّم فى هذه المجالات إذا شمّرنا عن سواعد الجدّ وتوكّلنا على الله وتفرّغ بعضنا للتخصّص فيها.

أنقل فيما يلى هذا المطلب عن السيد العم حفظه الله، قال:

«إنّ أمّهات الكتب الفقهية الشيعية المؤلّفة من عهد الشيخ المفيد ?إلى يومنا هذا، حتى الرسائل العملية، إنما تبتنى على مجموعة من روايات أهل البيت عليهم السلام، فإنّ عمدة الدليل فى الفقه هو الدليل الثانى أى الأخبار والروايات، صحيح أنّ القرآن الكريم يقع فى الرتبة الأولى ولكنّه يُجمل الحديث فى كثير من الموارد، أما الروايات فهى تمتاز بالكثرة والتنوّع وبيان التفاصيل.

وهذه الروايات نقلها لنا مجموعة من الثقات أمثال زرارة بن أعين وأكثر من عشرة من إخوانه وأخت واحدة لهم.

أنا أخمّن أنّ خمس فقهنا تقريباً يبتنى على هؤلاء!

ولكن هل تعلمون مَن الذى كان سبباً فى هداية هذه المجموعة؟ إنّه رجل أفغانى يقال له أبو خالد الكابلى، فهو رأس الخيط فى استقطاب هؤلاء إلى الإيمان، بينما لم يكونوا مؤمنين من قبل».

انظروا كيف استطاع شاب واحد أفغانى أن يترك أثراً عظيماً وامتداداً تاريخياً يعود لأكثر من ألف عام وقد يستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إذن لا يقل أحد منّا أنا لا أقدر، فقد يحتجّ الله تعالى علينا يوم القيامة بأبى خالد الكابلى، ولعلّ بينكم مَن هو أكثر قدرة منه»!

إذن المطلوب منا أن نبدأ بملء هذه الفراغات بالتوكل على الله تعالى والاستمداد منه والاستعانة بأوليائه الطاهرين، نسأله سبحانه أن يوفّقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الجد والاجتهاد

الجد والاجتهاد

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

نتحدث عن هذا الموضوع بإذن الله تعالى ضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الجدّ والاجتهاد فى مجال الطاعة والعبادة.

المبحث الثانى: الجد والاجتهاد فى مجال التعلّم والمعرفة.

المبحث الثالث: الجد والاجتهاد فى مجال العمل والخدمة.

ولكن قبل أن نخوض فى هذه المباحث نقدّم مقدمة قصيرة وهى: أن كلّ عمل يقوم به الإنسان يبتنى على فلسفة فكرية معيّنة، بدون فرق فى ذلك بين أن يكون العمل حقيراً أو خطيراً، بل ثبت فى علم الحكمة الإلهية أنه لا يمكن بالإمكان العقلى صدور عمل معيّن إلا إذا كانت لدى الفاعل غاية معيّنة، عبّروا عنها هناك بالعلة الغائية، ولكننا نعبّر عنها هنا بالفلسفة الفكرية للعمل.

قد تجدون طالبَين من طلاّب العلم يختلفان من ناحية العمل، فترون الأوّل يستيقظ قبل الفجر بساعة ليبدأ بالعبادة والطاعة والبحث والمطالعة مع أنه لم ينم قبل الساعة الثانية عشرة ليلًا، بينما يظلّ الثانى نائماً حتى الساعة العاشرة صباحاً، فهذا الاختلاف يبتنى فيما يبتنى على الفلسفة الفكرية لكلّ منهما.

كان السيد الوالد ?يقول: بعض الأفراد عندهم فلسفة التأخر فى الحياة؛ لأن للمتأخرين فلسفة فى الحياة أيضاً! فلو قيل لأحدهم: لماذا أنت متأخّر؟ ولماذا لا تعمل؟ أو لماذا لا تجدّ فى طلب العلم؟ فلن يعدم الجواب ولن يعدم الفلسفة الفكرية التى تبرر له عمله، ولكنها فلسفة التأخّر كما أن هناك فلسفة للتقدم تكمن وراء تقدّم الأفراد المتقدّمين فى الحياة.

إذا اتضحت هذه المقدمة تبدو لنا حينئذ أهمية معرفة الفلسفة الفكرية التى يبتنى عليها الجدّ والاجتهاد فى هذه المجالات الثلاثة.

۱. الجد والاجتهاد فى مجال الطاعة والعبادة

هنالك بعض الأفراد يوجد لطاعته وعبادته لله سبحانه سقف معيّن يظنّ أنه إذا بلغه بلغ الحدّ الأقصى من العبادة وانتهى بعد ذلك كلّ شى، فيتصوّر مثلًا أنه بلغ القمة فى العبادة إذا كان ملتزماً بالفرائض اليومية أو كان يؤدّى نافلة الليل فوق ذلك، أو كان ملتزماً بما ورد

فى الروايات الشريفة من صلاة إحدى وخمسين (أى أداء النوافل إضافة للفرائض اليومية)، أو كان يقرأ دعاء كميل كلّ ليلة جمعة ودعاء الصباح عقيب صلاة الفجر، إنه يشعر عندئذ أنه أدّى الوظيفة بل زاد عليها، وقد يُدلّ على الله تعالى بعمله، مع أن عبادة الله تعالى وطاعته لا تقف عند حدّ معيّن إلا عجز الفرد، وهذا أيضاً ليس حدّاً حقيقياً وإنما هو من باب التسامح فى التعبير، وإلا فليس للطاعة والعبودية لله تعالى حدّ معيّن تقف عنده.

والعجز قد يكون تكوينياً؛ فإن الإنسان لا يستطيع الاستمرار على العبادة من دون أن ينام مثلاً، فيكون فى مثل هذه الحالات مضطرّاً للانقطاع عن العبادة، وهذا ما نعبّر عنه بالعجز التكوينى، أى أن تكوينه لا يسمح له بالاستمرار أكثر، وإذا ما أجبر نفسه على الاستمرار فإنه سينهار.

وقد يكون العجز تشريعياً، ومثاله أن الطالب عندما ينشغل بطلب العلم الواجب فإنه لا يمكنه آنئذ أن يجمع بين البحث والدراسة وطلب العلم وبين قراءة القرآن والأدعية وأداء العبادات الأخرى عادة. إذن ليس لعبادة الله تعالى وطاعته حدّ معيّن.

وهذه الحالة تبتنى على فلسفة فكرية ذُكرت فى رواية رواها الشيخ الكلينى ?فى كتابه (الكافى) عن الإمام الصادق عليه السلامقال: قال رسول الله عليه السلام: من عرف الله وعظّمه منع فاه من الكلام وبطنه من الطعام وعنّى نفسه بالصيام والقيام.

[عظّمه: عدّه عظيماً، منع فاه من الكلام: لعل المقصود منه الكلام الذى لا يعنيه، وبطنه من الطعام: لعل المراد الطعام أكثر من المقدار الضرورى، وعنّى نفسه بالصيام والقيام: أى أتعبها بالصوم فى النهار والعبادة فى الليل]. فجذر العبادة معرفة الله عزّ وجلّ.

وفى حديث روى عن النبى الأعظم عليه السلام أنه قال: ما عبدناك حق عبادتك وما عرفناك حقّ معرفتك.

وكلما زادت المعرفة زادت العبادة، وقد نقل عن بعض العبّاد أنهم لم يكونوا طوال عمرهم ينامون فى الليل ولا يأكلون فى النهار، بل كانوا يصومون نهارهم ويقومون ليلهم فكانوا منشغلين بعبادة الله تعالى دائماً، وهكذا الأمر فى الخشية، فمن كانت معرفته بالله تعالى متواضعة كانت خشيته منه قليلة، لأن الخشية ليست عملاً اختيارياً بل للخشية مبدأ هو المعرفة، فلو عرفت أن شخصاً ما عظيم بدرجة ما فإنك تقوم تجاهه بتعظيم يتناسب مع معرفتك، ولكن إذا انكشف لك أنه فوق ما كنت تتصوره فإن تعظيمك واحترامك سيكون أكثر، فكيف بالله تعالى الذى لا حدّ لعظمته وجلاله؟! وما قدر أعمالنا فى جنب عظمته.

لقد كان الماء فى السابق يمثّل مشكلة كبيرة وكان الحصول على الماء الصالح للشرب أمراً عسيراً وقد يعود كذلك فى المستقبل، ويقول العلماء إن حروب المستقبل ستكون من أجل الصراع على الماء? قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ? وكانوا قديماً يضعون التمر فى الماء المالح لتقليل ملوحته، ولمثل هذا الماء كان يقال النبيذ، فلكلمة النبيذ الواردة فى الروايات معنيان هذا أحدهما.

ويحكى ما مضمونه أن بدوياً كان يقطع الصحراء فمرّ بموضع رأى فيه حفرة اجتمع فيها ماء المطر فقال يخاطب نفسه: هذه أفضل هديّة أقدّمها للملك إذا دخلت عليه، فملأ قربة كان يحملها حتى ورد المدينة فدخل على الملك وقدّم له ذلك الماء، فشكره الملك على هديته وكافأه ثم أمر خدمه أن يصطحبوه إذا خرج ويمرّوا به على الطريق الذى يطلّ على النهر الكبير للمدينة كنهر دجلة فى بغداد مثلاً يقال: عندما رأى الأعرابى هذا النهر الممتلئ بالمياه العذبة كاد أن يذوب خجلاً من تواضع هديته التى قدّمها إلى الملك.

ونحن أيضاً عندما ننتقل إلى الدار الآخرة فسوف تعترينا هذه الحالة، ونندم على ضآلة ما قدّمناه، ولعل من هنا كان من أسماء القيامة يوم الحسرة والندامة، إننا سنرى أن كل ما قدّمناه ضئيل وحقير بالنسبة لما تتطلّبه الآخرة؛ يقول الله تعالى?: لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ.?

وقد روى أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كتب على كفن سلمان الفارسى:?

وفدت على الكريم بغير زاد

من الحسنات والقلب السليم

وإذا كان هذا الكلام يقال فى سلمان فماذا نقول نحن؟

وما قدر أعمالنا فى جنب عظمة الله تعالى؟

لو قام البعض منا بأداء صلاة الليل تصوّر أنه بلغ المرحلة العليا فى العبادة وأنه أصبح فى مصاف أولياء الله تعالى وخلصائه، وقد يتصوّر أنه لا يوجد على سطح الأرض أو تحت السماء مثله! هذا فى حين أننا محدودون بالكسل والعجز التكوينى والتشريعى فى عبادتنا لله تعالى، لذلك ينبغى لنا أن نخاطب الله سبحانه وتعالى دوماً ونقول له: اللهم عاملنا بفضلك ولا تعاملنا بعدلك، ونردد ما ورد فى الدعاء الوارد عقب زيارة الإمام الرضا عليه السلام: لا تُحمد يا سيدى إلا بتوفيق منك يقتضى حمداً، ولا تُشكر على أصغر منّة إلا استوجبت بها شكراً، فمتى تُحصى نعماؤك يا إلهى وتجازى آلاؤك يا مولاى.

روى الحرّ العاملى فى كتابه (وسائل الشيعة) قال: ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه أحد فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء حتى كادت أن تحترق، ودبرت جبهته وانخرم أنفه وورمت ساقاه وقدماه من القيام فى الصلاة، قال أبو جعفر: فلم أملك حين رأيته بتلك الحال، فبكيت رحمة له. فالتفت إلىّ بعد هنيئة من دخولى فقال: يا بنى أعطنى بعض تلك الصحف التى فيها عبادة على بن أبى طالب عليه السلام، فأعطيته، فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علىّ بن أبى طالب عليه السلام؟

لا شكّ أن عبادة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كانت عبادة متعددة الأبعاد، لأنّ العبادة فى معناها الأعم تعنى استعمال الإنسان قواه فى سبيل المعبود، ولقد كانت حياة أمير المؤمنين عليه السلام كلّها عبادة لله تعالى وكانت مشروعاً دائماً للتضحية فى سبيله، ولم يكن مبيته عليه السلام فى فراش النبى عليه السلام ليلة المبيت المعروفة إلا نموذجاً مشهوداً لتلك التضحيات المستمرّة، وإلا فإن الإمام عليه السلام كان يقدّم نفسه فداءً لرسول الله عليه السلام فى كلّ المواقف، ولولا تلك المواقف التى وقفها أمير المؤمنين عليه السلام فى الذبّ عن رسول الله عليه السلام لما زُرعت ضدّه تلك الأحقاد البدرية والأحدية والخيبرية والحنينية وغيرهن، ولما أبغضه إمام أحد المذاهب حيث قتل الإمام جدّه لأمّه (الخارجى المعروف بذى الثدية) فى معركة النهروان. وكان الإمام عليه السلام يعلم بأن مواقفه هذه ستنتج تلك الأحقاد، ولكنه مع ذلك لم يتوانَ عن أداء حقّ العبودية الخالصة لله تعالى وفداء نفسه لنبيّه عليه السلام.

ولقد أشارت الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ?إلى مواقف أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى خطبتها المعروفة بقولها: قذف أخاه فى لهواتها.

وكما أكرم الله تعالى نبيّه عليه السلام فى الدنيا فقرن اسمه عليه السلامباسمه تعالى، فكذلك أكرم علياً عليه السلام وقرن اسمه باسم نبيّه عليه السلام، وسينكشف لنا فى الآخرة بعض آخر مما ادّخر الله تعالى لهما وللإمام زين العابدين وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام من عطاء وتكريم.

وقد روى أنه سُئلت خادمة للإمام السّجاد عليه السلام عن عبادته فقالت: أطنب أم أختصر؟ فقيل لها: بل اختصرى، فقالت: «ما أتيته بطعام نهاراً قطّ، ولا فرشت له فراشاً بليل قطّ».

وهذا معناه أن الإمام عليه السلام لم يكن يفطر إلا فى يوم العيد، وكان فى سائر الأيام صائماً نهاره قائماً ليله، ومع ذلك يقول من يقوى على عبادة أمير المؤمنين؟! فأين نحن من عبادته وعبادة سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد كانوا القمّة فى العبادة؟! فلنعرف إذن على الأقلّ أننا نعيش فى السفوح؛ لأن هذه المعرفة نفسها قد ترتقى بنا شيئاً فشيئاً.

۲. الجد والاجتهاد فى مجال التعلم والمعرفة

إن النهضة والبناء الحضارى للأمم يقودها العلماء، ولذلك يحاول الأعداء أن يبقونا فى حضيض الجهل والتخلّف، وبالمناسبة أنقل لكم القضية التالية وهى أن أحد الشباب أراد الذهاب إلى الغرب للدراسة فى حقل الاقتصاد، فنصحه السيد العمّ ?أن يواصل التحصيل

فى هـذا المجال ولا يعود إلا بعـد أن يبلغ أعلى الدرجات وإن استغرق ذلك منه مدة طويلة، وذهب الشاب والتحق بإحدى الجامعات الغربية، وبعد أن حصل على الشهادة المتعارفة قدّم طلباً للمسؤولين عن الجامعة يخبرهم أنه يريد الاستمرار حتى المرحلة العليا، فأرسلوا إليه شـخصاً يهودياً خلا به وبـدأ يسأله أسـئلة دقيقة حول حياته، والشابّ يجيب، فسأله عن منطقته وأقربائه ومهنهم، وسأله عن أصدقائه ومن يلتقى بهم، ولكنه بقى كمن يبحث عن حلقة مفقودة دون أن يجدها.

يقول الشاب:

وأخيراً قـال لى: لـدىّ سؤال واحـد، وهـذه الأسـئلة كلّها كانت مقدّمـة للوصول إلى جواب هـذا السؤال ولكنى لم أصل إليه؛ ولـذلك أسألـك الآن: من الـذى اقترح عليك البقاء من أجل مواصـلة الدراسـة حتى المراحل العليا؟ فإنى لا أرى فى هؤلاء المحيطين بك من هو أهل لذلك.

فقلت له: إن فى بلدنا عالماً من علماء الدين هو الذى حثّنى على ذلك.

فقال: لقد انحلّت العقدة ووصلت إلى الحلقة المفقودة.

ولكنهم بعـد ذلـك حاولوا بمختلف الأساليب ثنيى عن الاسـتمرار، ومن جملـة الأمور التى قالها لى ذلك اليهودى: إن بلادكم متخلّفة وإن المقدار الذى حصلتَ عليه من العلم يكفيك لخدمتها، وإن الزائد لن يفيدك فى مجال تقديم الخدمة لبلادك.

واقتنع الشاب بهذا المنطق وعاد إلى البلاد.

لقد جعلوا بلادنا كطائر حبيس فى قفص لا يمكنه التحرّر منه، وبقيت مقدّراتنا بأيديهم سواء فى عالم السـياسة أو الاقتصاد أو الاجتماع ومن أسباب ذلـك أن لهم مفكرين فى كـل المجالاـت، وحتى الكتب التى تـدرّس فى جامعاتنا فى علم الاجتماع والاقتصاد وغيرهما هى كتب تحتوى على أفكار الملحدين والمنحرفين، فكم منظّراً اقتصادياً واجتماعياً وسياسـياً عندنا؟ وكم مؤلفاً لدينا كصاحب الجواهر الذى أنفق الأعوام الطويلة من عمره لتأليفه؟ إن الاكتفاء ببضعة دروس فى اليوم الواحد لا يصنع مؤلفاً مثل صاحب الجواهر.

ألا نحتاج اليوم إلى نهوض فقهى؟ فهل من يكتفى بتلقّى بعض الدروس البسـيطة ويقضـى ليله ونهاره بالكسل مرشّح للقيام بهذا الدور والإجابة على التساؤلات القائمة؟ كلا بالطبع، إن الأمر بحاجة إلى عمل دائم وسعى حثيث وجهد متواصل من طالب العلم عسى يمكنه تقديم شىء يساهم فى خلق النهوض الفقهى أو الحضارى؛ يقول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمنى

ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

إن كتاب (مفتاح الكرامة) للسيد جواد العاملى من الكتب الفقهية الرائعة، ومن يراجعه يقف مذهولاً أمام الذهن الوقّاد لمؤلفه، حتى أن أحد العلماء المعاصرين شبّه ذهنه بالحاسوب (الكمبيوتر)، فهل يتصوّر أن هذا العمل الضخم أتى من فراغ ومن دون جدّ واجتهاد؟ كلاّ بالطبع.

ينقل حفيده بعض أحواله فيقول:

«كنت أعيش مدة فى بيت جدّى، فكان إذا أراد النوم وضع رأسه على كفّه وغفا إغفاءه قصـيرة ثم نهض وواصل الكتابة! ولقد قال لى مرة: كم تنام؟ وإلى متى هذا الحب للنوم؟».

لو راجعتم كتاب (مفتاح الكرامة) للاحظتم أنه يذكر فى آخر بعض مجلداته عبارات من قبيل:

«(قـد فرغت من تأليف هذا الكتاب قبل منتصف الليل، أوقد فرغت من هذا المجلد بعد منتصف الليل، أوقد فرغت منه فى الربع الأخير من الليل، أوقـد فرغت منه فى ليلـة القدر) مما يكشف أنه كان يكتب حتى فى ليلة القدر، ولقد سـئل ما أفضل الأعمال فى ليلة القدر؟ فقال: طلب العلم، بإجماع علماء الإمامية».

إن من يريد أن يصبح فقيهاً أو أصولياً أو رجالياً فعليه أن يجدّ ويجتهد.

إن كتاب المامقانى ?فى علم الرجال وحده لعله يقع فى حوالى خمسين مجلداً حسب الطبعة الحديثة، وكتاب الجواهر للنجفى ?يقع فى ثلاثة وأربعين مجلداً، وهكذا كتب الأصول، فمتى سيكمل الطالب دراسة هذه الكتب إذا لم يكن مستعدّاً للسهر ومضاعفة الجهود والسعى الحثيث المتواصل؟! وقديماً قيل: يقول العلم: أعطنى كلّك أعطك بعضى.

٣. الجد والاجتهاد فى مجال الخدمة والعمل

وفى هذا المجال أذكر كلمتين:

الكلمة الأولى للسيد الوالد ?حيث كان يدعو للوقوف عند ثلاث آيات فى القرآن الكريم، وهى:

الآية الأولى قوله تعالى?: وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ?فهذه الآية المباركة دعوة للعمل.

الآية الثانية قوله تعالى?: وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ?وهذه الآية لا تكتفى بالدعوة إلى العمل بل تحثّ على المسارعة فيه أيضاً.

الآية الثالثة قوله تعالى?: فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ ?فههنا دعوة للمؤمن لأن يكون فى حالة سباق فى العمل، وهذا يتطلّب منه استنفاد كلّ طاقاته.

الكلمة الثانية للسيد العم (السيد المجتبى)، ?حيث قال:

إن هناك أربع مراحل للعمل بالنسبة لطالب العلم:

المرحلة الأولى: المرحلة الطبيعية، وفيها يتلقّى طالب العلم الدروس المقرّرة فى كلّ يوم، ويكتفى بذلك.

المرحلة الثانية: هى أدون من المرحلة الأولى، حيث لا يلتزم الطالب فى هذه المرحلة بمقتضيات المرحلة الطبيعية.

المرحلة الثالثة: هى ما فوق المرحلة الطبيعية وفيها يضاعف الطالب من جهوده فى طلب العلم.

وأما المرحلة الرابعة فيمكن أن نعبّر عنها بمرحلة الرجال المحاصَرين، أرأيت الرجال المحاصَرين من قِبل العدو فى قلعة مهدّدة بالسقوط؛ كيف سيتصرفون؟! تراهم لا ينامون إلا قليلاً ولا يفكرون فى الأكل والشرب كثيراً، بل يبذلون وقتهم وجهدهم وفكرهم كلّه للخروج من الوضع الذى هم فيه، ولا يهدأ لهم بال حتى بلوغ الهدف النهائى وهو النجاة.

حقّاً أين نحن من هذا التفكير والمنطق، منطق المسارعة والتفكير فى كوننا محاصرين، والشعور بأن لدينا مهمة كبيرة وأن كلّ ما نعمله فهو قليل إلى جنب ما هو مطلوب منّا؟ لاسيما ونحن نعيش هذه التحديات الكبرى فى عالم اليوم؛ فالأرقام الموجودة فى العالم فى كلّ المجالات أرقام فلكية، فهل يقنع أحدنا بأنه ألّف كتاباً أو كتابين أو أنه طُبع من كتابه بضعة آلاف نسخة، أو أنه بنى مسجداً ثم يتصور أن هذا غاية المنى وأنه انتهى كلّ شى.

إن هذه الأرقام تنفع على مستوى بلد صغير وليس على مستوى العالم.

لننظر إلى العالم بيد من هو الآن؟ إنه بيد الكفار، فالإعلام بيدهم، والفكر بيدهم ومناهجنا الجامعية هم الذين يضعونها، ودستورنا وقوانينا هم الذين يصوغونها، أما آن أن نختار نحن مصير العالم، كما قال العم الشهيد (السيد حسن الشيرازى):?

قد آن أن نختار نحن مصيره

من قبل أن يختاره الكفار؟

لقد اختار الكفار الآن ومع الأسف مصير العالم يصنعون فيه ما يشاءون ويلعبون ببلادنا ومقدّراتنا كما يلعب الأطفال بالكرة.

إنها لحقيقة مؤسفة؛ إن بلادنا اليوم ألعوبة بيد حفنة من الكفّار.. كلّ شى بأيديهم، سواء التجارة والمال والاقتصاد أو الدعاية والإعلام أو السياسة والفكر والاجتماع، ولا يمكن بهذه الأعمال المتواضعة التى نقوم بها أن نحقق قوله تعالى? وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ، ?لقد بلغنا من الهوان حدّاً بحيث باتوا لا ينظرون إلينا ولا يستمعون لما نقول، فكيف سنقول كلمتنا؟!

فى هـذا العـالم المشـحون بالأفكـار والإمكانات ينبغى لنا أن نسـعى ونعـدو بكلّ طاقاتنا لعلّ الله سـبحانه وتعالى يمنّ علينا بالنجاة، فإنّه تعالى مغيّر الأحوال وهو القائل? وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ.?

إن الإصـلاح التام لا يتحقق إلا فى عهـد الإمام المنتظر عليه السـلام ولكن يمكننا أن نغيّر من سوء حالنا ولو بمقـدار، بالجد والاجتهاد، سواء فى ميدان الطاعة والعبادة، أو فى ميدان العلم والمعرفة، أو فى ميدان العمل والخدمة.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيننا على ذلك كما أعان الصالحين عليه.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

لنكن من المجتهدين

لنكن من المجتهدين

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على محمد وآله الطاهرين واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

مقدّمة

كما أن الأمة بحاجة الى عدد كبير من الخطباء والمؤلفين والمؤسسين والناهضين، فهى بحاجة الى مجموعة كبيرة من المجتهدين.

ولا نعنى بكلامنا هـذا التفكيك بين الاجتهاد والتأليف ولا بين الاجتهاد والخطابـة أو النهوض أو التأسـيس؛ فقـد يكون المجتهد مؤلفاً كما كان العلامـة الحلىّ الـذى ألّف ألف كتاب كما يمكن للمجتهـد أن يكون خطيباً، وقد نقل السـيد الوالد ?أن مجموعة من خطباء إيران قديماً كانوا مجتهدين، ويمكن أن يكون ناهضاً كصاحب الكفاية أو المجدد الشيرازى، إنما نعنى أن هنالك فراغاً كبيراً فى هذا الجانب ينبغى ملؤه كما ينبغى ملء الفراغات الموجودة فى المجالات الأخرى العلمية منها والعملية.

إذن يـدور هـذا الحـديث حول موضوع الاجتهاد وضـرورة ملء الفراغ الـذى تعانى منه الأمّـة فى هـذا المجال، ونتناول هـذا الموضوع ضمن البحوث التالية:

البحث الأول: ما هى حاجة الأمة إلى المجتهدين؟

البحث الثانى: لماذا لا نكتفى باجتهادات المجتهدين الماضين؟

البحث الثالث: هل عملية الاجتهاد منحصرة فى إطار الأحكام الفقهية فقط؟

البحث الرابع: هل الاجتهاد محصور فى قطر أو قومية أو حدود جغرافية معيّنة؟

البحث الأول: الحاجة إلى الاجتهاد

كما أن المجتمع بحاجة إلى أهل الخبرة والاختصاص فى جميع العلوم والفنون، فكذلك الحال فى مجال علم الفقه الذى يُعنى بمعرفة الأحكام الشرعية، وكما أن الثقافة العامة لا تكفى عادةً فى المجالات الأخرى بل لا بدّ من التخصص والخبرة، فكذلك لا يحقّ لمن لم يبلغوا درجة الاجتهاد (أى التخصص فى الفقه) أن يبتّوا فى المسائل الشرعية بتصوراتهم الظنية، مهما بلغت ثقافتهم الدينية العامة، تماماً كما لا يحقّ لغير المتخصص فى مجال الطب معالجة مريض أُصيب بالجلطة القلبية مثلاً، مهما بلغت ثقافته الطبية ومهما قرأ من كتب فى علم الطب مالم يبلغ درجة الخبروية التامة. وقد جرت سيرة العقلاء فى كل المجالات أن لا يستمعوا إلّا لآراء المتخصصين فيها.

إذن، فالحاجة إلى المجتهدين فى الفقه تمثّل صغرى من صغريات كبرى كلية وهى الحاجة إلى أهل الخبرة فى كل علم.

أمـا أن ينبرى شـخص ويقول: هـذا هو فهمى من الآيـة أو الروايـة أو هكـذا أتصوّر روح الإسـلام فهـذا يشـبه من يقول هـذا فهمى من النصوص الطبية أو هكذا أتصور روح الطب، فكما أن الثانى ليس له الحق أن يعمل وفق فهمه مالم يكن متخصصاً فى الطب، فكذلك

لا يحقّ لمن ليس متخصصاً فى الفقه أن يجعل فهمه الخاص مقياساً لاستنباط الاحكام الشرعية.

ولتقريب الحاجة إلى التخصص نضرب مثلاً ذكره صاحب المناهج ?بشيء من التصرف : إذا ورد حديث يقول: «إذا أفطرت يوماً من شهر رمضان متعمداً فأعتق رقبة أو أطعم ستين مسكيناً أو صُم شهرين متتابعين»، فإن فهم هذا الحديث يتوقّف على بحوث كثيرة هنا، ومنها:

هل الخبر الواحد بنحو عام حجة أو لا؟

هل هذا الخبر الواحد بنحو الخصوص حجة أو لا؟

هل الرواة الذين وقعوا فى طريق الخبر ثقات أو لا؟

هل الرواية موثّقة أو حسنة أو ؟...

وهل الخبر الموثق أو الحسن حجّة؟

إذا كان هذا الخبر ضعيفاً ولكنه عمل به المشهور، فهل الشهرة العملية جابرة لضعف السند أو لا؟

هل يجب البحث عن المخصّص والمقيّد والمعارض بشكل عام أو لا؟

لو قلنا بوجوب البحث عن المخصص والمقيّد والمعارض، فهل يوجد فى خصوص المقام مخصّص أو مقيّد أو معارض أو لا؟

إلى أىّ مقدار يجب الفحص عن المقيّد والمخصّص والمعارض؟ هل يكفى الظن أو يجب بلوغ مرحلة الاطمئنان؟ أو لا بد من تحصيل العلم؟

هل صيغة الأمر هنا (أعتق) تدلّ على الوجوب أو لا؟

ما المقصود بالمسكين؟ هل هو الفقير أو من هو أسوأ حالاً منه؟

هل المقصود بالشهرين أن تكون من الأشهر القمرية أو تشمل الشمسية أيضاً أو أنها أعمّ من كل ذلك؟

وما حكم الشهور التلفيقية؟

ما المراد بالتتابع؟ هل هو التتابع الدقّى أو العرفى؟

ما المقصود بالإطعام فى «أطعم»؟ هل يكفى الطعام غير المطبوخ أو لابد أن يكون مطبوخاً، وهل يكفى الادنى أو لا بد من المتوسط؟

هل يكفى إطعام الأطفال أو لا؟

هل يجزى إطعام ستين مسكيناً على انفراد، أو لا بد من إطعامهم سويةً؟

هل الجاهل المقصّر مشمول لقوله (متعمداً) أو لا؟

هل يطلق على التقصير فى المقدمات التقصير العمدى (اذ ما بالاختيار لا ينافى الاختيار) أو لا؟

هل المقصود بشهر رمضان فى الرواية المعلوم بالعلم الوجدانى أو يشمل التعبدى أيضاً؟ فمثلاً: لو شككنا فى يوم هل هو آخر شهر رمضان أو أول شهر شوال فهل يشمل من أفطر فى هذا اليوم متعمداً هذا الحكم لاستصحاب بقاء شهر رمضان أو لا؟

هل الأمر يفيد الفور أو لا؟

هل لا بد من مباشرة التنفيذ بعد انقضاء شهر رمضان أو يمكن التأجيل حتى بعد مرور سنة؟ وإلى أى حدّ يمكن التأجيل؟

هل يجوز الإطعام فى بلد آخر أو لا بد من الاقتصار على بلد المكفّر؟

هل يجوز الإطعام فى بلد آخر إذا كانت القيمة فيه أقل من قيمة بلد المكفّر؟

هل يجب أن يكون الإطعام من ماله أو يكفى أن يقول لشخص أطعم عنى من مالِك؟

لو تبرّع متبرّع بدون علم المكلف، فهل يجزى عنه أو لا؟

إذا وكّل غيره فهل ينوى الموكّل أم الوكيل أم كلاهما...؟

إلى آخر هذه الفروع التى تبدأ وربما لا تنتهى، وربما احتاج تحليل هذه الرواية ومبانيها المختلفة (الأصولية والفقهية والرجالية) إلى عام كامل من البحث، مما يدلّ على أنه لا تكفى الثقافة العامة بل لا بد من التخصص.

يقول أحد أطباء الأسنان:

«قبل أن أدخل كلية طب الأسنان كنت أتصور أننى اخترت أقلّ فروع الطب توسّعاً إذ كنت أتصور أننى سأتعامل مع عظم صغير الحجم لا تعدو قضية التعامل معه القلع أو التنظيف ونحوهما، ولكن اكتشفت بعد أن دخلت الكلية أن الأسنان فيها من المشاكل والمسائل والقضايا بمقدار بلد تعداده ستون مليون نسمة!».

البحث الثانى: هل تكفى اجتهادات المجتهدين السابقين؟

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد فى الفقه وعدم إجزاء الثقافة العامة، يثار هذا السؤال، وهو: ألا تكفى اجتهادات مجتهدينا الماضين، لاسيما وأنهم ?قد بذلوا جهوداً كبيرة وسهروا الليالى وألّفوا المصنّفات الضخمة فى الفروع الفقهية؛ فما هى الحاجة إلى مجتهدين جدد؟

نجيب على هذا السؤال بثلاثة أجوبة، الأول منها نقضىّ والآخران حليّان.

الجواب الأول: لقد بذل الأطباء القدامى جهوداً كبيرة وألّفوا الكتب الطبية ككتاب القانون لابن سينا مثلاً؛ فما هى الحاجة إلى الأطباء الجدد؟

فهذا إشكال مشترك بين جميع العلوم ولا يخصّ علم الفقه وحده؛ فما يقال فى الجواب هناك يقال فى الجواب هنا.

الجواب الثانى: إن العلوم فى حالة تطوّر وهى لا تقف عند حدّ معيّن، صحيح أن المبانى الأصلية للعلوم ثابتة إلاّ أن هناك أموراً جديدة تكتشف، ففى الفقه تُكتشف روايات جديدة؛ ويشير الشيخ الأنصارى ?فى كتاب «الفرائد» إلى أن أول من تمسّك بروايات «الاستصحاب» فيما نعلم والد الشيخ البهائى، ?فيما حكى عنه فى «العقد الطهماسبى» وهذا يعنى أن هذه الروايات التى تحظى بكلّ هذه الأهمية لم تُكتشف أو لم يُستدلّ بها خلال حقبة طويلة من الزمن تقدّمت على عهد والد الشيخ البهائى.?

يقول الشيخ الأنصارى:?

«نعم ربما يظهر من بعض عبارات ابن إدريس الحلى أنه اعتمد على هذه الروايات فى بحث استصحاب نجاسة الماء المتغيّر إذا زال تغيّره من قبل نفسه».

وهناك مجالات أخرى يمكن أن تكتشف؛ فمثلاً عُرف عن السيد البروجردى ?أنه اكتشف بتتبعه طرقاً جديدة فى علم الرجال.

إذن لما كان العلم لا يقف عند حدّ معيّن فإن الفقهاء قد يكتشفون أموراً جديدة وإن كانت المبانى العامة محفوظة وثابتة، ولهذا قيل: كم ترك الأول للآخر؟

الجواب الثالث: إن الحياة نفسها فى تجدد وتطوّر، وهذا معناه أن الحياة تطرح صغريات جديدة لابدّ من وجود المجتهد الذى يمكنه تطبيق الكبريات الفقهية عليها.

فمن الصغريات المستحدثة التى لم تكن موجودة فى السابق، نظام المصارف والبنوك المالية بهذه الصيغة المعقدة، ومنها عقود التأمين، ومنها قضية الاستنساخ البشرى، وقضايا أخرى كثيرة ولكل واحد من هذه المسائل فروع لابد من فقيه يجيب عليها، فمثلاً: هل المستنسخ ابن أو لا؟ وهل يرث أو لا؟ إلى غير ذلك من الفروع.

وفى الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «علينا إلقاء الأصول وعليكم التفريع» أى أن الأئمة عليهم السلام بيّنوا الكليات، وعلى الفقهاء تطبيقها على الصغريات.

وفى قضية «ركب الجارية» شاهد على تطبيق أصحاب الأئمة عليهم السلام الكبريات على صغرياتها المتجددة.

البحث الثالث: الاجتهاد الدينى ليس منحصراً فى الفقه

بعد أن سلّمنا بضرورة الاجتهاد فى العلوم الدينية، يتبادر سؤال آخر وهو: هل عملية الاجتهاد منحصرة فى إطار الأحكام الفقهية، أى مسائل الطهارة والصلاة والصيام ونحوها؟

والجواب: كلا- بل يمكن للإنسان أن يكون مجتهداً فى مجالات اخرى مثل القضايا العقائدية، (فى فروعها طبعاً وليس أصولها، لأن أصول العقائد ثابتة قامت عليها البراهين العقلية والنقلية المتواترة) فمثلاً- يبحث هل الذى يعذَّب فى القبر روح الميت أو بدنه أو كلاهما؟

ومن المجالات التى يمكن للإنسان أن يجتهد فيها تفسير القرآن الكريم؛ وقد نقل السيد الوالد ?عن السيد الحكيم ?أنه كان عندهم أستاذ فى التفسير تناول إحدى الآيات المباركات بالشرح فى أحد الأيام، ولكنه جاء فى اليوم الثانى وقال:

«كان ما ذكرناه أحد الاحتمالات فى تفسير الآية»

ثم طرح احتمالاً- ثانياً وشرحه، وعندما جاء فى اليوم الثالث قال: وهناك احتمال ثالث وتناوله، وهكذا حتى استمر لمدة شهر كامل طرح خلاله حوالى ثلاثين احتمالاً فى تفسير الآية الكريمة.

وقد ذكر بعض المفسّرين أن الاحتمالات فى تفسير قوله تعالى? وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ? ... تبلغ مليوناً ومئتين وستين ألف احتمال تقريباً!

حتى الروايات التى تتناول القضايا الطبية تحتاج إلى اجتهاد، فهناك رواية تقول: «افتتح بالملح فى طعامك واختم بالملح» ويمكن تصوّر فروع كثيرة فى المقام، منها:

هل الطعام يشمل الفاكهة أو لا؟

وهل يشمل الماء، باعتبار أن الله تعالى يقول?: إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ? ... أو أنه منصرف عنه؟

وهل يشمل الحليب والعسل ونحوهما أو لا؟

وماذا بالنسبة للطفل الرضيع؟ هل تبدأ أمّه إرضاعه بالملح أو أن الحديث الشريف منصرف عن ذلك؟

إلى غير ذلك من الفروع، ولقد ذكر السيد الوالد ?هذه الفروع فى كتاب الأطعمة والأشربة فمن أحبّ التفصيل فليراجع.

البحث الرابع: الاجتهاد لا يعرف الحدود

إن من نقاط قوة الشيعة أن الاجتهاد عندهم لا يعرف الحدود الجغرافية والإقليمية والعنصرية واللونية وما أشبه، ولذلك نسمع بمراجع أو فقهاء عرب كالشهيد الأول وإيرانيين كالشيخ الأنصارى، وهنود كالفاضل الهندى صاحب كتاب كشف اللثام، وأفغانيين كصاحب الكفاية، وكذلك كان عندنا فقهاء من البحرين والحجاز، وقد نقل أنه كان فى البحرين القديمة بين (۳۰۰) الى (۶۰۰) مجتهد، كما سميت القطيف بالنجف الصغرى لكثرة العلماء والمجتهدين فيها.

إذن الملاك فى الاجتهاد والمرجعية الكفاءة، بالنحو المبيّن فى الكتب الفقهية لا الامور الاعتبارية المصطنعة، وهذه مفخرة من مفاخر الإسلام ومذهب أهل البيت عليهم السلام لم تتوصل إليها الدنيا حتى الآن.

وأخيراً:

ينبغى للإخوة الكرام جميعاً سواء من كان منهم يريد أن يصبح خطيباً أو كاتباً أو مدرّساً أو مؤسساً أو ناهضاً أو ... ومن أية قومية كانوا أن يحاولوا بلوغ مرتبة الاجتهاد إلا إذا كان هناك محذور خارجى لأن المجتهد هو الذى يمكنه أن يحلّ المعضلات الفقهية أو

الفكرية أو العقائدية أو الطبية المرتبطة بالشرع كلّ حسب اختصاصه.

وقد نقل أنه كان فى مدينة طهران ستّون مجتهداً فى وقت كان عدد نفوسها لا يتجاوز ۶۰۰ ألف شخص، أما يوم بلغ نفوس طهران أكثر من ۶ ملايين نسمة فإن عدد المجتهدين فيها لم يتجاوز ستة أشخاص!

إن الحاجة الى المجتهدين كبيرة ولا مانع أن يكون الفرد خطيباً أو مؤلفاً أو مفسراً أو ... ويكون مجتهداً مع ذلك.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لذلك.

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

پی نوشتها

. سورة الزمر، الآية: ۱۷۱۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. ألقيت هذه المحاضرة فى۱۵ ربيع الأول من ۱۴۲۵ه، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. سورة هود، الآية: ۱۱۹.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۳۶.

. قال ابن سنان: كان المأمون يجلس فى ديوان المظالم يوم الاثنين ويوم الخميس ويقعد الرضا صلى الله عليه و اله على يمينه، فرفع إليه أن صوفياً من أهل الكوفة سرق، فأمر بإحضاره فرأى عليه سيماء الخير، فقال: سوءاً لهذه الآثار الجميلة بهذا الفعل القبيح! فقال الرجل: فعلت ذلك اضطراراً لا اختياراً وقال الله تعالى?: فَمَنِ اضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ?وقد منعت من الخمس والغنائم. فقال: وما حقك منها؟ فقال: قال الله تعالى?: وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ?فمنعتنى حقى وأنا مسكين وابن السبيل وأنا من حملة القرآن، وقد منعت كل سنة منى مائتى دينار بقول النبى صلى الله عليه و اله. فقال المأمون: لا أعطّل حدّاً من حدود الله وحكماً من أحكامه فى السارق من أجل أساطيرك هذه. قال: فابدأ أوّلاً بنفسك فطهّرها ثم طهّر غيرك وأقم حدود الله عليها ثم على غيرك. قال: فالتفت المأمون إلى الرضا صلى الله عليه و اله فقال: ما تقول...؟ قال: إن الله عزّ وجل قال لنبيّه صلى الله عليه و اله?: قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ?وهى التى تبلغ الجاهل فيعلمها بجهله كما يعلمها العالم بعلمه، والدنيا والآخرة قائمتان بالحجة، وقد احتجّ الرجل. قال: فأمر بإطلاق الرجل الصوفى وغضب على الرضا فى السرّ. (مناقب آل أبى طالب، ?محمد بن شهرآشوب المازندرانى المتوفى عام ۵۸۸ه، مؤسسة العلّامة للنشر، قم، ۱۳۷۹ه.

. رجع ابن أبى داوود (قاضى القضاة) ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتمّ فسئل عن السبب، فقال: وددت اليوم أنى قد متّ منذ عشرين سنة. قيل له: ولم ذاك؟ قال: لما كان من هذا الأسود (الإمام محمد بن على الجواد ?اليوم بين يدى الخليفة (يعنى المعتصم) قيل له: وكيف كان ذلك؟ قال: إن سارقاً أقرّ على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحد عليه فجمع لذلك الفقهاء فى مجلسه وقد أحضر محمد بن على، فسألنا عن القطع فى أىّ موضع يجب أن يقطع؟ فقلت: من الكرسوع. قال: وما الحجة فى ذلك؟ قلت: لأن اليد هى الأصابع والكف إلى الكرسوع؛ لقول الله فى التيمم? فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ? واتفق معى على ذلك قوم، وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق. قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال? وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ?فى الغسل، دلّ ذلك على أنّ حدّ اليد هو المرفق. قال: فالتفت إلى محمد بن على فقال: ما تقول فى هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلّم القوم فيه فدعنى. قال: أى شىء عندك؟ قال: اعفنى عن هذا. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه. فقال صلى الله عليه و اله: أما إذ أقسمت علىّ بالله أنى أقول: إنهم أخطأوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ. قال: وما الحجة فى

ذلك؟ قال: قول رسول الله صلى الله عليه و اله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى?: وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ ?يعنى هذه الأعضاء السبعة التى يسجد عليها? فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ?وما كان لله لم يقطع. قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكفّ. قال ابن أبى داوود: قامت قيامتى وتمنّيت أنى لم أك حيّاً. (بحار الأنوار: ج۷۶ ص۱۹۱).

. سورة البقرة، الآية: ۱۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۶ ص۱۱۵.

. كتاب المحاسن للبرقى (أحمد بن محمد بن خالد البرقى الابن) ج۲ ص۴۸۵، وسائل الشيعة: ج۱۱ ص۵۱۳ ح۱۵۴۰۳.

. الكافى: ج۶ ص۵۳۷.

. السَّكُونِيِّ عَنِ الصَّادِقِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّد ?قَالَ: لِلدَّابَّةِ عَلَى صَاحِبِهَا سَبْعَةُ حُقُوق وَذَكَرَ الْحَدِيثَ (السابق) وَزَادَ: ولا يَضْرِبُهَا عَلَى النِّفَار (أمالى الصدوق: ص۵۹۷).

. نهج البلاغة: ص ۳۴۶ من كلام له صلى الله عليه و اله يتبرّأ من الظلم.

. الحدائق الناضرة، للمحقق البحرانى: ج۵۲ ص۱۴۳.

. لما كان فتح مكة ... دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنّون أن السيف لا يُرفع عنهم، فأتى رسول الله صلى الله عليه و اله البيت وأخذ بعضادتى الباب ثم قال: لا إله إلا الله أنجز وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده، ثم قال: ما تظنّون وما أنتم قائلون؟ فقال سهيل بن عمرو: نقول خيراً ونظن خيراً، أخ كريم وابن عم. قال: فإنى أقول لكم كما قال أخى يوسف?: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ... ?فاذهبوا فأنتم الطلقاء. فخرج القوم كأنما أنشروا من القبور ودخلوا فى الإسلام (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۳۲ ب۲۶ فتح مكة).

. عن الإمام الصادق صلى الله عليه و اله قال: إن رسول الله صلى الله عليه و اله يوم فتح مكة لم يسب لأهلها ذرية، وقال: من أغلق بابه وألقى سلاحه أو دخل دار أبى سفيان فهو آمن. (بحار الأنوار: ج۲۱ ص۱۱۷ ب۲۶ فتح مكة.

. بحار الأنوار: ج۲ ص۳۰.

. تقرير للكلمة التى القيت على جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدينية فى مدينة قم المقدسة، مطلع جمادى الأولى وذلك بمناسبة قرب حلول الأيام الفاطمية، حيث أكد سماحته على الإخوة المؤمنين إحياء هذه الأيام والقيام بمسؤولياتهم تجاه السيدة الزهراء ?التى تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفيصل الذى يفصل بين الإسلام والحكومات الجائرة التى حكمت باسمه.

. تقرير للكلمة التى القيت على جمع من الأفاضل وطلبة العلوم الدينية فى مدينة قم المقدسة، مطلع جمادى الأولى وذلك بمناسبة قرب حلول الأيام الفاطمية، حيث أكد سماحته على الإخوة المؤمنين إحياء هذه الأيام والقيام بمسؤولياتهم تجاه السيدة الزهراء ?التى تمثل القدوة للمرأة المسلمة والفيصل الذى يفصل بين الإسلام والحكومات الجائرة التى حكمت باسمه.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۳۴.

. بحار الأنوار: ج۳۴ ص۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷.

. سورة شعراء، الآية: ۸۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۸ جمادى الأولى ۱۴۲۳ ه بمناسبة قرب مولد السيدة فاطمة الزهراء.?

. بحار الأنوار: ج۶۶ ص۲۹۶.

. بحار الأنوار: ج۷۴ ص۴۳۴.

. سورة البقرة، الآية: ۵۶.

. سورة البقرة، الآية: ۷۳.

. سورة الفيل، الآية: ۳۴.

. سورة النمل، الآية: ۳۹.

. سورة فاطر، الآية: ۲۸.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۱۴ جمادى الثانية ۱۴۲۴ ه فى قم المقدسّة.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۱۴ جمادى الثانية ۱۴۲۴ ه فى قم المقدسّة.

. سورة العنكبوت، الآية: ۲۶.

. سورة النور، الآية: ۳۶.

. بحار الأنوار: ج۲۳ ص۳۲۵.

. انظر بحار الأنوار: ج۴۱ ص۳۰.

. بحار الأنوار: ج۱۴ ص۱۹۷ ب۱۶.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲۹.

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۳۴ ب۵، تزويجها.?

. بحار الأنوار: ج۴۳ ص۱۹۱ ب۷، ما وقع عليها من الظلم.

. بحار الأنوار: ج ۴۰ ص۳۴۳.

. لعل القصة منقولة بالمضمون التقريبى.

. سورة البقرة، الآية: ۱۳.

. اُلقيت هذه المحاضرة فى ۴ جمادى الأولى عام ۱۴۲۵ ه. على جمع من طلاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. اُلقيت هذه المحاضرة فى ۴ جمادى الأولى عام ۱۴۲۵ ه. على جمع من طلاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. سورة الحج، الآية: ۳۲.

. سورة الأنعام، الآية: ۹.

. أو هى كفء بعلها.

. سورة الأنفال، الآية: ۶۵.

. ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ ۱۶ صفر ۱۴۲۵ ه. على جمع من طلاب العلوم الدينية فى مدينة (قم) المقدسة.

. ألقيت هذه المحاضرة بتاريخ ۱۶ صفر ۱۴۲۵ ه. على جمع من طلاب العلوم الدينية فى مدينة (قم) المقدسة.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۴.

. بحار الأنوار: ج۱۳ ص۱۰۶ب ۵.

. سورة الزلزلة، الآية: ۷.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۵.

. راجع أمالى الشيخ الطوسى المجلس السادس ص۱۶۱ ح ۲۰، والبحار: ج۴۴ ص ۲۸۰ ب۳۴ ح۹ وج۴۵ ص۳۱۳ ب۴۶ ح۱۴، وكامل

الزيارات ص۱۰۷ ب۳۲ ح۲ وص۱۰۸ ح۶ و ص۱۹۳ ب۷۱ ح۷.

. بحار الأنوار: ج۲۸ ص۵۵ ب۲.

. سورة الغافر، الآية: ۵۱.

. ألقيت هذه المحاضرة باللغة الفارسية فى مدينة قم المقدسة بتاريخ ۲۳ ذى الحجة.

. ألقيت هذه المحاضرة باللغة الفارسية فى مدينة قم المقدسة بتاريخ ۲۳ ذى الحجة.

. ينقل أنه يوجد فى مدينة (قم) وحدها ما يربو على أربعمئة مزار، أما فى كل إيران فربما زاد على الأربعة آلاف. ولهذه المزارات أهمية كبرى فمثلا- وجود مرقد السيدة معصومة ?فى قم أمر مهم جداً، ليس لدينا فحسب بل لدنيانا أيضاً، فهذا المقام مؤسسة اجتماعية ذات أبعاد مختلفة، لكن بعضنا غفل عن تلك الجوانب والأبعاد، ولم نعِ أهمية وجود السيدة المعصومة ?بيننا كما ينبغى.

. ألقيت هذه المحاضرة فى مدينة قم المقدسة على ثلة من المؤمنين الكرام.

. ألقيت هذه المحاضرة فى مدينة قم المقدسة على ثلة من المؤمنين الكرام.

. إقبال الأعمال: ص ۵۹۰.

. نهج البلاغة: ص ۵۱۰ ح۲۳۷.

. سورة الأنعام، الآية: ۴۳.

. وهو كتاب مؤلف فى نهضة سيد الشهداء صلى الله عليه و اله.

. الكافى: ج۸ ص۵۸.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۵ محرم الحرام من عام ۱۴۲۵ ه.، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۲۵ محرم الحرام من عام ۱۴۲۵ ه.، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. انظر: شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ج۷ ص۱۵۹.

. تاريخ الطبرى: ج۴ ص۲۳۹، مؤسسة الأعلمى، بيروت لبنان.

. الفتوح لابن أعثم: ج۳ ص۱۹۶.

. جواهر المطالب فى مناقب الإمام على صلى الله عليه و اله لابن الدمشقىّ: ج۱ ص۳۰۸.

. جواهر المطالب فى مناقب الامام على بن أبى طالب صلى الله عليه و اله: ص۴۳.

. يقول اليعقوبى فى تاريخه: ثم ملك معاوية بن يزيد بن معاوية أربعين يوماً، وقيل: بل أربعة أشهر، وكان له مذهب جميل، فخطب الناس، فقال: أما بعد حمد الله والثناء عليه، أيها الناس فإنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا، ألا وإن جدى معاوية ابن أبى سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه فى القرابة برسول الله، وأحقّ فى الإسلام، سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين ... فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه ما لا تنكرون، حتى أتته منيّته وصار رهناً بعمله، ثم قلّد أبى وكان غير خليق للخير، فركب هواه، واستحسن خطأه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدّته، وصار فى حفرته رهناً بذنبه، وأسيراً بجرمه. ثم بكى، وقال: إن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلّد أموركم، ولا المتحمّل تبعاتكم، فشأنكم أمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنماً لقد نلنا منها حظاً، وإن تكن شراً فحسب آل أبى سفيان ما أصابوا منها. (تاريخ اليعقوبى: ج۲ ص۲۵۴). وراجع: جامع النورين: ص۳۱۶، وتتمّة المنتهى: ص۴۸، وبحار الأنوار: ج۴۶ ص۱۱۸.

. راجع مروج الذهب: ج۳ ص۲۵۳.

. مناقب آل أبى طالب: ج۳ ص۲۷۹.

. سورة الشورى، الآية: ۲۳.

. سورة الإسراء، الآية: ۲۶.

. سورة الانفال، الآية: ۴۱.

. سورة الأحزاب، الآية: ۳۳.

. اللهوف فى قتلى الطفوف للسيد ابن طاووس الحسنى: ص۱۰۲.

. العدد القوية، على بن يوسف الحلى: ص۳۱۹.

. فروع الكافى: ج۲ ص۴۷۴، أعيان الشيعة: ج۱ ص۶۲۹.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلّاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدّسة، فى ۲۹ ربيع الأول ۱۴۲۵ه.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلّاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدّسة، فى ۲۹ ربيع الأول ۱۴۲۵ه.

. سورة الأعراف، الآية: ۱۵۶.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۱.

. مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمى.

. أصول الكافى: ج۱ ص۵۲۸.

. لاحظ ما ورد فى زيارة الإمام الحسين صلى الله عليه و اله: «إرادة الرب فى مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم، والصادر مما فصل من أحكام العباد»، وقد روى هذه الزيارة «المحمدون الثلاثة.?»

. سورة الأعراف، الآية: ۱۵۶.

. سورة محمّد، الآية: ۱۷.

. سورة طه، الآية: ۵۰.

. بحار الأنوار: ج۳ ص۶۷.

. لاحظ كلمات الزيارة المعتبرة التى أشرنا إليها آنفاً.

. بحار الأنوار: ج۳۵ ص۱۹۳.

. بحار الأنوار: ج۵ ص۳۰۶.

. كمال الدين وتمام النعمة، المقدمة.

. تقريراً للمحاضرة التى القيت فى ۷ جمادى الثانية ۱۴۲۴ه.

. تقريراً للمحاضرة التى القيت فى ۷ جمادى الثانية ۱۴۲۴ه.

. سورة الشعراء، الآية: ۸۰.

. ذكر أحد العلماء أنه كان يوجد فى مدينة إصفهان طبيب معروف يسجّل أسماء مراجعيه من المرضى فى ورقة عنده بعد أن يكتب لهم الوصفة الطبية، وعندما سئل: لماذا تعمل هذا العمل؟ أجاب: إننى أعتقد أن الأدوية عوامل ظاهرية وأن الشفاء حقاً بيد الله تعالى، ولذلك أكتب أسماء المرضى الذين يراجعوننى كى أدعو لهم فى صلاة الليل وأطلب شفاءهم من الله تعالى، فهو الشافى، وما الأطباء والأدوية إلا أسباب ظاهرية.

. سورة النحل، الآية: ۶۹.

. سورة الزمر، الآية: ۴۲.

. سورة السجدة، الآية: ۱۱.

. سورة البقرة، الآية: ۷۹.

. بحار الأنوار: ج۱۵۳ ص۹۸.

. سورة الذاريات، الآية: ۱۷.

. سورة النمل، الآية: ۶۲.

. سورة السجدة، الآية: ۱۶.

. سورة البقرة، الآية: ۱۵۲.

. ألقيت المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۲۴ جمادى الثانية ۱۴۲۵ه.

. ألقيت المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۲۴ جمادى الثانية ۱۴۲۵ه.

. هذا فى صورة العمد أو الجهل التقصيرى، وأما فى صورة الجهل القصورى فقد دلّت الروايات الشريفة على أنه يعاد امتحانه فى يوم القيامة ويتوقف مصيره على ذلك الامتحان.

. سورة البقرة، الآية: ۲۲.

. الكافى: ج۱ ص۱۹۳ ح۶ باب أن الأئمة ?ولاة أمر الله تعالى.

. بحار الأنوار: ج۵۳ ص۱۷۸ ح۹ ب۳۱ ما خرج من توقيعاته.?

. الكافى: ج۱ ص۳۷۷ ح۳ باب من مات وليس له إمام.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. ألقيت هذه المحاضرة فى الكويت بتاريخ ۱۳ جمادى الأولى.

. ألقيت هذه المحاضرة فى الكويت بتاريخ ۱۳ جمادى الأولى.

. سورة المائدة، الآية: ۳۵.

. سورة فاطر، الآية: ۴۳.

. بحار الأنوار: ج۹ ص۲.

. سورة الشعراء، الآية: ۸۰.

. سورة النحل، الآية: ۶۹.

. صحيح البخارى: ج۲ ص۱۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۶۱.

. مسند أحمد بن حنبل: ج۴ ص۱۳۸. وسنن ابن ماجة، الحديث رقم ۱۳۸۵ بتفاوت يسير.

. وسائل الشيعة، الحر العاملى: ج۷ ص۱۱۳، ط: مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم.

. صحيفة الزهراء صلى الله عليه و اله، الشيخ جواد القيومى: ص۳۰۴ (الفارسية).

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۱۱ جمادى الأولى ۱۴۲۵ه.، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. ألقيت هذه المحاضرة فى ۱۱ جمادى الأولى ۱۴۲۵ه.، على جمع من طلّاب العلوم الدينية فى مدينة قم المقدّسة.

. بحار الأنوار: ج۵۸ ص۳۷ ب۱ ح۱۸.

. سورة سورة التوبة، الآية: ۱۱۴.

. سورة التوبة، الآية: ۱۱۳.

. سورة الممتحنة، الآية:: ۸.

. راجع تفاصيل ذلك فى الكتب الفقهية.

. بحار الأنوار: ج ۱۱ ص ۸۸ رقم ۱۵.

. سورة الأنعام، الآية: ۱۹.

. سورة هود، الآية: ۳۵.

. سورة النحل، الآية: ۹۸.

. شرح نهج البلاغة: ج ۱۳ ص ۲۴۱.

. صحيح البخارى: ج ۴ ص ۲۱۰.

. صحيح البخارى: ج ۸ ص ۳.

. بحار الأنوار: ج ۳۰ ص ۳۱۷ ب ۳۰.

. كشف الغمّة: ج ۱ ص ۴۷۹.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۲۰ جمادى الأولى ۱۴۱۴ه فى الكويت.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۲۰ جمادى الأولى ۱۴۱۴ه فى الكويت.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۰ ۱۹۱.

. الكافى: ج ۱ ص ۳۱۰.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۹۱.

. بحار الأنوار: ج ۷۹ ص ۱۹۸ ب ۱، فضل الصلاة وعقاب تاركها.

. سورة الزخرف، الآية: ۱۳.

. راجع تفاصيل كل ذلك فى كتب الأدعية.

. بحار الأنوار: ج ۱۴ ص ۸۳ ب ۵.

. مستدرك الوسائل: ج ۳۱ ص ۳۳۴، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج ۳۱ ص ۳۳۶، باب استحباب الإكثار من الصلاة.

. مستدرك الوسائل: ج ۵۵ ص ۲۶۲، باب نوادر ما يتعلق بأبواب القصاص.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۱۶ شوال ۱۴۲۴ه.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۱۶ شوال ۱۴۲۴ه.

. سورة السجدة، الآية:: ۱۶ ۱۷.

. سورة الذاريات، الآية: ۵۶.

. روى عن الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه و اله أنه قال: لقد قام رسول الله صلى الله عليه و اله عشر سنين على أطراف أصابعه حتى تورّمت قدماه واصفرّ وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب فى ذلك فقال الله عز وجل?: مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى. (?مستدرك الوسائل: ج ۴ ص ۱۱۸ ب ۲ ح ۲ جواز التوكى على أحد الرجلين).

. روى عن الإمام الحسن المجتبى صلى الله عليه و اله أنه قال: ماكان فى الدنيا أعبد من فاطمة، ?كانت تقوم حتى تتورم قدماها (بحار الأنوار: ج ۴۳ ص ۷۶ ح ۶۲ ب ۲ أسماؤها وبعض فضائلها).?

. عن ابن عباس قال: لقد حجّ الحسن بن على ?خمساً وعشرين حجّة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه (مستدرك الوسائل: ج ۸ ص ۳۰ ب ۲۱ ح ۴ رقم ۸۹۸۹).

. الإرشاد: ج۲ ص۸۹.

. بحار الأنوار: ج۴۴ ص۳۹۳ ب۳۷ رقم۱۷.

. بحار الأنوار: ج۴۸ ص۱۰۷ ب۵ عبادته ومكارم أخلاقه صلى الله عليه و اله.

. المصدر نفسه.

. مستدرک الوسائل: ج۱۱ ص۲۴۴ ب۱۵ ح۲۹.

. مثلاً ـ ذكر فى بعض الروايات أن بعض الأمور تورث الفقر مثل: التمشط وقوفاً أو ترک بيت العنكبوت فى البيت، ولعن الأمهات أولادهن ونحو ذلک، دون أن يبدو هنالک ارتباط واضح بين الفقر وهذه الأمور.

. لا يخفى أن هذه المعطيات قد تترتب على صلاة الليل بخصوصها وقد تترتب على عنوان عام يشمل صلاة الليل فلاحظ.

. مستدرک الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء فى جوف الليل.

. الكافى: ج۳ ص۴۸۸ باب النوادر.

. التهذيب: ج۲ ص۱۲۱ ب۸ ح۲۲۵.

. وسائل الشيعة: ج۸ ص۱۵۰ ب۳۹ رقم ۱۰۲۷۵.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۷ ب۳۳ ح۲۸ رقم۶۹۴۵.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۹۲ ب۲۲ فى فضل صلاة الليل.

. وسائل الشيعة: ج۷ ص۲۵۷ ب۹ رقم۹۲۶۸.

. مستدرک الوسائل: ج۵ ص۲۰۷ ب۲۸ استحباب الدعاء فى جوف الليل ح۱ رقم۵۷۰۸.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۲ ب۳۳ ح۱۷ رقم۶۹۳۴.

. التهذيب: ج۲ ص۱۲۰ ب۸ رقم۲۲۲.

. المصدر نفسه.

. ثواب الأعمال: ص۴۲.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۶۱ ب۶ فضل صلاة الليل ح۵۳.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل ح۳۱.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۵۳ ب۶ فضل صلاة الليل.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. من لا يحضره الفقيه: ج۱ ص۴۷۳ باب ثواب صلاة الليل، رقم۱۳۶۷.

. مستدرک الوسائل: ج۶ ص۳۳۵ ب۳۳ ح۲۵.

. نفس المصدر.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. المصدر نفسه.

. بحار الأنوار: ج۸۴ ص۱۶۱ ب۶ ح۵۳.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۱ ص۱۹۹.

. سورة طه، الآية: ۱۴.

. ألقيت هذه المحاضرة (باللغة الفارسية) على مجموعة من المؤمنين فى مدينة قم المقدسة بتاريخ ۱۱ ذى القعدة ۱۴۲۳ه.

. ألقيت هذه المحاضرة (باللغة الفارسية) على مجموعة من المؤمنين فى مدينة قم المقدسة بتاريخ ۱۱ ذى القعدة ۱۴۲۳ه.

. وسائل الشيعة: ج۱۰ ص۳۱۳؛ بحار الأنوار: ج۹۳ ص۳۵۶ ب۴۶.

. سورة النساء، الآية: ۱۹.

. سورة ص، الآية: ۳۵.

. بحارالأنوار: ج۷۲ ص۱۴ ب۵.

. بحارالأنوار: ج۷۴ ص۸۴.

. سورة المؤمنون، الآية: ۵۱.

. دعاء كميل من الأدعية المهمة وهو دعاء خضر صلى الله عليه و اله علّمه الإمام أمير المؤمنين صلى الله عليه و اله لكميل بن زياد? فسمّى باسمه.

وحقاً أن هذه الأدعية الموجودة بين أيدينا نحن الشيعة كنوز لا يملكها الآخرون.

. الكافى: ج۸ ص۵۸.

. مستدرك الوسائل: ج۱۸ ص۲۵۸ ح۱۱.

. بحارالأنوار: ج۱۳۰ ص۲۰ ب۱۲.

. وهذا حال بعض الأفراد مع الأسف، وبعض التقصير يعود لنا، لأننا لم نعمل من أجل نشر التشيع وتعريف الناس بآل البيت، ?وإلا فإن أغلب مناطق إيران كانت سنية المذهب سابقاً، حتى أن العلاّمة المجلسى ?ينحدر من أسرة سنية، فقد كان أحد أجداده سنياً وهو أبو نعيم الإصفهانى؛ إلاّ أن الشيعة نشطوا فى إصفهان وبقية مناطق إيران وشيّعوها.

. تقرير المحاضرة التى ألقيت بتاريخ ۹ جمادى الأولى ۱۴۲۴ه.

. تقرير المحاضرة التى ألقيت بتاريخ ۹ جمادى الأولى ۱۴۲۴ه.

. سورة الأعلى، الآية: ۱۷.

. بحار الأنوار: ج۱۸ ص۲۱۴.

. سورة الإنسان، الآية: ۲۰.

. سورة النساء، الآية: ۷۷.

. سورة الرحمن، الآية: ۷۰.

. سورة الزمر، الآية: ۱۵.

. سورة التوبة، الآية: ۷۲.

. بحار الأنوار: ج۸ ص۱۴۰.

. شرح نهج البلاغة، ابن أبى الحديد المعتزلى: ج۱۱ ص۱۵۳.

. سورة المؤمنون، الآية: ۱۰۰۹۹.

. شرح نهج البلاغة: ج۱۸ ص۲۲۵.

. ألقيت المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۱ رجب ۱۴۲۵ه.

. ألقيت المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة بتاريخ ۱ رجب ۱۴۲۵ه.

. سورة طه، الآية: ۱۲۱.

. سورة البقرة، الآية: ۳۷.

. سورة القيامة، الآية: ۲.

. سورة البقرة، الآية: ۳۲.

. بحار الانوار: ج۹۴ ص۳۸ ب۵۵ فضائل شهر رجب.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۲۵ ذى القعدة ۱۴۲۳ه.

. تقريراً للمحاضرة التى ألقيت فى ۲۵ ذى القعدة ۱۴۲۳ه.

. أو هو من العوامل الرئيسية فى ذلك. وهذه الملاحظة سارية فيما يأتى من الكلمات أيضاً.

. بحار الأنوار: ج۲۲ ص۳۹۸ ح۴.

. سورة النساء، الآية: ۱۰۰.

. سورة الفرقان، الآية: ۱.

. سورة الفتح، الآية: ۲۸.

. سورة الأنبياء، الآية: ۱۰۷.

. سورة سبأ، الآية: ۲۸.

. سورة البقرة، الآية: ۲۱ و۱۶۹، سورة النساء، الآية: ۱ و۱۷۰ و۱۷۴، سورة الأعراف، الآية: ۱۵۸، سورة يونس، الآية: ۲۳ و۵۷ و۱۰۴ و۱۰۸، سورة الحج، الآية: ۱ و۵ و۴۹ و۷۳، سورة لقمان، الآية: ۳۳، سورة فاطر، الآية: ۳ و۵ و۱۵، سورة الحجرات، الآية: ۱۳.

. الكافى: ج۲ ص۱۶۳ ح۱.

. القيت المحاضرة بتاريخ ۲۵ جمادى الاولى ۱۴۲۵ه على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. القيت المحاضرة بتاريخ ۲۵ جمادى الاولى ۱۴۲۵ه على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. سورة يوسف، الآية: ۸۷.

. الكافى: ج۲ ص۴۷۳.

. الكافى: ج۲ ص۴۷۳.

. بحار الانوار: ج۵۲ ص۱۲۶ ب۲۲.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۱۰۴ ب۷.

. بحار الانوار: ج۱۰ ص۹۴ ب۷.

. نهج البلاغة، خطبة الجهاد.

. مهج الدعوات: ص۶۸.

. بحار الانوار: ج۵۳ ص۲۲۴.

. تقرير المحاضرة الأسبوعية العامة التى ألقيت فى ۱۶ جمادى الأخرى ۱۴۲۴ه.

. تقرير المحاضرة الأسبوعية العامة التى ألقيت فى ۱۶ جمادى الأخرى ۱۴۲۴ه.

. سورة البقرة، الآية: ۱۲۰.

. سورة البقرة، الآية: ۲۱۷.

. من الخطط الاستعمارية إضعاف التجّار المسلمين لأن للتجار دوراً مهماً جداً فى الحياة.

. إرشاد القلوب: ج۱ ص۷۰.

. سورة يونس، الآية: ۸۷.

. أُلقيت هذه المحاضرة فى ۲۲ ربيع الأول ۱۴۲۵ه.، على جمع من طلاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. أُلقيت هذه المحاضرة فى ۲۲ ربيع الأول ۱۴۲۵ه.، على جمع من طلاب العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة.

. الكافى للكلينى: ص ۴۲۶، وانظر: وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۷.

. بحار الأنوار: ج۶۸ ص۲۳ ب۶۱ الشكر.

. سورة الملك، الآية: ۳۰.

. سورة ق، الآية: ۲۲.

. بحار الأنوار: ج۹۹ ص۵۵.

. أى دخل الإمام الباقر على أبيه الإمام السجّاد.?

. ويكفينا أن نعرف أنّه لقب بالسجّاد وزين العابدين.

. مهما يكن من أمر، فالإمام بشر (قل إنما أنا بشر مثلكم) يتألّم ويصفرّ لونه، وهكذا حال كلّ العظماء، ولكن بعض الناس يتصوّر أن العظماء لا يتألمون، إننا نرى اليوم كتاب وسائل الشيعة للحرّ العاملى بين أيدينا ولا نعرف مبلغ العناء الذى لقيه المؤلّف، فربما كان وراء كلّ كلمة فيه جهد وتعب، وربما كان الحرّ العاملى يكتب بعض كتابه وهو فى أقصى درجات الجهد والإعياء، وهكذا الحال مع موسوعة الجواهر وغيرها من الكتب الفقهية والحديثية.

. أى حميت.

. أى تقرّحت من كثرة المماسة والاحتكاك بالأرض بسبب كثرة السجود عليها لله تعالى.

. من السجود أيضاً.

. يعنى الإمام الباقر صلى الله عليه و اله.

. أى تلا أو طالع.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۹۱ رقم۲۱۵.

. بحار الأنوار: ج۲۹ ص۲۲۳.

. وسائل الشيعة: ج۱ ص۸۹ ب۲۰.

. سورة التوبة، الآية: ۱۰۵.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۳.

. سورة البقرة، الآية: ۱۴۸.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۳۹.

. سورة آل عمران، الآية: ۱۴۰.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة فى الثالث من ذى الحجة ۱۴۲۳ه.

. ألقيت هذه المحاضرة على جمع من طلبة العلوم الدينية بمدينة قم المقدسة فى الثالث من ذى الحجة ۱۴۲۳ه.

. المراد من هذه العبارة وأمثالها: التصورات الظنية، على التفصيل المذكور فى مباحث «الحجج» من علم الاصول.

. وهى إحدى القواعد أو الأصول العملية المهمة التى قد تترتب عليها آلاف الفروع الفقهية.

. فرائد الأصول.

. وسائل الشيعة: ج۲۷ ص۶۲ ب۶ الرقم۳۳۲۰۲.

. على الظاهر.

. سورة البقرة، الآية: ۱۰۲.

. الكافى: ج۶ ص۳۲۵ باب فضل الملح.

. سورة البقرة، الآية: ۲۴۹.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائیّ و اليدویّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائی/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹